

الباب الرابع

فيما يكتب عن الخلفاء لأتباعهم من أرباب المناصب
من العهود ، وفيه فصلان :

الفصل الأول

فيما يكتب عنهم من العهود للملوك ، وهو المستمر مما
كان يكتب عنهم من الولايات إلى الآن ، وللكتاب فيه
أربعة مذاهب .

المذهب الأول

أن يفتتح العهد بعد البسملة بلفظ : هذا ، مثل أن يقال :
هذا عهدٌ عهدٌ به فلان لفلان . وهذا ما عهد فلان لفلان ،
أو هذا ما أمر به فلان فلانا ، أو هذا كتاب اكتبه فلان
لفلان ، وما أشبه ذلك ، ثم يقال : أمره بكذا ، وأمره
بكذا ، حتى يأتي على ما يؤثِّره من المأثورات المتعلقة
بالعهد مما يناسب الحال إلى آخر القصيدة . ثم زاد الكتاب
أن يقال في آخر العهد : هذا عهد أمير المؤمنين إليك ،
وحجته عليك ، أو نحو ذلك ، ويؤتى بما يطابق المقصد ،

وهذه هي طريقة الأقدمين من السلف فمن بعدهم في صدر الإسلام ، وما وليه ، وعليه جرى المُحَقَّقون من متأخري الكُتَّاب بالدولة العباسية بالعراق ، وإلى (١٩٢ ب) حين انقراضها إلا في القليل النادر مما سيأتي ذكره ، مما شذ عن ذلك ، وعلى هذا المنوال نسج أفاضل كُتَّاب الديار المصرية فيما كتبوا به لملوك الديار المصرية ، إلا أنهم عدلوا عن لفظ « أمره » إلى ما يتضمن معنى الأمر دون تصريح بلفظه .

والأصل في ذلك ما ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم حين وجه عمرو بن حزم إلى اليمن كتب له كتاب عهد أمره فيه أمره . .

وهذه نسخته (١)

فيما ذكره ابن هشام وغيره .

هذا بيان من الله ورسوله ﷺ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴿٢﴾ . عهد من محمد النبي رسول الله لعمر بن

(١) صح الأعمش ١٠٢ ص ٩ وهذه نسخته بعد البسلة فيما ذكره ابن هشام وغيره .

(٢) سورة المائدة الآية ١

حَزْم (١) ، أمره بتقوى الله في أمره كُلِّهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿٢﴾ . وأمره أَنْ يَأْخُذَ بِالْحَقِّ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ ، وَأَنْ يَبْشُرَ النَّاسَ (٣) بِالْخَيْرِ وَيَأْمُرَهُمْ بِهِ ، وَيَعْلَمَ النَّاسَ الْقُرْآنَ وَيَفْقَهُهُمْ فِيهِ ، وَيَنْهَى النَّاسَ فَلَا يَمَسُّ الْقُرْآنَ إِنْسَانٌ إِلَّا وَهُوَ طَاهِرٌ ، وَيَخْبِرُ النَّاسَ بِالَّذِي لَهُمْ وَالَّذِي عَلَيْهِمْ ، وَيَلِينُ لِلنَّاسِ فِي الْحَقِّ ، وَيَشْتَدُّ عَلَيْهِمْ فِي الظُّلْمِ . فَإِنَّ اللَّهَ كَرِهَ الظُّلْمَ وَنَهَى عَنْهُ ، فَقَالَ ﴿أَلَّا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (٤) وَيُبَشِّرُ النَّاسَ بِالْجَنَّةِ وَبِعَمَلِهَا ، وَيَنْذِرُ النَّاسَ النَّارَ وَعَمَلِهَا ، وَيَتَأَلَّفُ (٥) النَّاسَ حَتَّى يَفْقَهُوا فِي الدِّينِ ، وَيُعَلِّمُ النَّاسَ مَعَالِمَ الْحَجِّ وَسُنَّتَهُ وَفَرِيضَتَهُ ، وَمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ، وَالْحَجَّ الْأَكْبَرَ وَالْحَجَّ الْأَصْغَرَ وَهُوَ الْعُمْرَةُ (٦) ، وَيَنْهَى النَّاسَ أَنْ يُصَلِّيَ أَحَدٌ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ صَغِيرٍ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ثَوْبًا يَثْنِي طَرْفَيْهِ عَلَى عَاتِقَيْهِ ، وَيَنْهَى أَنْ

(١) في سيرة ابن هشام ٣ ص ٧٢ : لعروب بن حزم [حين بعثه إلى اليمن] .

(٢) سورة النحل الآية ١٢٨

(٣) في الأصل : وأمره أَنْ يَأْخُذَ الْحَقَّ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ وَأَنْ يَنْشُدَ النَّاسَ . والتصويب من صحيح الأعمش .

(٤) سورة هود الآية ١٨

(٥) في صحيح الأعمش : ويستألف الناس .

(٦) في صحيح الأعمش : والحج الأكبر الحج الأصغر هو العمرة .

يَحْتَبِي أَحَدٌ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ يُفْضِي بِفَرْجِهِ إِلَى السَّمَاءِ ،
وَيَنْهَى فَلَا يَعْقِصُ أَحَدٌ شَعْرَ رَأْسِهِ فِي قَفَاهِ ، وَيَنْهَى
إِذَا كَانَ بَيْنَ النَّاسِ هَيْجٌ عَنِ الدَّعَاءِ إِلَى الْقِبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ ،
وَلَيْكُنْ دَعْوَاهُمْ إِلَى اللَّهِ [عِزٌّ وَجَلٌّ] وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ،
فَمَنْ لَمْ يَدْعُ (١ ١٩٣) إِلَى اللَّهِ وَدَعَا إِلَى الْقِبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ
فَلْيُقْطَعُوا بِالسَّيْفِ حَتَّى تَكُونَ دَعْوَاهُمْ إِلَى اللَّهِ وَحَدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ .

[وَيَأْمُرُ النَّاسَ بِاسْتِغَاثَةِ الْوَضُوءِ : وَجُوهَهُمْ وَأَيْدِيَهُمْ
إِلَى الْمِرَافِقِ وَأَرْجُلَهُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ، وَيَمْسَحُونَ بِوُجُوهِهِمْ كَمَا
أَمَرَهُمُ اللَّهُ] .

وَأَمْرُهُ بِالصَّلَاةِ لَوَقْتِهَا وَإِتْمَامِ الرُّكُوعِ وَالخُضُوعِ (١)
وَيُغَلِّسُ بِالصَّبْحِ ، وَيُهَجِّرُ بِالظَّهْرِ حَتَّى تَمِيلَ الشَّمْسُ ،
وَصَلَاةُ الْعَصْرِ وَالشَّمْسُ فِي الْأَرْضِ مَدْبِرَةٌ ، وَالْمَغْرِبُ حِينَ
يَقْبَلُ اللَّيْلُ ، لَا تُؤَخَّرُ حَتَّى تَبْدُو النُّجُومَ فِي [السَّمَاءِ] ، وَالْعِشَاءُ
أَوَّلُ اللَّيْلِ . وَأَمْرُهُ بِالسَّعْيِ إِلَى الْجُمُعَةِ إِذَا نَوَدَى لَهَا ،
وَالْغُسْلِ عِنْدَ الرُّوْحِ إِلَيْهَا . وَأَمْرُهُ أَنْ يَأْخُذَ مِنَ الْمَغَانِمِ

(١) فِي صَبْحِ الْأَعْيَى : وَإِتْمَامِ الرُّكُوعِ [وَالسُّجُودِ] وَالخُشُوعِ .

خُمْسَ اللَّهِ وما كُتِبَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَةِ فِي الْعَقَارِ (١)
عُشْرَ مَا سَقَتِ الْعَيْنُ وَسَقَتِ السَّمَاءُ ، وَعَلَى مَا سَقَى الْغَرْبُ (٢)
نِصْفَ الْعَشْرِ ، وَفِي كُلِّ عَشْرٍ مِنَ الْإِبِلِ شَاةٌ ، وَفِي كُلِّ
عَشْرِينَ أَرْبَعٌ شِيَاهُ ، وَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ مِنَ الْبَقَرِ بَقْرَةٌ ، وَفِي
كُلِّ ثَلَاثِينَ مِنَ الْبَقَرِ تَبِيعٌ [جَذَعٌ] أَوْ جَذَعَةٌ ، وَفِي كُلِّ
أَرْبَعِينَ مِنَ الْغَنَمِ سَائِمَةٌ وَحَدَا شَاةٌ ، فَإِنَّهَا فَرِيضَةُ اللَّهِ
تَعَالَى الَّتِي افْتَرَضَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَةِ ، فَمَنْ زَادَ
خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ . وَأَنَّهُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ يَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ
إِسْلَامًا خَالِصًا مِنْ نَفْسِهِ ، وَدَانَ بِدِينِ الْإِسْلَامِ ، فَإِنَّهُ مِنْ
الْمُؤْمِنِينَ ، لَهُ مِثْلُ مَا لَهُمْ ، وَعَلَيْهِ مِثْلُ مَا عَلَيْهِمْ ، وَمَنْ
كَانَ عَلَى نَصْرَانِيَّةٍ أَوْ يَهُودِيَّةٍ فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ عَنْهَا ، وَعَلَى
كُلِّ حَالِمٍ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى ، حُرٌّ أَوْ عَبْدٌ دِينَارٌ وَافٍ أَوْ عَوْضُهُ
ثِيَابًا ، فَمَنْ آدَى ذَلِكَ فَإِنَّ لَهُ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ ،
وَمَنْ مَنَعَ فَإِنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ جَمِيعًا ،
صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

(١) العقار بضم العين : خيار الكلا والعقار بفتح العين : النخل .

(٢) الغرب : الدلو الكبيرة ويراد ما كان يعمل وسقى بالأيدي .

وعلى هذا الأسلوب .

كتب أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب كرم الله وجهه عهدَ مالكِ الأَشتر^(١) النَّخَعِي ، حين ولاء مصر ، وهو من العهود البليغة ، جمع (١٩٣ ب) فيه بين معالم التقوى وسياسة الملك .

وهذه نسخته (٢)

هذا ما أمر عليُّ أمير المؤمنين مالكَ بن العارث الأَشتر في عهده إليه حين ولاء مصر : جباية خراجها ، وجهاد عدوها ، واستصلاح أهلها ، وعمارة بلادها ، وأمره بتقوى الله وإيثار طاعته ، واتباع ما أمر به في كتابه من فريضته^(٣) وسنته ، التي لا يسعد أحدٌ إلا باتباعها ، ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها ، وأن ينصر الله تعالى بيده وقلبه ولسانه ، فإنه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره ، وإعزاز من أعزه . وأمره أن يكسر من نفسه عند الشهوات ، ويَزَعها عند الجَمَحات ، فإن النفس لأَمارة بالسوء إلا ما رحم الله .

(١) في الأصل « بن الأَشتر »

(٢) صبح الأعشى : ١٠ ص ١٢

(٣) في صبح الأعشى : من فرائضه ، وسنته التي

ثم اعلم يا مالك أنى قد وجهتُك إلى بلاد قد جرت عليها
دول قبلك : من عدل وجور ، وأن الناس يبصرون (١)
من أمورك [مثل] ما كنت تنظر فيه من أمر الولاية قبلك ،
ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم . وإنما يُسندل على
الصالحين بما يُجرى الله لهم على ألسن عباده ، فليكن
أحب الذخائر إليك (٢) العمل الصالح . فاملِكْ هواك ،
وشحَّ بنفسك عما لا يحل لك ، فإن الشح بالنفس
الانتصافُ منها فيما أحبت وكرهت ، وأشعر قلبك بالرحمة
للرعية ، والمحبة لهم ، واللطف بهم ، ولا تسكوننَّ عليهم
سبعا ضاريا ، تغتم أكلهم ، فإنهم صنفان : إما أخ لك
في الدين ، وإما نظير لك في الخلق : يفرطُ منهم الزلل ،
وتعرض لهم العلل ، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطا ،
فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذى تحب أن يعطيك
الله من عفوه وصفحه ، فإنك فوقهم (٣) ووالى الأمر
عليهم فوقك ، والله فوق من ولاك . وقد استكفأك أمرهم ،
(١١٩٤) وابتلاك بهم ، ولا تنصبنَّ نفسك لحرب الله ،

(١) في صبح الأعشى : ينظرون .

(٢) في صبح الأعشى : فليكن أحب العمل إليك ذخيرة العمل

(٣) في الأصل فإنك تويمهم . والتصويب من صبح الأعشى .

فإنه لا يد لك^(١) بنقمته ، ولا غنى بك عن عفوهِ ورحمته ،
 ولا تندمن على عفو ، ولا تبججن بعقوبة ، ولا تسرعن إلى
 زيادة^(٢) وجدت عنها مندوحة ، ولا تقولن إني امرؤ آمر
 فأطاع : فإن ذلك إدغال في القلب ، ومهلكة في الدين ،
 وتقرب من العثر^(٣) ، فإذا أحدث لك ما أنت فيه من
 سلطانك أبهة أو مخيأة فانظر إلى عظم ملك الله تعالى فوقك ،
 وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك ، فإن ذلك
 يُطامن إليك من طماحك ، ويكف عنك من غرتك^(٤)
 ويفيء إليك بما عزب عنك من عقلك ، وإياك ومساماة الله
 في عظمته ، والتشبه به في جبروته ، فإن الله يُذل كل
 جبار ، ويهين كل مختال .

أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة
 أهلك ، ومن لك فيه هوى من رعيّتك ، فإنك إلا تفعل
 تظلم ، ومن ظلم عبادة الله كان الله خصمه دون عباده ،
 ومن خصمه الله أدحض الله حجته ، وكان لله حربا حتى

(١) في صبح الأعشى : لا يد لك بنقمته .

(٢) في صبح الأعشى : ولا تسرعن إلى بادرة .

(٣) في صبح الأعشى : وتقرب من الغير .

(٤) في صبح الأعشى : من غرتك .

ينزع ويتوب ، وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل
 نقمته من إقامة على ظلم [فإن الله سميع يسمع دعوة
 المظلومين وهو للظالمين بالمرصاد] وليكن أحب الأمور إليك
 أوسطها في الحق وأعملها في العدل^(١) ، وأجمعها لرضى الرعية ،
 فإن سخط العامة يجحف برضى الخاصة ، وإن سخط
 الخاصة يُغتفر مع رضى العامة ، وليس أحد من الرعية
 أثقل على الوالى مؤونة في الرخاء ، وأقل معونة له في البلاء ،
 وأكثر للانتصاف^(٢) وأسأل بالإلحاف ، وأقل شكرا عند
 الإعطاء ، وأبطأ عذرا عند المنع ، وأضعف صبورا عند
 ملومات الدهر ، من أهل الخاصة ؛ وإنما عمود الدين ،
 وجماع المسلمين ، والعدة للأعداء ، العامة من الأمة ،
 فليكن صفوك لهم ، وميلك معهم ، وليكن أبعد
 رعيته منك ، وأشأنهم عندك ، أطلبهم لمعايب الناس :
 فإن للناس عيوباً والوالى أحقُّ بسترها ، فلا تكشفنَّ عما
 غاب عنك منها ، فإنما عليك تطهير ما ظهر [لك] ، والله
 يحكم على ما غاب عنك (١٩٤ ب) منها ، فاستر العورة

(١) في صحيح الأعمى : وأعملها .

(٢) في صحيح الأعمى : « وأكره للإنصاف » وهو الأصوب المناسب للمقام .

ما استطعتَ يستر الله ما تحب ستره من عيبك .

أطلق عن الناس عُقدة كل حقد ، واقطع عنهم سبب كل وتر ، وتَجَافَ عن كلِّ ما لا يَصِحُّ لك ، ولا تعجلنَّ إلى تصديق ساع ، فإن الساعي غاشٌّ وإن تشبَّه بالناصحين ، ولا تُدخِلَنَّ في مشورتك بخيلاً يَعْدل بك عن الفضل ، ويعدك الفقر ، ولا جباناً يُضعفك عن الأمور ، ولا حريصاً يزين لك الشرَّ بالجور ، فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله .

شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً ، ومن شاركهم في الآثام ، فلا يكوننَّ لك بطانة ، فإنهم أعوان الأئمة ، وإخوان الظلمة ، وأنت واجد منهم خير الخلف ، من له مثل آرائهم ونفادهم ، وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم ، ممن لم يعاون ظالماً على ظلمه ، ولا آثماً على إثمِهِ ، أولئك أخفُّ عليك مئونة ، وأحسن لك معونة ، وأحنى عليك عطفاً ، وأقلُّ لغيك^(١) إلفاً ، فاتخذ أولئك خاصةً لخلواتك [وحفلاتك] ، ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم [لك] بمرِّ الحقِّ ، وأقلِّهم مساعدة فيما يكون

(١) في صبح الأعشى : « لغيرك » وهي أليق .

منك مما كره الله لأوليائه ، واقعا ذلك من هواك حيث وقع ،
والصق بأهل الصدق والورع ، ثم رُضهم على أن
لا يَضُرُّوك (١) ولا يبجحوك بباطل لم تفعله ، فإن كثرة
الإصغاء (٢) تحدث الزهو ، وتُدنى من الغرّة ، ولا يكوننَّ
المحسنُ عندك والمسيءُ بمنزلة واحدة ، فإن في ذلك ترهيبا
لأهل الإحسان ، وتدريبا لأهل الإساءة (٣)

وإنك لا تدري إذا جاء سائل

أأنت بما تُعطيه أم هو أسعدُ

عسى سائلٌ ذو حاجةٍ إن منعه

من اليوم سُؤلاً أن يكون له غدُ

وفي كثرة الأيدي عن الجهل زاجر

وللحلم أبقى للرجال وأعودُ

(١) في صبح الأعشى : « ألاَّ يُطْرُوكَ » وهي أحسن .

(٢) في صبح الأعشى : الإطراء .

(٣) في صبح الأعشى تزييداً لأهل الإحسان [في الإحسان] وتدريباً لأهل الإساءة [في الإساءة]
هذا وزيادة ما بين الأقواس هي نقل عن كتاب مفتاح الأفكار وشرح نهج البلاغة أما أصل
صبح الأعشى فخال من الزيادة .

(١١٩٥) وعلى هذا النمط

كتب أبو إسحاق الصابى عن الخليفة الطائع ، لفخر الدولة بن ركن الدولة بن بويه فى جمادى الأولى سنة ست وستين وثلاثمائة .

وهذه نسخته (١)

هذا ما عهدَ عبد الله عبد الكريم [الإمام] الطائع (٢)
لله أمير المؤمنين إلى فخر الدولة أبى [الحسن بن ركن
الدولة أبى] على مولى أمير المؤمنين حين عرف غناؤه وبلاءه
واستنصح دينه ويقينه ، ورعى قديمه وحديثه ، واستنجب
عوده ونجاره ، وأثنى عز الدولة أبو منصور بن معز الدولة
أبى الحسين مولى أمير المؤمنين [أيده الله] (٣) عليه ، وأشار
بالمزيد فى الصنيعة إليه ، وأعلم أمير المؤمنين اقتدائه به
فى كل مذهب ذهب فيه فى الخدمة ، وغرض رضى إليه
من النصيحة ، دخولا فى زمرة الأولياء (٤) ، وتصرفا على

(١) صحیح الأعشى - ١٠ ص ١٥

(٢) أضيف فى صحیح الأعشى نقلا عن رسائل الصابى والمثل السائر لفظة [الإمام] الطائع .

(٣) أضيف فى صحیح الأعشى نقلا عن رسائل الصابى والمثل السائر عبارة [أيده الله] .

(٤) أضيف فى صحیح الأعشى نقلا عن رسائل الصابى والمثل السائر عبارة [المنصورة] ،
وخروجا عن جماعة الأعداء المدسورة .

هوجبات البيعة التي هي بعز الدولة أبي منصور منوطة ،
وعلى سائر من يتلوه ويتبعه ظاهرة (١) مشروطة ،
فقلده الصلاة وأعمال الحرب ، والمعاون والأحداث ،
والخراج ، والأعشار ، والضِّياع ، والجَهْبَذة ،
والصدقات ، والجوائى ، وسائر وجوه الجبايات [والعرض]
والعطاء (٢) والنفقة في الأولياء [والمظالم وأسواق الرقيق] (٣)
والغيار في دور الضرب والطرز والحسبة بِكُور هَمْدَانَ ،
وَأَسْتَرَابَادَ ، والدِّينُورَ ، وَقَرْمِيسِينَ ، والإيغَارِينَ ، [وأعمال]
أذربيجان (٤) وَأَرَانَ ، والسَّحَانِينَ ، ومُوقَانَ . واثقا منه باستبقاء
النعمة واستدامتها ، والاستزادة بالشكر منها ، والتجنب
لغَمَطِهَا وجُحُودِهَا ، والتنكُّبُ لإيْحَاشِهَا وتنفيرها ،
والتعمد لما مَكَّنَ له الحُطُوةَ والزلفى ، وحرس عليه
الأثرة والقربى ، بما يظهره ويضمّره من الوفاء الصحيح ،
والولاء الصريح ، والغيب الأمين ، والصدر السليم ،
والمقاطعة لكل من قاطع العُصبة ، وفارق الجملة ،

(١) في صبح الأعشى مأخوذة مشروطة .

(٢) أضيف في صبح الأعشى نقلا عن رسائل الصابى والمثل السائر [والعرض] والعطاء .

(٧) الزيادة عن صبح الأعشى نقلا عن رسائل الصابى والمثل السائر .

(٤) أضيف في صبح الأعشى نقلا عن رسائل الصابى والمثل السائر لفظة [وأعمال] أذربيجان .

والمواصلة لكل (١٩٥ ب) من حمى البيضة وأخلص
النية - والكون تحت ظل أمير المؤمنين وذمته ، ومع
عز دولته أبي منصور في حوزته ، والله جل اسمه يعرف
لأمير المؤمنين حسن العقبي فيما أبرم ونقض ، وسداد
الرأى فيمن رفع وخفض ، ويجعل عزائمهم مقرونة
بالسلامة ، محجوبة عن موارد الندامة ، وحسب أمير المؤمنين
الله ونعم الوكيل .

أمره بتقوى الله التي هي العصمة المتينة ، والجنة
الحصينة ، والطود الأرفع ، والمعاذ الأيمن ، والجانب
الأعز . ، والملجأ الأحرز ، وأن يستشعرها سرا وجهرا ،
ويستعملها قولاً وفعلاً ، ويتخذها ذخراً نافعا (١) لنوائب
القدر ، وكهفاً حامياً من حوادث الغير ، فإنها أوجب
الوسائل ، وأقرب الذرائع ، وأعوذها على العبد بمصالحه ،
وأدعها إلى كل مناجحه (٢) وأولها بالاستمرار على
هدايته ، والنجاة من غوايته ، والسلامة في دنياه ،
حين تُوبق موبقاتها ، وتردى مردياتها ، وفي آخرته حين

(١) في صبح الأعشى : ردء ٣٠٤ دانفا .

(٢) في صبح الأعشى : سبل مناجحه .

تروّع رائعاتها ، وتخيف مخيفاتها ، وأن يتأدب بآداب
الله في التواضع والإخبات ، والسكينة والوقار ، وصدق اللهجة
إذا رمق ، وكظم الغيظ إذا حنق (١) ، وحفظ اللسان (٢)
إذا غضب ، وكف اليد عن المآثم ، وصون النفس عن
المحارم ، وأن يذكر الموت الذي هو نازل به ، والموقف
الذي هو صائر إليه ، ويعلم أنه مسئول عما اكتسب ،
مَجْزِيٌّ عما تَزَمَّكَ (٣) واحتقّب ، ويتزود من هذا الممر ،
لذاك المقر ، ويستكثر من أعمال الخير لتنفعه ، ومن
مَساعِي البرِّ لتنقذه ، ويأتمر بالصالحات قبل أن يَأْمُرَ
بها ، ويزدجر عن السيئات قبل أن يَزْجُرَ عنها ،
ويبتدئ بإصلاح نفسه قبل إصلاح رعيته ، فلا
يبعثهم على ما يأتي ضده ، ولا ينهاهم عما يقترف مثله ،
ويجعل ربه رقيباً عليه في خلواته ، ومروءته مانعة من
شهواته ، فإن أحق من غلب سلطان الشهوة ، وأولى من
صرع أعداء الحمية ، من (١٩٦) مَلِكْ أَرْمَةِ الْأُمُورِ ،

(١) في صبيح الأعشى : وكظم الغيظ إذا أحفظ .

(٢) في صبيح الأعشى : وضبط اللسان

(٣) في صبيح الأعشى : ترمك وفي هامشه أنه في رسائل الصابي : ترمك . هذا وتزمك من زمك
القرية مألها .

واقتر على سياسة الجمهور ، وكان مطاعا فيما يرى ،
متبعا فيما يشاء ، يلي على الناس ولا يكون عليه ،
ويقتص منهم ولا يقتصون منه (١) ، فإذا اطلع الله منه على
نقاء جيبه ، وطهارة ذيله ، وصحة سيرته ، واستقامة
سيرته ، أعانه على حفظ ما استحفظه ، وأنهضه بثقل
ما حمّله ، وجعل له مخلصاً من الشبهة ومخرجا من الحيرة ،
فقد قال تعالى ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً . وَيَرْزُقْهُ مِنْ
حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (٢) وقال عز من قائل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (٣)
وقال ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٤) إلى آي
كثيرة حضنا بها على أكرم الخلق ، وأسلم الطرق ،
فالسعيد من نصبها إزاء ناظره ، والشقى من نبذها وراء
ظهره ، وأشقى منهما من بعث عليها وهو صادق عنها ،
وأهاب إليها وهو بعيد منها ، وله ولأمثاله يقول الله تعالى
﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ

(١) في الأصل ويقبض منهم ولا يقبضون منه .

(٢) سورة الطلاق الآية ٢ و ٣

(٣) سورة آل عمران الآية ١٠٢

(٤) سورة التوبة الآية ١١٩

الْكِتَابَ أَفْلا تَعْقِلُونَ ﴿١﴾ وأمره أن يتخذ كتاب الله إماماً متبعاً ، وطريقاً مُتَوَقَّعاً ﴿٢﴾ ويكثر من تلاوته إذا خلا بفكره ، ويملاً بتأمله أرجاء صدره ، فيذهب معه فيما أباح وحظر ، ويقتدى [به] إذا نهى وأمر ، ويستبين ببيانه إذا استغلقت دونه المعضلات ، ويستضيء بمصابيحها إذا غمَّ عليه في المشكلات ، فإنه عروة الإسلام الوثقى ، ومحجته الوسطى ، ودليله المقنع ، وبرهانه المرشد ، والكاشف لظلم الخطوب ، والشافى من مرض القلوب ، والهادى لمن ضلَّ ، والمتلافى لمن زلَّ ، فمن نجا ﴿٣﴾ به فقد فاز وسلم ، ومن لها عنه فقد خاب وندم ، قال الله تعالى ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ . لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ ﴿٤﴾ . وأمره أن يحافظ على الصلوات ، ويدخل فيها في حقائق الأوقات ، قائماً على حدودها ، (١٩٦ب) متبعاً لرسومها ، جامعاً فيما بين نيته ولفظه ، متوقفاً

(١) سورة البقرة الآية ٤٤ .

(٢) كذا هي في أصول صبح الأعشى والأصل الذى بين أيدينا والمثل السائر أما في اللسان فيقال طريق موقع «على وزن معظم» : مدلل .

(٣) في صبح الأعشى : فمن لهج به .

(٤) سورة فصلت الآيتان ٤١ ، ٤٢ .

للمطامح سهوه واحظه ، منقطعا إليها عن كل قاطع لها ، مشغولا بها عن كل شاغل عنها ، مثبتاً في ركوعها وسجودها ، مستوفيا عدد مفروضها ومستونها ، موفراً عليها ذهنه ، صارفاً إليها همه ، عالماً بأنّه واقف بين يدي خالقه ورازقه ، ومحبيه وممّيته ، ومعاقبه ومثيبه ، لا يُسْتَرُّ دونه خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، فإذا قضاهَا على [هذه السبيل] منذ تكبيرة الإحرام إلى خاتمة التسليم ، أَتْبَعَهَا بدعاء يرتفع بارتفاعها [وَيُسْتَمَعُ باستماعها] (١) ولا يتعدى فيه مسائل الأبرار ، ورجائب الأخيار ، من استصفاح واستغفار ، واستقالة واسترحام ، واستدعاء لصالح الدين والدنيا ، وعوائد الآخرة والأولى ، فقد قال تعالى ﴿ وَإِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ (٢) وقال تعالى ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ (٣) وأمره بالسعى في أيام الجُمُع في المساجد الجامعة ، وفي الأعياد إلى المصليات الضاحية ، بعد التقدم في فرشها وكسوتها ، وجمع القوام والمؤذنين والمكبرين فيها ،

(١) أضيف في صبح الأعشى نقلا عن رسائل الصابي المطبوعة [ويستمع باستماعها] .

(٢) سورة النساء الآية ١٠٣

(٣) سورة النكبات الآية ٤٥

واستسعاء الناس إليها ، وحضهم عليها ، آخذين الأهبة ،
 متنظفين في البيزة ، مؤدين لفرائض الطهارة ، وبالغين
 في ذلك أقصى الاستقصاء (١) ، معتقدين خشية الله وخيفته ،
 مذكرين تقواه ومراقبته ، مكثرين من دعائه - عز وجل -
 وسؤاله ، مصليين على محمد رسوله صلى الله عليه وسلم
 وعلى آله ، بقلوب على اليقين موقوفة ، وهمم إلى الدين
 مصروفة ، وألسن بالتسييح والتقديس فصيحة ، وآمال
 في المغفرة والرحمة فسيحة ، فإن هذه المصليات والمتعبّدات
 بيوت الله التي فضلها ، ومناسكها التي شرفها ، وفيها يتلى
 القرآن [ومنها ترتفع الأعمال . وبها يلوذ اللائذون] ، (٢)
 ويعوذ العائدون ، ويتعبّد المتعبّدون ، ويتهجّد المتهجّدون ،
 وحقيق على المسلمين أجمعين - من والٍ ومؤلّي عليه - أن
 يصونوها ويعمروها ، ويواصلوها ولا يهجرها ، (١٩٧) ،
 وأن يقيموا الدعوة على منابرها لأمير المؤمنين ثم لأنفسهم
 على الرسم الجاري فيها ، قال الله تعالى في هذه الصلاة ﴿ يَا أَيُّهَا
 الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى

(١) في صبح الأعشى : أقصى الاستطاعة .

(٢) أضيفت هذه الزيادة في صبح الأعشى نقلا عن رسائل الصابى والمثل السائر .

ذَكَرَ اللَّهُ وَذَرُّوا الْبَيْعَ ﴿١﴾ وقال في عمارة المساجد ﴿إِنَّمَا
يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ
وَأَتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا
مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ (٢) .

وأمره أَنْ يرعى أحوال من يليه ، من طبقات جند أمير
المؤمنين ومواليه ، ويطلق لهم الأرزاق ، في وقت الوجوب
والاستحقاق ، وأن يحسن في معاملتهم ، ويجمال في
استخدامهم ، ويتصرف في سياستهم : بين رفق من غير
ضعف ، وخشونة من غير عنف ، مثيباً لمحسنهم ما زاد
بالإبانة (٣) في حُسن الأثر ، وسلم معها من دواعي الأشر ،
ومتعمداً لمسيئهم ما كان التغمده لهما نافعاً ، وفيه ناجعا ،
فإن تكررت زلاته ، وتتابعت عثراته ، تناوله من عقوبته
بما يكون له مصلحا ، ولغيره واعظا ، وأن يختص
أكابرهم وأماثلهم وأهل الرأي والخطر منهم بالمشاورة في
العلم ، والاطلاع على بعض المهم ، مستخلصاً نخائل قلوبهم
بالبسط والإدناء ، ومستشحذاً بصائرهم بالإكرام والاحتفاء

(١) سورة الجمعة الآية ٩

(٢) سورة التوبة الآية ١٨

(٣) الكلمة في الأصل غير منقوطة وتبعنا صبح الأعشى .

فإن في مشاورة هذه الطبقة استدلالاً على مواقع الصواب وتحريزاً من غلط الاستبداد ، وأخذاً لمجامع الجزامة ، وأمناً من مفارقة الاستقامة ، وقد حض الله تعالى على الشورى في قوله لرسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (١) .

وأمره أن يعمد لما يتصل بنواحيه من ثغور المسلمين ، ورباط المرابطين ، ويقسم لها قسماً وافراً من عنايته ، ويصرف إليها طرفاً بل شطراً من رعايته ، ويختار لها أهل الجلد والشدة ، وذوى البأس والنجدة ، ممن عجمته الخطوب ، (١٩٧ ب) وعركته الحروب ، واكتسب دربة بخدع المنازليين (٢) ، وتجربة بمكائد المتقارعين ، وأن يستظهر بكشف عددهم ، واختيار عُددهم ، وانتخاب خيلهم ، واستجادة أسلحتهم ، غير مُجمِرٍ بعثاً إذا بعثه ، ولا مستكرهه إذا وجهه ، بل يناوب بين رجاله مناوبة تريحهم ولا تملهم ، وترفهم ولا تؤودهم ، فإن ذلك من فائدة الإجمام ، والعدل في الاستخدام ، وتنافس رجال

(١) سورة آل عمران الآية ١٥٩

(٢) في صبح الأعشى : بخدع المتنازليين .

النوب فيما عاد عليهم بعد الظفر والنصر ، وبعد الصيت والذكر ، وإحراز النفع والأجر ، ما يحق أن يكون الولاة به عاملين ، وللناس عليه حاملين ، وأن يكرر في أسماعهم ، ويثبت في قلوبهم ، مواعيد الله لمن صابر ورابط ، وسمح بالنفس وجاهد ، من حيث لا يقدمون على تورط غرّة ، ولا يحجمون عن انتهاز فرصة ، ولا ينكصون عن توردد معركة ، ولا يلقون بأيديهم إلى التهلكة ، فقد أخذ الله تعالى ذلك على خلقه والمرامين عن دينه ، وأن يزيح العلة فيما يحتاج إليه من راتب نفقات هذه الثغور وحادثها ، وبناء حصونها ومعقلها ، واستطراق طرقها ومسالكتها ، وإفاضة الأقوات والعلوفات للمتربين فيها وللمترددين إليها والحامين لها ، وأن يبذل أمانه لمن يطلبه ، ويعرضه على من لم يطلبه ، ويفي بالعهد إذا عاهد ، وبالعقد إذا عاهد ، غير مخفر ذمة ، ولا جارح أمانة ، فقد أمر الله تعالى بالوفاء فقال جل من قائل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ (١) ونهى عن النكث فقال عز من قائل ﴿ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ (٢) .

(١) سورة المائدة الآية ١

(٢) سورة الفتح الآية ١٠

وأمره أَنْ يَعْرِضَ مَنْ فِي حُبُوسِ عَمَلِهِ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ
 [وإنعام النظر في جنایاتهم وجرائمهم] (١) فمن كان إقراره
 واجبا أقره ، ومن كان إطلاقه سائغا أطلقه ، وأن ينظر
 في الشرطة والأحداث نظر عدل وإنصاف ، ويختار لها من
 الولاية من يخاف الله تعالى ويتقيه ، ولا يُحَابِي ولا يراقب الله
 فيه ، ويتقدم إليهم بقمع الجهال ، وردع الضلال ، وتتبع
 الأشرار ، (١١٩٨) وطلب الدُّعَار ، مستدلين على أماكنهم ،
 متوغلين إلى مكائهم ، متولِّجين عليهم في مظانهم .
 متوثقين ممن يجدونه منهم ، منفذين أحكام الله تعالى
 فيهم ، بحسب الذي يتبين من أمورهم ، ويتضح من فعلهم ،
 في كبيرة ارتكبوها ، وعظيمة احتقبوها ، ومهجة أفاضوها
 واستهاكوها ، وحرمة أباحوها وانتهاكوها ، فمن استحق
 حدا من حدود الله المعلومة أقاموه عليه غير مخفضين منه ،
 وأحلَّوه به غير مقصرين عنه ، بعد ألا يكون عليهم في
 الذي يأتون به حجة ، ولا تعترضهم في وجوبه شبهة ،
 فإن المستحب (٢) في الحدود أن تقام بالبينات ، وأن تدرأ

(١) أضيفت الزيادة من صبح الأعشى نقلا من رسائل الصابي . وفي صبح الأعشى على جرائمهم
 فمن كان إقراره .

(٢) في صبح الأعشى : فإن الواجب

بالشبهات ، فأولى ما تَوَخَّاهُ رِعاةُ الرعايا فيها ألا يقدموا عليها مع نقصان ، ولا يتوقفوا عنها مع قيام دليل وبرهان ، ومن وجب عليه القتل احتاط عليه بمثل ما يُحتاط به على مثله : من الحبس الحصين ، والتوثق الشديد ، وكتب إلى أمير المؤمنين بخبره ، وشرح جنايته ، وثبوتها بإقرار يكون منه ، أو شهادة تقع عليه ، ولينتظر من جوابه ما يكون عمله بحسبه ، فإن أمير المؤمنين لا يُطَلِّقُ سفك دم مسلم أو معاهد إلا ما أحاط به علما ، وأتقنه فهما ، وكان ما يمضيه فيه عن بصيرة لا يخالطها شك ولا يشوبها ريب . ومن أَلَمَّ بصغيرة من الصغائر ، ويسيرة من الجرائر ، من حيث لم يُعرف له مثلها ، ولم تتقدم له أختها ، وعظهُ وزجره ، ونهاه وحذره ، واستتابه وأقاله ، ما لم يكن عليه خصم في ذلك يطالب بقصاص منه ، وجزاء له ، فإن عاد تناوله من التقويم والتهذيب ، والتغريب ^(١) والتأديب ، بما يرى أنه قد كفى فيما اجترم ، ووفى فيما قدم ، فقد قال تعالى ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ

(١) في صحيح الأعمش « التعزير » هذا والتعزير هو اللوم والتأديب وهو أصلح للمعنى ، وكلمة التغريب أيضا صالحة للمقام .

حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١﴾

وأمره أَنْ يُعْطَلَ ما في أعماله من الحانات والمواخير ،
ويطهرها من القبائح والمناكير ، ويمنع من تجمع أهل
الخبث فيها ، ويؤلف شملهم بها : فإنه (١٩٨ ب) شَمَلٌ
يصلحه التشيت ، وجمع يحفظه التفريق ، وما زالت
هذه المواطن الذميمة ، والمطارح الدنية ، داعية لمن يَأْوِي
إليها ، ويعكف عليها ، إلى ترك الصلوات ، وركوب
المنكرات ، واقتراف المحظورات ، وهى بيوت الشيطان
التي فى عمارتها لله مغضبة ، وفى إخراجها للخير مجلبة ،
والله تعالى يقول لنا معشر المؤمنين ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ
لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ ﴾ (٢) ويقول عز من قائل لغيرنا من المذمومين
﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ
فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيَاً ﴾ (٣) .

وأمره أَنْ يُؤَلَّى الحماية فى هذه الأعمالِ أَهْلَ الكفاية

(١) سورة البقرة الآية ٢٢٩

(٢) سورة آل عمران الآية ١١٠

(٣) سورة مريم الآية ٥٩

والغناء من الرجال ، وأن يضم إليهم كل من خف ركابه ،
فأسرع عند الصريخ جوابه ، مرتباً لهم في المسالح ،
وساداً بهم تُغَرَّ المسالك ، وأن يوصيهم بالتيقظ ، ويأخذهم
بالتحفظ ، ويزيح عنهم ، في عُلوِّة خيلهم ، والمقرر
من أزوادهم — وَمِيرِهِمْ ، حتى لا يثقل لهم على البلاد
وطأة ، ويدعوهم إلى تحيفهم وتلميمهم حاجة ، وأن يحوطوا
السابلة بادئة وعائدة ، ويتداركوا القوافل صادرة وواردة ،
ويحرسوا الطرق ليلاً ونهاراً ، ويتقصوها رواحاً وإبكاراً ،
وينصبوا لأهل العبث الأرصاد ، ويتمكنوا لهم بكل واد ،
ويتفرقوا عليهم حيث يكون التفرق مضيقاً لفضائهم ،
ومؤدياً إلى انفضاضهم ، ويجتمعوا حيث يكون الاجتماع
مطفئاً لجمرتهم ، وصادعاً لمرواتهم ، ولا يُخلوا هذه السبل
من حماة لها وسيارة فيها : يترددون في جواديتها ، ويتعسفون
في عواديتها ، حتى تكون الدماء محقونة ، والأموال مصونة ،
والفتن محسومة ، والغارات مأمونة ، ومن حصل في أيديهم
من لص خاتل ، وصعلوك خارب ، ومخيف لسبيل ، ومنتهك
لحریم ، أمثل فيه أمر أمير المؤمنين الموافق لقول الله عز وجل
﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ

فَسَادًا (١٩٩) أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ
وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ
فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ .

وأمره أن يوضع الرصد على من يجتاز في أعماله من أبق العبيد ، والاحتياط عليهم وعلى من يكون معهم ، والبحث عن الأماكن التي فارقوها ، والطرق التي استطرقوها ، ومواليهم الذين أبقوا منهم ونشزوا عنهم ، وأن يردوهم عليهم قهرا ، ويعيدوهم إليهم صغرا ، وأن يُنشدوا الضالة بما أمكن أن تُنشد ، ويحفظوها على ربها بما جاز ، أن تحفظ ، ويتجنبوا الامتطاء لظهورها والانتفاع بأوبارها وألبانها مما يُجَزُّ ويحلب ، وأن يُعرفوا اللقطة ويتبعوا أثرها ، ويشيعوا خبرها ، فإذا حضر صاحبها وعلم أنه مستوجبها سلّمت إليه ، ولم يُعترض فيها عليه ، فإن الله عز وجل يقول ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ (٢) ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ضالة المؤمن حرق النار » . (٣)

(١) سورة المائدة الآية ٣٣

(٢) سورة النساء الآية ٥٨

(٣) انظر النهاية لابن الأثير - مادة حرق .

وأمره أن يوصى عماله بالشد على أيدي الحكام ،
 وتنفيذ ما يصدر عنهم من الأحكام ، وأن يحضروا
 مجالسهم حضور الموقرين لها ، الذابيين عنها ، المقيمين
 لرُسوم الهيبة وحدود الطاعة فيها ، ومن خرج عن ذلك
 من ذى عقل سخييف ، وحلم ضعيف ، نالوه بما
 يردعه ، وأحلُّوا به ما يزعه ، ومتى تقاعس متقاعس عن
 حضورٍ مع خصم يستدعيه ، وأمرٍ يوجه الحاكم إليه فيه ،
 أو التوى ملتوٍ بحق يحصل عليه ، ودين يستقر في ذمته ،
 قادوه إلى ذلك بأزمة الصغار ، وخزائم الاضطرار ، وأن
 يُجَبَسُوا ويظلفوا بقولهم ، ويثبتوا الأيدي في الأملاك
 والفروج وينزعوها بقضايهاهم ، فإنهم أمناء الله في فصل
 ما يفصلون ، وبت ما يبتون ، وعن كتابه وسنة نبيه
 صلى الله عليه وسلم يُوردون [ويُصدرون] وقد قال تعالى
 ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ (١٩٩ب) ﴾
 بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ، وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ
 اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا
 نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿ (١) ﴾ ، وأن يتوخى بمثل هذه المعاونة

(١) سورة ص الآية ٢٦

عمال الخراج في استيفاء حقوق ما استعملوا عليه ،
 واستيضاف بقائهم (١) فيه ، والرياضة لمن تسوء طاعته
 من مُعاملهم ، وإحضارهم طائعين أو كارهين بين أيديهم ،
 فمن آداب الله تعالى للعبد الذي يحق عليه أن يتخذها
 [أديبا] (٢) ، ويجعلها إلى الرضى عنه سببا ، قوله تعالى
 ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ
 وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٣) .

وأمره أن يجلس للرعية جلوساً عاماً ، وينظر في مظالمها
 نظراً تاماً ، يساوى في الحق بين خاصها وعامها ، ويوازي
 في المجالس بين عزيزها وذليلها ، وينصف المظلوم من
 ظالمه ، والمغضوب من غاصبه ، بعد الفحص والتأمل
 والبحث والتبيين ، حتى لا يحكم إلا بعدل ، ولا ينطق
 إلا بفصل ، ولا يُثبَّت يداً إلا فيما وجب تثبيتها فيه ،
 ولا يقبضها إلا عما وجب قبضها عنه ، وأن يسهل
 الإذن لجماعتهم ، ويرفع الحجاب بينه وبينهم ، ويوليهم
 من حصانة الكنف ، ولين المنعطف ، والاشتمال

(١) في صبح الأعشى : واستنطاق بقاياهم فيه .

(٢) الزيادة في صبح الأعشى نقلا عن رسائل الصابي المطبوعة والمثل السائر :

(٣) سورة المائدة الآية ٢

والعناية ، والصون والرعاية ، ما يتعادل به أقسامهم ،
وتتوازي (١) منه أقساطهم ، ولا يصل المسكين منهم إلى
استنظامه من تأخر عنه ، ولا ذو السلطان إلى هزيمة من
حلّ دونه ، وأن يدعوهم إلى أحسن العادات [والخلائق] (٢) ،
ويحضهم على أحمد (٣) المذاهب والطرائق ، ويحمل
عنهم كلّه ، ويمد عليهم ظلّه ، ولا يسومهم عسفاً (٤)
ولا يلحق بهم حيفاً ، ولا يكلفهم شططاً ولا يجشّمهم
مضلعاً ، ولا يثلم لهم معيشة ، ولا يداخلهم في جريمة ،
ولا يأخذ بريئاً [منهم] بسقيم ، ولا حاضرًا ببعيد ، فإن الله
عز وجل نهى أن تزرَّ وازرةٌ وزرٌ أخرى ، وجعلَ كلَّ
نفس (١٢٠٠) رهينةً بمكسبها ، بريئة من مكاسب
غيرها . ويرفع عن هذه الرعية ما عسى أن يكون سنَّ
عليها من سنة ظالمة ، وسلك بها من محجة جائرة ، ويستقرى
آثار الولاية قبله عليها ، فيما أزجوه من خير أو شر إليها ،
فيُقرّ من ذلك ما طاب وحسن ، ويزيل ما خبث وقبح :

(١) في صبح الأعشى : وتوازن .

(٢) الزيادة من صبح الأعشى نقلاً عن المثل السائر . وفي الأصل : ولا يصل إلى ركين منهم
إلى استنظامه ما تأخر عنه ولا ذوا السلطان

(٣) في صبح الأعشى : أجمل .

(٤) في صبح الأعشى : عسفاً .

فإن من يغرس الخير يحظى بمسول ثمره . ومن يزرع الشر
يصلى بمرور ريعه ، والله تعالى يقول : ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ
يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا
كَذَلِكَ نَصْرَفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ (١) .

وأمره أن يصون أموال الخراج وأثمان الغلات
ووجوه الجبايات موفراً ، ويزيد ذلك مثمراً ، بما يستعمله
من الإنصاف لأهلها ، وإجرائهم على صحيح الرسوم
فيها : فإنه مال الله الذي به قوة عباده ، وحماية بلاده ،
ودرور حلبه ، واتصال مدده ، وبه يحاط الحريم ، ويدفع
العظيم ، ويحمى الدمار ، وتُذاد الأشرار ، وأن يجعل
افتتاحه إياه بحسب إدراك أصنافه ، وعند حضور مواقيته
وأحيانه ، غير مستسلف شيئاً قبلها ، ولا مؤخر لها عنها ،
وأن يخص أهل الطاعة والسلامة بالترفيه لهم ، وأهل
الاستصعاب والامتناع بالشد (٢) عليهم ، لتلايقع
إرهاق لذعن ، أو إهمال لطامع . وعلى المتولى لذلك أن
يضع كلاً من الأمر موضعه ، ويوقعه موقعه ، متجنباً

(١) سورة الأعراف الآية ٥٨

(٢) في صحيح الأعشى : بالشد .

إحلال الغلظة من لا يستحقها ، وإعطاء الفسحة من ليس
من أهلها ، والله تعالى يقول ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا
مَا سَعَى . وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يَرَى . ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴾ (١)

وأمره أن يتخير عماله على الأعشار ، والخراج ،
والضياع . والجهدة ، والصدقات ، والجوالى ، من أهل
الظلف والنزاهة ، والضبط والصيانة ، والجزالة والشهامة ،
وأن يستظهر مع ذلك عليهم بوصية تعيها أسماعهم ، وعهود
تتقلدها أعناقهم ، بأن لا يضيعوها حقا ، ولا يأكلوها
سحتا (٢٠٠ ب) ولا يستعملوها ظلما ، ولا يقارفوا
غشما . وأن يقيموا العمارات ، ويحتاطوا [على الغلات] (٢)
ويتحرزوا من ترك حق لازم ، أو تعطيل رسم عادل ، مؤدين
في جميع ذلك الأمانة ، متجنبين للخيانة ، وأن يأخذوا
جهابذتهم باستيفاء وزن المال على تمامه ، واستجادة نقده
على عياره ، واستعمال الصحة في قبض ما يقبضون ،
وإطلاق ما يطلقون ، وأن يوعزوا إلى سعاة الصدقات
بأخذ الفرائض من سائمة مواشى المسلمين دون عاملتها ،

(١) سورة النجم :آيات ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١

(٢) أضيفت الزيادة في صبح الأعشى نقلا عن الرسائل والمثل السائر .

وكذلك الواجب فيها ، وأن لا يجمعوا فيها متفرقا
ولا يفرقوا مجتمعا ، ولا يدخلوا فيها خارجا عنها ،
ولا يضيفوا إليها ما ليس منها ، من فحل إبل أو أكلة
راع ، أو عقيلة مال ، فإذا اجتبوها على حقها ، واستوفوها
على رسمها ، أخرجوها في سلها ، وقسموها على أهلها الذين
ذكرهم الله في كتابه ، إلا المؤلفَةَ قلوبهم الذين ذكرهم الله
عز وجل في كتابه وسقط ^(١) سهمهم ، فإن الله تعالى يقول
﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا
وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ^(٢)
وإلى جُباة [جماجم] ^(٣) أهل الذمة أن يأخذوا منهم الجزية
في المحرم من كل سنة [بحسب] منازلهم في الأحوال ،
وذات أيديهم في الأموال ، وعلى الطبقات المطبقة فيها ،
والحدود [المحدودة] ^(٤) المعهودة لها ، وأن لا يأخذوها من النساء ،
ولا ممن لم يبلغ الحُلُم من الرجال ، ولا من ذى سن عالية ،

(١) هذه العبارة لم ترد في صبح الأعشى .

(٢) سورة التوبة الآية ٦٠

(٣) وردت الزيادة في صبح الأعشى نقلا عن رسائل الصابي .

(٤) وردت الزيادة في صبح الأعشى نقلا عن رسائل الصابي .

ولا ذى علة بادية ، ولا فقير معدم ، ولا مترهب متبتل ،
وأن يراعى جماعة هؤلاء العمال مراعاة يسرها ويظهرها ،
ويلاحظهم ملاحظة يخفيها ويبيديها ، لتلايزولوا (١) عن
الحق الواجب ، أو يعدلوا عن السنن اللائح ، فقد قال
تعالى ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ (٢) .

وأمره أن يندب لعرض الرجال وإعطائهم ، وحفظ
جراياتهم وأوقات إطعامهم ، من يعرفه بالثقة في متصرفه ،
(١٢٠١) والأمانة فيما يجرى على يده ، والبعد عن الإسفاف
إلى الدنيا ، والاتباع للدناءة ، وأن يبعثه على ضبط [حلى] ،
الرجال وشيات الخيل ، وتجديد العرض بعد الاستحقاق ،
وإيقاع الاحتياط في الإنفاق ، فمن صحَّ عرضه ولم يبق في
نفسه شيء منه : من شك يعرض له ، أو ريبة يتوهمها ، أطلق
أموالهم موفورة ، وجعلها في أيديهم غير مثلومة ، وأن
يرد على بيت المال أرزاق من سقط بالوفاة والإخلال ،
ناسباً ذلك إلى جهته ، مورداً له على حقيقته ، وأن
يطالب الرجال بإحضار الخيل المختارة ، والآلات والسكك

(١) في الأصل « يزرعوا » أو « يندعوا » والتصويب من صحيح الأئمة .

(٢) سورة الإسراء الآية ٣٤ .

المستكملة (١) ، على ما يوجب منافع أرزاقهم (٢) ،
وحسب منازلهم ومراتبهم ، فإن أحمد (٣) أحدهم شيئاً
من ذلك قاصه به (٤) من رزقه ، وأغرمه مثل قيمته ،
فإن المقصر فيه خائن لأمير المؤمنين ، ومخالف لرب
العالمين ، إذ يقول سبحانه ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ
قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (٥) .
وأمره أن يعتمد في أسواق الرقيق ودور الضرب والطرز
والحسبة على من يجتمع فيه آلات هذه الولايات : من
ثقة وأمانة ، وعلم وكفاية ، ومعرفة ودراية ، وتجربة
وحنكة ، وحصافة ومُسكة ، فإنها أحوال تضارع
الحكم وتناسبه ، وتدانيه وتقاربه ، وأن يتقدم إلى
ولاية أسواق الرقيق بالتحفظ فيمن يطلقون بيعه ، ويمضون
أمره ، والتحرز من وقوع تخون فيه ، وإهمال له ، إذ
كان ذلك عائداً بتحصيل الفروج ، وتطهير الأنساب ،

(١) في صبح الأعشى - ١٠ ص ٢٩ والآلات المستكملة المستعملة .

(٢) في صبح الأعشى - ١٠ ص ٢٩ على ما توجه مبالغ أرزاقهم .

(٣) في صبح الأعشى - ١٠ ص ٢٩ فإن آخر .

(٤) في الأصل قاصه .

(٥) سورة الأنفال الآية ٦٠ .

وَأَنْ يَبْعَدُوا مِنْ أَهْلِ الرِّبِيَّةِ ، وَيَقْرَبُوا مِنْ أَهْلِ الْعَفَّةِ ،
وَلَا يُمَضُّوا بَيْعًا عَلَى شِبْهَةٍ ، وَلَا عَقْدًا عَلَى تَهْمَةٍ ، وَإِلَى وُلاةِ
الْعِيَارِ بِتَخْلِيصِ عَيْنِ الدَّرْهِمِ وَالذِّينَارِ ، لِيَكُونَا مَضْرُوبَيْنِ
عَلَى الْبَرَاءَةِ مِنَ الْغَشِّ ، وَالنِّزَاهَةِ مِنَ الزَّيْفِ ^(١) وَتَخْصِيصِهِ
بِالْإِمَامِ ^(٢) الْمَقْرَّرِ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ ، وَحِرَاسَةِ السِّكِّكَ مِنْ
أَنْ تَتَدَاوَلَهَا الْأَيْدِي الْمُدْغِلَةُ ، وَتَتَنَاقَلَهَا الْجِهَاتُ الْمَبْطَلَةُ ^(٣)
(٢٠١ ب) وَإِثْبَاتِ اسْمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى [مَا يُضْرَبُ
مِنْهَا ذَهَبًا وَفِضَّةً ، وَإِجْرَاءِ ذَلِكَ عَلَى الرَّسْمِ وَالسَّنَةِ ،
وَإِلَى وُلاةِ الطَّرْزِ بِأَنْ يَجْرُوا الِاسْتِعْمَالَ فِي جَمِيعِ الْمُنَاسِجِ
عَلَى أَتْمِ النِّيْقَةِ ، وَأَسْلَمِ الطَّرِيقَةِ ، وَأَحْكَمِ الصَّنْعَةِ ،
وَأَفْضَلِ الصَّحَّةِ ، وَأَنْ يَثْبِتُوا اسْمَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ] ^(٤)
عَلَى طَرْزِ الْكُوسَا ، وَالْفَرَشِ وَالْأَعْلَامِ وَالْبَنُودِ ، وَإِلَى وُلاةِ
الْحِسْبَةِ أَنْ يَتَصَفِّحُوا أَحْوَالَ الْعَوَامِ فِي حِرْفِهِمْ وَمَتَاجِرِهِمْ ،
وَمَجْتَمَعِ أَسْوَاقِهِمْ وَمَعَامَلَاتِهِمْ ، وَأَنْ يَعْايرُوا الْمَوَازِينَ ،
وَالْمَكَايِيلَ ، وَيَفْرِزُوهَا عَلَى التَّعْدِيلِ وَالتَّكْمِيلِ ، وَمَنْ

(١) فِي صَبْحِ الْأَعْشَى : مِنَ الْمَشِّ . وَفَسَّرَ بِأَنَّهُ الْخَلْطُ حَتَّى يَلُوبَ .

(٢) فِي صَبْحِ الْأَعْشَى : وَبِحَسَبِ إِيْمَامِ .

(٣) فِي صَبْحِ الْأَعْشَى : الْجِهَاتُ الظَّنِينَةُ .

(٤) الزِّيَادَةُ وَرَدَّتْ فِي صَبْحِ الْأَعْشَى .

اطلعوا منه على حيلة أو تلبيس ، أو غيلة أو تدليس ،
أو بخس فيما يوفيه ، أو استفضال فيما يستوفيه ، نالوه
بغليظ العقوبة وعظيمها ، وخصوه بوجيعها وأليمها ،
واقفين به في ذلك عند الحد الذي يروونه لذنبه مجازيا ،
وفي تأديبه كافيا ، فقد قال الله تعالى ﴿ وَيَلُ لِّلْمُطَفِّفِينَ .
الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ . وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ
وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ (١) .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك ، وحثه عليك ، وقد
وقفك به على سواء السبيل ، وأرشدك فيه إلى واضح
الدليل . وأوسعك تعليما وتحكيما ، وأقنك تعريفاً
وتفهيمًا ، ولم يالك جهدا فيما عصمك وعصم على يدك ،
ولم يدخرك ممكنا فيما أصلح بك وأصلحك ، ولا ترك
لك عذرا في غلط تغلظه ، ولا طريقاً إلى تورط
تتورطه ، بالغا بك في الأوامر والزواجر إلى حيث يلزم
الأئمة أن يندبوا الناس إليه ، ويحثوهم عليه ، مقيما لك
على منجيات المسالك ، صارفا بك عن مرديات المهالك ،
مريدا فيك ما يسلمك في دينك ودنياك ، ويعود بالخط

(١) سورة المطففين ، الآيات ١ ، ٢ ، ٣

عليك في آخرتك وأولاك ، فإن اعتدلت وعدلت فقد فزت
وغنمت ، وإن تجانفت واعوججت فقد خسرت وندمت ،
والأولى بك عند أمير المؤمنين مع مَعْرِسِكَ الزاكي ،
ومنبتك النامي ، وعودك الأنجب ، وعنصرِكَ الأَطيب ،
أن تكون لظنه فيك محققًا ، ولِمَخِيلته فيك مصدقًا ،
وأن تسنزيد (١) بالأثر الجميل قُربًا [من رب العالمين] (٢)
وثوابا يوم الدين ، وزلفى عند أمير المؤمنين ، وثناء حسنا
(١٢٠٢) من المسلمين ، فخذ ما نبذ إليك أمير المؤمنين من
معاذيره ، وأمسك بيدك على ما أعطى من موثيقه ، واجعل
عهده مثالا تحتذيه ، وإماما تقتفيه ، واستعن بالله يُعَنك ،
واستهده يَهْدك ، وأخلص إليه في طاعته يُخلص لك الحظَّ
من معونته ، ومهما أشكل عليك من خُطْب ، أو أَعْضَل
عليك من صَعْب ، أو بهرك من باهر ، أو بهظك من
باهظ ، فاكتب إلى أمير المؤمنين مُنْهيا ، وكن إلى ما يرد
عليك منتهيا (٣) إن شاء الله تعالى ، والسلام عليك ورحمة الله
وبركاته

(١) في الأصل أن تسير.

(٢) الزيادة في صبح الأعشى نقلا عن رسائل الصابي المطبوعة .

(٣) في صبح الأعشى - ١٠ ص ٣١ « . . به منبها وكن على ما يرد عليك [من جوابه]

منتهيا » والزيادة عن رسائل الصابي .

وعلى هذا النهج جرى الشيخ شهاب الدين محمود
الحلبي فيما كتب به للعادل كُتُبًا المنصوري عن الحاكم
الأول ، وهو الإمام الحاكم بأمر الله أحمد بن الحسين (١) .

وهذه نسخته (٢)

هذا عهد شريف في كتاب مرقوم يشهده المقربون ،
ويُفَوِّضُه آل رسول الله صلى الله عليه وسلم الأئمة الأقربون .
من عبد الله ووليه الإمام الحاكم بأمر الله أبي العباس
أحمد أمير المؤمنين ، وسليل الخلفاء الراشدين ، والأئمة
المهديين ، رضوان الله عليهم أجمعين ، إلى السلطان الملك
العادل ، زين الدنيا والدين كُتُبًا المنصوري أعز الله سلطانه .

أما بعد فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي جعل
له منك سلطانا نصيرا ، وأقام له بملكك على ما ولاه من أمور
خلقه عضدا وظهيرا ، وآتاك بما نهضت به من طاعته نعيما
وملكا كبيرا ، وخوِّلك بإقامة ما وراء سريره من مصالح

(١) في صبح الأعشى بهامشه نقلا عن ابن أبي عمير : هو أحمد بن علي بن أبي بكر . وفي خطط
المقرئزي أحمد بن علي الحسن . أما في الأصل ج ٢ ص ١١٦ فهو كما أنبته هنا في
الأصل صحيحا .

(٢) صبح الأعشى - ١٠ ص ٤٧

(٢٠٢ ب) الإسلام بكل أرض منبرا وسريرا ، وجاء بك لإعانتته على ما استخلفه الله فيه من أمور عبادته على قدر وكان ربك قديرا ، وجمع بك الأمة بعد أن كاد يزيغ قلوبُ فريق منهم ، وعضدك لإقامة إمامته بأولياء دولتك الذين رضى الله عنهم ، وخصك بأنصار دينه الذين نهضوا بما أمروا به من طاعتك وهم نازهون (١) ، وأظهرك على الذين ﴿ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ (٢) واصطفاك لإقامة الدين وقد اختلفت الأهواء في تلك المدة ، ولم بك شعث الأمة بعد الاضطراب فكان موقفك ثم موقف الصديق يوم الردة .

ويشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة حاكم بأمره ، مستنزل لك بالإخلاص ملائكة تأييده وأعوان نصره ، مسترهف بها سيف عزمك على من جاهره بشركه وحاربه بكفره ، معتصم بتوقيقه في تفويضه إليك أمر سره الذى استودعه في الأمة وجهره ، ويصلى

(١) في الأصل وهم كارهون والتصويب من صبح الأعشى . والنازه العفيف .

(٢) سورة التوبة الآية ٤٨

على سيدنا محمد رسوله الذي استخرجه الله من عنصره وذويه ، وشرف به قدر جده بقوله فيه : « عم الرجل صنو أبيه » . وأسراً إليه بأن هذا الأمر فُتِحَ به ويُختم ببنيه ، وعلى آله وصحبه والخلفاء الراشدين من بعده ، الذين قَضَوْا بالحق وبه كانوا يعدلون ، وجاهدوا أئمة الكفر الذين لا إيمان لهم والذين هم بربهم يعدلون ، وسلّم تسليمًا كثيرا .

وإن أمير المؤمنين لما آتاه الله من سر النبوة ، واستودعه من أحكام الإمامة الموروثة عن شرف الأبوة ، واختصه من الطاعة المفروضة على الأمم ، وفرض عليه من النظر في الأخص من مصالح المسلمين والأعم ، وعصم آراءه ببركة آبائه من الخلل ، وجعل سهم اجتهاده هو المصيب أبدا في القول والعمل ، وكان السلطان فلان هو الذي جمع الله به كلمة الإسلام وقد كادت ، (٢٠٣) وثبت به الأرض وقد اضطربت بالأهواء ومادت ، ورفع به منار الدين بعد أن شمع الكفر بأنفه ، وألّف به شمل المسلمين وقد

طمّح العدو إلى افتراقه وطمّع في خُلْفه ، [وحفظ به في
 الجهاد حكم الكتاب الذي ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ
 يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾] (١) وحمى به الممالك الإسلامية
 فما شام الكفرُ منها بَرَقَ ثَغْرٌ إِلَّا رُمِيَ مِنْ وَبَالِهِ بِوَابِلٍ ،
 وَلَا أَطْلَقَ عَنَّانَ طَرْفِهِ إِلَى الْأَطْرَافِ إِلَّا وَقَعَ مِنْ سَطَوَاتِ
 جُنُودِهِ فِي كَفَّةٍ حَابِلٍ ، وَلَا اطمأنوا في بلادهم إِلَّا أَتَتْهُمْ
 سَرَايَاهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَرْتَقِبُوا ، وَلَا ظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانَعْتَهُمْ
 حَصُونَهُمْ مِنَ اللَّهِ إِلَّا وَأَتَاهُمْ جُنُودُهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ،
 وَأَلْفَ جِيُوشِ الْإِسْلَامِ فَأَصْبَحَتْ عَلَى الْأَعْدَاءِ بِيَمِينِهِ يَدَا
 وَاحِدَةٍ ، وَقَامَ بِأُمُورِ الْأُمَّةِ فَأَمْسَتْ عِيُونَ الرِّعَايَا بِاسْتِيقَاطِ
 سَيُوفِهِ فِي مَهَادِ الْأَمْنِ رَاقِدَةً ، وَأَقَامَ مَنَارَ الشَّرِيعَةِ الْمُطَهَّرَةِ
 فَهِيَ حَاكِمَةٌ لَهُ وَعَلَيْهِ ، نَافِذٌ أَمْرُهَا عَلَى أَمْرِهِ فِيمَا وَضَعَ اللَّهُ
 مُقَالِيدَهُ فِي يَدَيْهِ ، وَنَصَرَهُ اللَّهُ فِي مُوَاطِنٍ كَثِيرَةٍ ، وَأَعَانَهُ عَلَى
 مِنْ أَضْمَرَهُ لَهُ الشَّقَاقُ ﴿ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ ﴾ (٢)
 وَأَظْفَرَهُ بَيْنَ بَغْيِ عَلَيْهِ فِي يَوْمِهِ بَعْدَ حَلْمِهِ عَنْهُ فِي أَمْسِهِ ،
 وَأَيْدِهِ عَلَى الَّذِينَ خَانُوا عَهْدَهُ ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ

(١) سورة فصلت الآية ٤٢ . والزيادة من صبح الأعشى .

(٢) سورة البقرة الآية ٤٥

نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴿١﴾ وتعيّن لمُلكِ الإسلام
فلم يك يصلح إلا له ، واختاره الله لذلك فيبلغ به الدين
آماله ، وضعضع بملكه عمود الشرك وآماله ، وأعاد بسلطانه
على الممالك بهجتها وعلى الملك رونقه وجلاله ، وأخدمه
النصرَ فما أضمر له أحد سوءًا إلا وزلزل أقدامه وعجل
وبالَه ، وردَه إليه وقد جعل من الرعب قيودَه ومن الذعر
أغلالَه ، وأوطأ جواده هام أعدائه وإن أنف أن تكون
نعاله .

عَهِدَ إِلَيْهِ حِينُذُ مولانا الإمام الحاكم بأمر الله أميرُ
المؤمنين في كل ما وراء خلافته المقدسة ، وجميع ما اقتضته
أحكام إمامته التي هي على التقوى مؤسّسة ، من إقامة
شِعَارِ الملك الذي جمع الله (٢٠٣ ب) الإسلام عليه ، وظهرت
أُبُهة السلطنة التي ألقى الله وأميرُ المؤمنين مقاليدها إليه ،
ومن الحكم الخاص والعام ، في سائر ممالك الإسلام ، وفي
كل ما تقتضيه شريعة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة
والسلام ، وفي خزائن الأموال وإنفاقها ، ومِلك الرقاب
وإعتاقها ، واعتقال الجناة وإطلاقها ، وفي كل ما هو في يد

(١) سورة النجى الآية ١٠

الملة الإسلامية أو يفتحها الله بيده عليها ، وفي جميع ما هو من ضوال الممالك الإسلامية التي سيرجعها الله بجهاده إليها ، وفي تقليد الملوك والوزراء ، وتقدمة الجيوش وتأمير الأمراء ، وفي الأمصار ، يُقرُّ بها من شاء من الجنود ، ويبعث إليها ومنها ما شاء من البعوث والحشود ، ويحكم في أمرها بما أراه الله من الذب عن حريمها ، ويتحكم بالعدل الذي وسم الله به لظاعنها ومقيمها ، وفي تقديم حديثها واستحداث قديمها ، وتشديد ثغورها ، وإمضاء ما عرفه الله به وجهله سواء من أمورها ، وإقرار من شاء من حكامها ، وإمضاء ما شاء من إتقان القواعد بالعدل وإحكامها ، وفي إقطاع خواصها ، واقتلاع ما اقتضته المصلحة من عمائرها وعمارة ما شاء من قلاعها ، وفي إقامة الجهاد بنفسه الشريفة وكتائبه ، ولقاء الأعداء كيف شاء من [تسيير] (١) سراياه وبعث مواكبه ، وفي مصافة العدو وحصاره ، ومقارعة شيعته (٢) وأنصاره ، وغزوه كيف أراه الله في أطراف بلاده وفي عقر داره ، وفي المن والفداء والإرفاق ،

(١) الزيادة من صبح الأعشى .

(٢) في صبح الأعشى : وفي مضايقة العدو وحصاره ، ومصابرته وإنظاره وغزوه . . وفي الأصل ومقارعة شيعته .

وضرب الهدن التي تسألها العدا وهي خاضعة الأعناق ،
 وأخذ مجاورى العدو المخدول بما رآه الله من النكاية إذا
 أمكن من نواصيهم ، وحكم عفوه في طائعهم وبأسه
 في عاصيهم ، وإنزال الذين ظاهروهم من أهل الكتاب
 من صياصيهم (١) وفي الجيوش التي ألف الأعداء
 فتكات ألوفها ، وعرفوا أن أرواحهم ودائع سيوفها ،
 وصبحتهم سرايا رعبها المبتوثة إليهم ، وتركهم خوفها
 كأنهم خشب مسندة (١٢٠٤) يحسبون كل صيحة
 عليهم (٢) وهم الذين ضاقت بمواكبهم إلى العدا سعة
 الفجاج ، وقاسمت رماحهم الأعداء شرسمة ففي أيديهم
 كعوبها وفي صدور أولئك الزجاج ، وأذهبت عن الثغور
 الإسلامية رجس الكفر وطهرت من ذلك ما جاور العذب
 الفرات والملح الأجاج ، وعرفوا في الحروب بتسرع
 الإقدام ، وثبات الأقدام ، وادخر الله لأيامه الشريفة أن
 يردفها بهم (٣) دار السلام إلى ملك الإسلام : فيدّر عليهم
 ما شاء من إنعامه الذي يؤكد طاعتهم ، ويجدد استطاعتهم ،

(١) سورة الأحزاب الأمة ٢٦

(٢) سورة المنافقون الآية ٤

(٣) في صبح الأعشى : وادخر الله لأيامه الشريفة أن يردرهم دار السلام .

ويضعف أعدادهم ، ويجعل بصفاء النيات ملائكة الله
أمدادهم ، ويحملهم على الثبات إذا لقوا الذين كفروا
زحفا ، ويجعلهم في التعاضد على اللقاء كالبنيان المرصوص
فإن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا ، وفي أمر
الشرع وتولية قضاته وحكامه ، وإمضاء ما فرض الله عليه
وعلى الأمة من الوقوف عند حدوده والمشي مع أحكامه ،
فإنه لواء الله الممدود في أرضه ، وحبلة المتين الذي لا نقض
لإبرامه ولا إبرام لنقضه ، وسنن نبيه الذي لا حظ عند الله
في الإسلام لغير متمسك بسنته وفرضه ، وهو أعز الله
سلطانه سيفُ الله المشهور على الذين غدوا وهم من أحكام الله
مارقون ، ويده المبسوطة في إمضاء الحكم بما أنزل الله
﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١)
وفي مصالح الحرمين الشريفين وثالثهما الذي
تشد أيضا إليه الرحال ، وإقامة سبل الحجيج الذين
يفقدون على الله بما أصحبهم (٢) من بره وعنايته في الإقامة
والارتحال ، وفي عمارة البيوت التي ﴿أذن الله أن ترفع
ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال . رجال﴾ (٣) ،
وفي إقامة الخطب على المنابر ، واقتران اسمه الشريف

(١) سورة المائدة الآية ٤٧

(٢) في صبح الأعشى : يفقدون على الله بما منحهم

(٣) سورة النور الآية ٣٦ ، ٣٧

مع اسمه بين كل باد وحاضر ، والاقتصار على هذه
التثنية (١) في أقطار الأرض فإن القائل بالتثليث كافر ،
وفي سائر ما (٢٠٤ ب) تشمله الممالك الإسلامية ومن تشتمل
عليه شرقا وغربا ، وبعدا وقربا ، وبراً وبحراً ، وشاماً
ومصرأ ، وحجازاً وَيَمَنًا ، ومن يستقر بذلك إقامة ووطننا ،
وفوض إليه ذلك جميعه وكل ما هو من لوازم خلافته
للله في أرضه ، ما ذكر وما لم يذكر تفويضاً لازماً ، وإمضاء
جازماً ، وعهداً محكماً ، وعقداً في مصالح ملك الإسلام
مُحَكَّمًا ، وتقليداً مؤبداً ، وتقريراً على كر الجديدين
مُجَدِّدًا ، وأثبت ذلك وهو الحاكم حقيقة بما علمه من
استحقاقه والحاكم بعلمه ، وأشهد الله وملائكته على نفوذ
حكمه بذلك ﴿ وَاللَّهُ يَخْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ ﴾ (٢) .
وذلك لما صح عنده من نهوض ملكه بإعباء ما حمَّله الله
من الخلافة ، وأدى به الأمانة عنه فيما كتب الله عليه من
الرحمة اللازمة والرافة ، واستقلاله بأمور الجهاد الذي
أقام الله به الدين ، واختصاصه وجنوده بعموم ما أمر الله
به الأمة من قوله تعالى ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ

(١) في الأصل هذا التثنية .

(٢) سورة الرعد الآية ٤١

وَيُخْزِرُهُمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾
 وأنه في الجهاد سهمه المصيب وله به أجر الرامي المسدد ،
 وسيفه الذي جرّده على أعداء الدين وله من فتكاته حظُّ
 المُرْهَفِ المُجَرَّدِ ، وظل الله في الأرض الذي مده بيمن
 يمينه . وآية نصره الذي اختاره الله لمصالح دنياه وصلاح
 دينه ، الناهضُ بفرض الجهاد وهو في مستقر خلافته
 وادع ، والراكض عنه بخيِّله وخيِّاله إلى العدو الذي ليس
 له غير فتكات سيوفه (٢) رادع ، والمؤدّي عنه فرض
 النفير في سبيل الله كلما تعيّن ، والمنتقم له من أهل الشقاق
 الذين يجادلون في الحق بعد ما تبين ، والقائم بأمر الفتوح
 التي تُرَدُّ بِبَيْعِ الكُفْرِ مساجدَ يذكر فيها اسم الله واسمُه ،
 ويرفع على منابرها شعاره الشريف ورسمه ، وتُمثِّل له
 بإقامة دعوته صورةُ الفتح كأنه ينظر إليها ، والناظر
 عنه في عموم مصالح (١٢٠٥) الإسلام وخصوصها
 تعظيما لقدره ، وترفيها لسره ، وتفخيما لشرفه ، وتكريما
 لجلالة بيته النبوي وسلفه ، وقيامه له بما عهد إليه ، ووفاء

(١) سورة التوبة آية ١٤

(٢) في صبح الأعشى : إلى العدو الذي ليس لفتكات سيوفه رادع .

من أمور الدين والدنيا بما وضع مقاليدَه في يده .
وليدل على عظيم سيرته المقدسة بكريم سيره ، وينبئه
على كمال سعادته إذ قد كُفِيَ به في أمور خلق الله تعالى ،
والسعيد من كُفِيَ بغيره ، لم يجعل أمير المؤمنين على يده
يدا في ذلك ، ولا فسح لأحد غيره في أقطار الأرض أن
يُدعى بملك ولا مالك ، بل بسط حكمه وتحكُّمه في
شرق البلاد (١) وغربها وما بين ذلك ، وقد فرض طاعته
على سائر الأمم ، وحكم بوجوبها على الخاص والعام ،
ومن ينقض حكم الحاكم إذا حكم ، وهو يعلم أن الله
تعالى قد أودع مولانا السلطان سرًّا يُستضاء بأنواره ،
ويُهدى في مصالح المُلْك والممالك بمناره ، فجعل له أن
يفعل في ذلك كل ما هدى الله قلبه إليه ، وبعثه بالتأييد
الإلهي عليه ، واكتفى عن الوصايا بأن الله تعالى
تكفل له بالتأييد ، وخصه من كل خير بالمزيد ، وجعل
خلقه التقوى وكل خير فرعٌ عليها ، ونور بصيرته بالهدى
فما يدُلُّ على حسنة من أمور الدنيا والآخرة إلا وهو السابق
إليها ، والله تعالى يجعل أيامه مؤرَّخة بالفتوح ، ويؤيده

(١) في صبح الأعشى : شرق الأرض وغربها.

بالملائكة والروح ، على من يدعى الأب والابن والروح ،
ويجعل أسباب النصر معقودة بسببه ، والمُلك ﴿ كَلِمَةً
بَاقِيَةً فِي عَقِيهِ ﴾ (١) .

ويشهد بهذا العهد الشريف من شاهده مع الملائكة
المقربين ، كل من حضر تلاوته من سائر الناس أجمعين :
لتكون حجة الله على خلقه أسبق ، وعهد أمير المؤمنين
بشبوته أوثق ، وطاعة سلطان الأرض قد زادها الله على خلقه
بذلك توكيدا ، وشهد [الله] (٢) وملائكته على الخلق
بذلك وكفى بالله شهيدا ، والاعتماد على الخط الحاكمي
أعلاه حجة به ، إن شاء الله تعالى .

(٢٠٥ ب) وعلى ذلك جرى الشيخ شهاب الدين محمود
الحلبي أيضاً .

فيما كتب به للملك المنصور حسام الدين لاجين ، عن
الحاكم الثاني وهو الحاكم بأمر الله بن الحسين (٣) المقدم
ذكره .

(١) سورة الزخرف الآية ٢٨

(٢) هي أيضا مزادة في صبح الأعشى وخلا منها أصله .

(٣) في صبح الأعشى ١٠ ص ٥٣ « الحاكم بأمر الله بن أبي الربيع سليمان المتقدم
ذكره » وفي الهامش اعتراض على هذا .

وهذه نسخته (١)

هذا عهد شريف تشهد به الأملاك لأشرف الملوك ،
وتسلك فيه من قواعد العهود المقدسة أحسن السلوك ، من
عبد الله ووليه الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ،
للسلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين ، أبي الفتح
لاجين المنصوري ، أعز الله سلطانه .

أما بعد فالحمد لله مؤتى الملك من يشاء من عباده ،
ومعطى النصر من يجاهد فيه حق جهاده ، ومرهف حسام
انتقامه على من جاهر بعناده ، ومفوض أمر هذا الخلق إلى
من أودعه سر رأفته في محبته ومراد نغمته في مراده ،
وجامع كلمة الإيمان بمن اجتباه لإقامة دينه وارتضاه ليرفع
عماده ، ومقر الحق في يد من منع سيفه المجرّد في سبيل
الله أن يقرّ في أغماده ، وناصر من لم تزل كلمة الفتوح
مستكنة. في صدور سيوفه جارية على السنة صعبه ،
وجاعل مُلك الإسلام من حقوق مَنْ إذا عدّ أهل الأرض على
اجتماعهم كان هو المتعين على انفراده ، الذى شرف

(١) صبح الأعشى - ١٠ - ص ٥٣

أَسْرَةَ مُلْكِ الْإِسْلَامِ بِاسْتِيْلَاءِ حَسَامِ دِينِهِ عَلَيْهَا ، وَزَلْزَلِ مَمَالِكِ
أَعْدَائِهِ بِمَا بَعَثَ مِنْ سَرَايَا رُغْبِهِ إِلَيْهَا ، وَثَبَّتْ بِهِ أَرْكَانَ
الْأَرْضِ الَّتِي سَتَحْتَوِي مُلْكَهُ فِي طَرْفَيْهَا ، وَضَعَّضَعَ بِسُلْطَانِهِ
قَوَاعِدَ مَلُوكِ الْكُفْرِ فَوَدَّعَتْ مَا كَانَ مُودَعًا لِأَيَّامِهِ مِنْ مَمَالِكِ
الْإِسْلَامِ فِي يَدَيْهَا ، وَأَقَامَهُ وَلِيَّهُ بِأَمْرِهِ فَلَمْ يَخْتَلَفْ عَلَيْهِ
إِثْنَانٌ مِنْ خَلْقِهِ ، وَقَلَّدَهُ أَمْرَ بَرِيَّتِهِ لِمَا أَقْدَرَهُ عَلَيْهِ مِنْ
(١٢٠٦) النَّهْوِضِ بِحَقِّهِمْ وَحَقِّهِ ، وَأَظْهَرَ عَلَى مَنْ نَصَبَ لَهُ
الْغَوَائِلَ ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ﴾ (١) ، وَنَصَرَهُ فِي مَوَاطِنَ
كَثِيرَةٍ ، لِمَا قَدَّرَهُ فِي الْقَدَمِ مِنْ رَفْعَةِ شَأْنِهِ وَإِعْلَاءِ قَدْرِهِ ،
وَجَعَلَ عَدُوَّهُ وَإِنْ أَعْرَضَ عَنْ طَلْبِهِ بِجِيُوشِ الرَّعْبِ مُحْصُورًا ،
وَكَفَاهُ بِنَصْرِهِ عَلَى الْأَعْدَاءِ التَّوَعَّلَ فِي سَفْكِ الدَّمَاءِ فَلَمْ
﴿ يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴾ (٢) وَنَقَلَ إِلَيْهِ
الْمُلْكَ بِسَيْفِهِ وَالدَّمَاءَ مَصُونَةً ، وَحَكَّمَهُ فِيمَا كَانَ بَيْنَ غَيْرِهِ
مِنَ الْأَرْضِ وَالْبِلَادِ آمِنَةً وَالْفِتْنَ مَأْمُونَةً ، فَكَانَ أَمْرٌ مِنْ
ذَهَبِ سَحَابَةِ صَيْفٍ ، أَوْ خُلْسَةِ (٣) طَيْفٍ ، لَمْ تَحُلْ لَهُ
رُوعَةٌ فِي الْقُلُوبِ ، وَلَمْ يُدْعَرْهَا - وَقَدْ أَلْبَسَهُ اللَّهُ مَا نَزَعَ

(١) سورة يوسف الآية ٢١

(٢) سورة الإسراء الآية ٢٣

(٣) في صبح الأعشى : أو جلسة ضيف .

عن سواه - سالبٌ ولا مسلوبٌ ، إجراءً لهذه الأمة على عوائد فضله العميم ، واختصاصاً بما آتاه من ملكه ﷻ والله يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ .

يحمده أمير المؤمنين على ما منح في أيامه الدين من اعتضاده بحُسامه ، والاعتماد في ملك المسلمين على من يجعل جِبَاهَهُ ملوكِ الشرك تحت أقدامه ، والاعتداد بمساعي مَنْ حصونه في الجهاد ظهورُ جِيادِهِ وقصوره أطرافِ حُسامِهِ .

ويشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة حاكمٍ بما أراه ، حامدٍ له في ملك الإسلام على ما يَسَّرَ ما وطَّده ودَفَعَ ما عَدَّاه (٢) مُعْتَصِمٍ به في كل ما أثبتته بالحق من قواعد الدين وأوثقه بالتقوى من عُراه ، مُسْتَمِدٍّ ملائكة نصره لمن أغنته عزائمه في جهاد أعداء الدين عن سِيَرِهِ في ذلك وسُراه (٣) ، وأن محمدا عبده ورسوله الذي جعله من عَصَبَتِهِ الشريفة وعُصْبَتِهِ ، وشرفه بوراثته خلافته في أمته قَدْرَ رتبتِهِ ، (٤) وقَصْرَهُ على إقامة من يُرهبُ العدا بنشر

(١) سورة البقرة الآية ٢٤٧

(٢) في صبح الأعشى : على تيسر ما وطَّده ودفع ما عراه .

(٣) في صبح الأعشى : معتم به في كل ما أثبتته الحق من قواعد الدين في جهاد أعداء الدين . . .

(٤) في صبح الأعشى أضاف المحققون على الأصل : « في أمته [ورفع] قدر » .

دعوته في الآفاق [مع] مواقع رغبته . ويسأله أن يصلي عليه صلاة تفتح له في الدنيا إلى العصمة طريقا ، وتجعله في الأخرى معه ومع الذين أنعم الله عليهم من آباءه الشهداء والصالحين ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (١) وسلّم تسليما كثيرا (٢٠٦ ب) وإن أمير المؤمنين لما اختصه الله به من السر (٢) المودع في قلبه ، والنور الذي أصبح فيه على بينة من ربه ، والتأييد المنتقل إليه عن شرف بقربه ، والنص الذي أسره رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جده العباس من بقاء هذا الأمر في ورثته دون أقاربه وصحبه ، لم يزل يرغب إلى الله تعالى ويستخيره في إقامة من ينهض في ملك الإسلام حق النهوض ، ويفوض أمر الأمة (٣) إلى من يرى أداء الأمانة فيهم من أكد الفروض ، ومن إذا قال النفير يا خيل الله اركبي سابقت خيلهُ خياله ، وجازت عزائم نصاله ، وأخذ عدو الدين من مأمنه ، وغالب بسيفه (٤) الأجل على انتزاع روحه من بدنه ، وقاتل

(١) سورة النساء الآية ٦٩

(٢) في صبح الأعشى : البر .

(٣) في صبح الأعشى : أمر الأمانة .

(٤) في صبح الأعشى : وغالب سفه .

لتكون كلمة الله هي العليا ، وجاهد لإقامة منار الإسلام
لا للتعرض إلى عَرَض الدنيا ، وقَدِّمْت له ملوك الدنيا
حصونها ، وبذلت له مع الطاعة مَصُونَهَا ، وأقيم له بكل
قُطر منبر وسرير ، وجمع ملوك العدا في رق طاعته مَنْ
هو على جمعهم إذا يشاء قدير ، ومن يقيم العدل على
ما شُرع ، والشرع على ما أخذ عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وسُمع ، ويميت البدع بإحياء السنن ، ويعلم أن الله
جعل لخلقه على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم سَنَنَا
ولا يعدل بهم عن ذلك السنن .

ولما كان السلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين
أبو الفتح « لاجين المنصوري » - خلد الله سلطانه -
هو الذي جعل [الله] (١) صلاح الأمة على يديه ، واختاره
لإقامة دينه فساق مُلْكَ الإسلام عَنُوةً إليه ، وأنهضه
بذلك وقد أمده بجنود نصره ، وأنزل سبكينته عليه ، وجمع
قلوب أهل الإسلام على حبه ، وفرّق أعداء الدين خوفُ
حربه ، وجعل النصرَ حيث توجه من أشياعه (٢) وحزبه ،

(١) الزيادة من صبح الأعشى .

(٢) في صبح الأعشى : أشياعه .

وعضده لنصرة الإسلام بملائكة سمائه ، وأقام به عمودَ الدين الذي بالسيف قام ولا غرو (١) فإن الحسام من أسمائه . وأقبلت إليه طوائف (٢٠٧) جيوش الإسلام مدعنين ، وأدى في كرامتهم حقوق طاعة الله الذي أيده بنصره وبالمؤمنين ، وتلقاهم بشير كرامته ونعمه وقال : ادخلوا مصر إن شاء الله آمين ، وطارت مخلقات البشائر بملكه في الآفاق ، وأغصَّ العدا بسلطانه فما توهموا في أمر الإسلام الاختلاف حتى تحققوا بحمد الله ويمن أيامه الوفاق ، واختالت المنابر الإسلامية بذكر أمير المؤمنين وذكره . وأعلنت الأمة المحمدية بحمد الله الذي أقرَّ به الحق في مركزه وردَّ به شارد الملك إلى وكره ، وتحقق أمير المؤمنين أنه المكنون في طويته والمستكن في إضماره (٢) والقائم في عمارة بيته النبوي وسلامته مقام سلمانه وعمَّاره . فعهد إليه حينئذ في كل ما تقتضيه أحكام إمامته في أمة نبيه ، وجعله في التصرف المطلق عنه قائما مقام وصيه في الملة ووليه ، وقلده أمر ملك الإسلام تقليدا عاما ، وفوض إليه حكم السلطنة الشريفة تفويضا تاما ،

(١) في الأصل : ولا فرق .

(٢) في صبح الأعشى : والمستكن في صدره .

وَأَلْبَسَهُ مِنْ ذَلِكَ مَا خَلَعَهُ عَنْ سِوَاهُ ، وَنَشَرَ عَلَيْهِ لَوَاءَ الْمَلِكِ
الَّذِي زَوَى ظِلَّهُ عَنْ غَيْرِهِ وَطَوَاهُ ، وَحَكَّمَهُ فِي كُلِّ مَا تَقْتَضِيهِ
خِلَافَتُهُ الْمُقَدَّسَةَ ، وَتَمْضِيَةَ إِمَامَتِهِ الَّتِي هِيَ عَلَى التَّقْوَى
مُؤَسَّسَةٌ : مِنْ إِقَامَةِ مَنَارِ الْإِسْلَامِ ، وَالْحُكْمِ الْعَامِّ . فِي أُمَّةٍ
مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ، وَفِي تَقْلِيدِ الْمُلُوكِ
وَالْوُزَرَاءِ ، وَتَقَدُّمَةِ الْجِيُوشِ وَتَأْمِيرِ الْأُمَرَاءِ ، وَفِي تَجْهِيزِ
الْعَسَاكِرِ وَالسَّرَايَا ، وَإِرْسَالِ الطَّلَائِعِ وَالرَّوَايَا ، وَتَجْرِيدِ
الْجُنُودِ الَّذِينَ مَا نَدَبَهُمْ إِلَى الْعَدَا إِلَّا أَتَوْا بِالنَّهَابِ وَالسَّبَايَا .
وَفِي غَزْوِ الْعَدُوِّ كَيْفَ أَرَاهُ اللَّهُ إِنْ شَاءَ بِنَفْسِهِ أَوْ جُنْدِهِ .
وَفِي اسْتِنْزَالِ (١) النَّصْرِ بِالثَّبَاتِ وَالصَّبْرِ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَجْزِي
الصَّابِرِينَ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِهِ ، وَفِي مُحَاصِرَةِ الْعَدُوِّ
وَمُصَابِرَتِهِ ، وَإِنْظَارِهِ وَمُنَاطَرَتِهِ ، وَإِنْزَالِهِمْ عَلَى مَا شَرَعَ اللَّهُ
فِيهِمْ مِنَ الْأَحْكَامِ ، وَالتَّوَخُّيِّ فِي ذَلِكَ مَا حَكَّمَ بِهِ سَعْدُ بْنُ
مِعَاذٍ فِي زَمَنِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ؛ (٢٠٧ ب)
وَفِي ضَرْبِ الْهُدُنِ وَإِمْضَائِهَا ، وَالْوَفَاءِ بِالْعُقُودِ الْمَشْرُوعَةِ
إِلَى انْتِهَائِهَا مَدَدَهَا وَانْقِضَائِهَا ، وَفِي إِرْضَاءِ السِّيُوفِ مَنْ
نَكَثَ وَلَمْ يُتِمَّ عَهْدَهُ إِلَى مَدَّتِهِ ، فَإِنَّ إِسْخَاطَ الْكُفْرِ فِي

(١) فِي صَبْحِ الْأَعْيَى : وَفِي اسْتِرْسَالِ

إرضائها ، وفي الأمصار يقرُّ بها من شاء من الجنود ،
ويبعث إليها ما شاء من البعوث والحشود ، وفي سداد الثغور
بالرجال الذين تفتّر بهم عن شنب النصر ، وتأمّن بهم
أعدادها من غوائل الحصر ، وتوفر سهامها من سهام القوة
التي ترمى العدا بشرر كالقصر ، وإمداد بحرهما بالشواني
المجربة المجردة (١) ، والسفن التي كأنها القصور
الممهدة ، على الصروح الممردة ، فلا تزال تدبّ إليهم من
ذوات الأرجل عقاربها ، وتخطف غربانهم الطائرة بأجنحة
القلوع مخالبيها ، وفي مقدمة الألوف وتنفيذ السرايا ، التي
لا تزال أسنتها إلى نحور الأعداء مقومة ، وإنفاق ما يراه
في مصالح الإسلام من القناطير المقنطرة من الذهب والفضة
والخيل المسومة ، وفي إعلاء منار الشرع الشريف والانقياد
إليه ، والمسارة إلى نفوذ حكمه فيما له وعليه ، وتقوية
يد حكامه على كل أمير ومأمور أقر الشرع في يده شيئاً أو
انتزعه من يديه ، وتفويض الحكم إلى كل من يتعين
لذلك من أئمة الأمة ، وإقامة الشرع الشريف على قواعده
الأربع فإن اتفاق العلماء حجة واختلافهم رحمة ، وفي

(١) في صبح الأعشى : المجربة المجودة .

مصالح الحرمين الشريفين وثالثهما الذى تُشد الرحال أيضا إليه ، وفى إقامة سبل الحجيج الذى دعاهم الله فلبوه واستدعاهم فقدموا عليه ، وفروض [إليه] كل ما هو من لوازم خلافته لله فى أرضه : ما ذكر وما لم يُذكر ، تفويضا لازما ، وتقليدا جازما ، وعقدا محكما ، وعهدا فى مصالح الإسلام والمسلمين مُحكَّما ، واكتفى عن الوصايا بما جُبِل عليه خلقه الشريف من التقوى ، وهَدَى نفسه النفيسة إليه من التمسك بالسبيل الأقوم ^(١) والسبب الأقوى ، فما يُنبه على حسنة إلا وهو (٢٠٨) أسبق إليها ، ولا يُدل على معدلة ^(٢) إلا وفكره الشريف أسرع من فكر الدال عليها ، وقد وثق ببراءة الذمة من حق قوم أضحوا لفضل مثله راجين ، وتحقيق حلول النعمة على أمة أبدا إلى « لاجين » لاجين ^(٣) ، وقد استخار أمير المؤمنين الله تعالى فى ذلك كثيرا ، ولجأ إلى الله فى توفيقه وتوقيفه على الصواب مما يجده فى الحكم بذلك هاديا ونصيرا ، وسارع إلى التسليم لأمر الله تعالى فيما فوض إليه من أمور عباده

(١) فى صحيح الأعمشى : بالسند الأقوم والسبب الأقوى .

(٢) فى صحيح الأعمشى : ولا يدل على خلة

(٣) فى صحيح الأعمشى : وتحقيق حلول النعمة على أمة أسوا إلى « لاجين » لاجين .

إنه كان بعباده خبيرا بصيرا ، وأشهد الله وملائكته ومن
حضره من المؤمنين على نفسه بما تضمنه هذا العهد الكريم ،
وَحَكَمَ بِمَقْتَضَاهُ عَلَى الْأُمَّةِ ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا
إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ . والخط
الشريف الإمامي الحاكمي أعلاه ، حجة بمقتضاه ، إن
شاء الله تعالى .

وعلى مثل ذلك كتب المولى شمس الدين إبراهيم بن
القيسرى .

عهد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون عن الحاكم
بأمر الله أحمد بن الحسين (١) المقدم ذكره في سلطنته
الثانية عند عوده من الكرك بعد خلع المنصور لاجين

وهذه نسخته (٢)

هذا عهد يعمر بك للإسلام المعاهد ، وينصر منك
الاعتزام فتغنى عن الموالى والمُعاهد (٣) ، ويلقى إليك

(١) في صبح الأعشى - ١٠ ص ٥٩ : القاضى شمس الدين إبراهيم بن القيسرانى . . .
بأمر الله أحمد بن أبي الربيع سليمان.

(٢) صبح الأعشى - ١٠ ص ٥٩

(٣) في صبح الأعشى : والمعاهد .

مقاليد الأمور : لتجتهد في مرضى الله وتجاهد ، ويبعثك على العمل بالكتاب والسنة : ليكونا شاهدين لك عند الله في أعظم المشاهد ، فخذ كتاب أمير المؤمنين بقوة تبركا بأخذ يحيى عليه السلام الكتاب ، وحاسب نفسك محاسبة تجد نفعها يوم يقوم الحساب ، واعمل صالحا (٢٠٨ ب) فالذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب .

من عبد الله ووليه الإمام الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد أمير المؤمنين : إلى السلطان الأجل ، العالم ، العادل ، المجاهد ، المرابط ، المظفر ، الملك ، الناصر ، ناصر الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، سيد الملوك والسلاطين ، فاتح الأمصار ، مبيد الأرمن والفرنج والتتار ، وارث الملك ، سلطان العرب والعجم والترك ، خادم الحرمين ، صاحب القبلتين ، أبي الفتح محمد [قسيم] ^(١) أمير المؤمنين أعز الله سلطانه ، ولد السلطان الشهيد الملك المنصور سيف الدين قلاوون ، قدس الله روحه .

أما بعد ، فالحمد لله الذى أقام ناصر الإسلام وأهله

(١) الزيادة من سجع الأعشى . فقد حدث في الأصل خرقا أو قطع .

بخير ناصر ، وأحل في السلطنة المعظمة من استحقها بذاته
الشريفة وشرف العناصر ، ووضع الإصر بمن كثرت منه
ومن سلفه الكريم على الرعايا والأواصر ، وعقد لواء
المُلك لمن هو واحد في الجود ألف في الوغى ففي حاله
تُعقد عليه الخناصر ، وجمع كلمة الأمة بمتفرد في المعالي
متوحد في المفاخر ، متّصف بمناقب أربي بها على أربابها
من الملوك الأوائل والأواخر ، وأقرّ النواظر والنواظر بمن
أشرق عليهما نوره الباهر ، وظهر آثار وجود وجوده على
البواطن والظواهر ، وأعاد شبيبة الأيام في اقتبال سر
السرائر ، وسارت بشائر مقدمه في الآفاق سير المثل
وما ظنك بالمثل السائر ، وفعلت مهابته في التمهيد
والتشيد فعل القنا المتشاجر ، وشفت الصدور بوجود
الاتفاق وعدم الشقاق بعد أن بلغت القلوب الحناجر ،
وأورث البلاد والعباد صفوة ذرية ورثوا السيادة كبرا عن
كابر ، وسرى سره إذا ولد المولود منهم تهلت الأرض
واهتزت إليه المنابر .

والحمد لله الذي اجتبى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم
من أشرف بيت وقبيلة ، ومنح الأمة برسالته من خيرى

الدنيا (٢٠٩ |) والآخرة الوسيلة : وأوجب الشفاعة لمن
سأل الله له أعلى درجة لا ينالها إلا رجل واحد وهي الوسيلة ،
وجعل شملهم بمبايعته ومتابعته في الهداية نظيماً ، وحض
على ذلك بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ
اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى
نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١)
وبلّغهم به من السعادة غاية مطلوبهم ، وأيده بنصره
وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم ، وزان شريعته المطهرة بمحاسن
أبهى منظراً ومخبراً من العقود ، وفرض على المؤمنين أن
يؤفوا بالعهود والعقود . وأقدرهم على حمل الأمانة التي
أشفت السموات والأرض والجبال من حملها ، وأنزل
في كتابه العزيز : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى
أَهْلِهَا ﴾ (٢) .

والحمد لله الذي اختار أمير المؤمنين من سلالة عم نبيه
العباس ، واصطفى بيته المبارك من خير أمة أخرجت
للناس ، وقوى به جأش المسلمين وجيوش الموحدين على

(١) سورة الفتح الآية ١٠

(٢) سورة النساء الآية ٥٨

الملحدين ، وآتاه بسيادةٍ جدّه وسعادةٍ جدّه ما لم يُؤتِ أحداً من العالمين ، وحفظ به للمؤمنين ذماماً ، وجعله للمتقين إماماً ، وخصه بمزيد الشرفين : نسبه ومنصبه ، وجعل مزية الرتبتين كلمة باقية في عقبه ، وصان به حوزة الدين صيانة العرين بالأسود ، وصير الأيدي البيض مشكورة لحاملي راياته السود .

يحمده أمير المؤمنين حمد من اختاره من السماء فاستخلفه في الأرض ، وجعل إمرته على المؤمنين فرضاً لتقام به السنة والفرض ، ويشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ﴾ (١) وبلغ الأمة به من النجاة والنجاح الغرض الأقصى (٢) ، ويشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي كشف بمبعثه عن القلوب حجب الغي ، (٢٠٩ ب) وأشرقت أنوار نبوته فأضاء بها يوم دخوله المدينة كل شئ ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين منهم من أقامه في الإمامة مقامه وأشار إلى الاقتداء به

(١) سورة الإسراء الآية ١

(٢) « وبلغ الأمة الغرض الأقصى » غير موجودة في صبح الأعشى .

من بعده ، ومنهم من أعز الله به الإسلام في كل قطر مع
قربه وبعده ، ومنهم من كانت اليد الشريفة النبوية في
بيعة الرضوان خيرا له من يده ، ومنهم من أمر الله تعالى
بالمباهلة بالأبناء والنفوس فباهل خاتم الأنبياء صلى الله
عليه وسلم به وبزوجه وولده ، وعلى بقية العشرة ، الذين
غدت بهم دعوة الحق مشتهرة منتشرة ، وعلى عميه
أسد الله وأسد رسوله عليه السلام ، وجد الأئمة المهديين
أمرأ المؤمنين وخلفاء الإسلام ، وسلم تسليمًا كثيرا .
وإن الله تعالى جعل سجية الأيام الشريفة الإمامية
الحاكمية أدام الله إشراقها ، وقسم بها بين الأولياء والأعداء
آجالها وأرزاقها ، ردَّ الحقوق إلى نصابها ، وإعادتها إلى
مستحقها ولو تمدت الأيام على اغتصابها ، وإقرارها عند
من هو من دون الزرى أولى بها ، ليحقق أن نسبه الشريف
أظهر على أوامره دلائل الإعجاز ، وحلَّى كلماتها بالإيجاز
وهباتها بالإنجاز ، وإن الله جعل الاسم الشريف الحاكمي في
الحكم بأمره على خير مُسمَّى ، وقوى منه في تأييد كلمة
الحق جنانا وعزما ، ولم يخرج من أحكامه عن اتباع
أمر الله قضيةً ولا حُكماً .
وكنت أيها السيد العالم ، العادل ، السلطان ، الملك ،

الناصر . ناصر الدنيا والدين ، أبو الفتح محمد بن
السلطان الشهيد الملك المنصور ، سيف الدين قلاوون -
قدس الله روحه - أولى الأولياء بالملك الشريف ، لما
لسلفك من الحقوق ، وما أسلفوه من فضل لا يحسنُ له
التناسي ولا العقوق ، ولمّا أوجب لك على العساكر
الإسلامية سابقُ الأيمان ، وصادقُ الإيمان : ولأنك جمعت
في المجد بين طارف وتالد ، وفُقتَ بزكى نفس وأخ
ووالد ، وجلالة ، ما ورثتها عن كلاله ، وخلال (١٢١٠)
ما لها بالسيادة إخلال ، ومفاخر ، تُكاثِر البحرَ الزاخر ،
ومآثر ، أعجز وصفها الناظم والنائر ، وكان ركابك
العالي قد سار إلى الكركِ المحروس ، وقعدتْ عنك الأجسام
وسافرت معك النفوس ، ووثقت الخواطر بأنك إلى السلطنة
تعود ، وأن الله يجدد لك صعودا إلى مراتب السعود ،
وأقمت بها وذكرك في الآفاق سائر ، والآمال مبشرة بأنك
إلى كرسى مملتك صائر ، فلما احتاج الملك الشريف في
هذه المدة إلى ملك (١) يسرُّ سريره ، وسلطان تغدو باستقراره
عيون الأنام والأيام قريرة ، لما للمسلمين في ذلك من

(١) في الأصل في هذه الملك إلى ملك .

تيسير أوطار وتعمير أوطان ، ولأنهم لا ينفذون في المصالح
الإسلامية إلا بسطان ، لم يدُر في الأذهان ، ولا خطر لقاصٍ
ولا دانٍ ، إلا أنك أحق الناس بالسلطنة الشريفة ، وأولاهم
برتبها المنيفة ، ولا ذكر أحد إلا حقوق بيتك (١)
وفضلها ، ولا قال عنكم إلا بقول الله تعالى ﴿ وكانوا
أحقَّ بها وأهلها ﴾ (٢) لأن البلاد فتوحات سيوفكم ،
ورعاياها فيما هم فيه من الأمن والخير بمنزلة ضيوفكم ،
ولأن العساكر الإسلامية استرقهم ولاؤك ، ووالوك لأنهم
أرقاؤك ، فلم يقل أحد : أنى له الملك علينا ؟ بل أقر كلُّ
منهم لك باليد وقرَّ بولايتك عينا ، وأخلصوا في موالاتك
العقائد ، واستبشروا منك بمُبارك الوجه ماجدٍ جائد ، ولم
يغب غائبٌ خليفته جيشُ أبيه وجدّه الصاعد ، ورفعت
الممالك يد الضراعة سائلة وراغبة ، وخطبتك لعقائدها
ومعاقلهما والخطباء على المنابر لك مخاطبة ، وبدعائك
مخاطبة ، وقصدت لذلك أبوابك التي لا تزال تُقصد ،
ودُعيت للعود المبارك وعودُ محمد للأمة المحمدية أحمد ،
وفعلت الجيوش المنصورة من طاعتك كلَّ ما سرَّ ، وأربت

(١) في صبح الأعشى : حقوق بيتك .

(٢) سورة الفتح الآية ٢٦

في صدق النيات وبرها علي كل من برَّ . (٢١٠ ب)
ولو أن مشتاقا تكلف فوق ما

في وسعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ المنبرُ

فما ضرَّ بحمد الله بعدُ الدار والآمال لساكنها مطيفة ،
بل كان لك الذكرى في قلب الخليفة نعم الخليفة ، وكنت
لديه - وإن غبَّت - حاضرا بجميل الذكر ، ونأيت دارا
فقربك إليه حسنُ التصوير في الفكر ، وكان أمير المؤمنين
قد شاهدك يافعا ، وشهد خاطره أن ستصير للمسلمين
نافعا ، وتأمّل منك أمائر أضحى لها لترقيق آملا ،
وهللا دلته كرامته - ولا تُنكر له الكرامة - على أن
سيكون بدرا كاملا ، وبلغه عنك من العدل والإحسان ،
ما أعجز وصفه بلاغتي القلم واللسان ، فناداك نداه (١)
على بعد المزار ، ولم يجد لك نظيرا فأطال وأطاب لمقدمك
السعيد الانتظار ، إلى أن أقدمت إقدام الليث ، وقدمت
إلى البلاد المتعطشة إلى نظرك الشريف قدوم الغيث ،
فلاح بك على الوجود دليلُ الفلاح ، وحمد الرعايا سُرايُك
عند الصباح والاستصباح ، وشاهدوا منك أسدا فاق

(١) في صبح الأعشى : نداه .

بوثباته وثباته الأول ، وشخصا لا يصلح إلا لإدالة دول ،
ولا تصلح إلا لمثله الدول ، وقامت باختبارك على اختيارك
الدلائل ، وعرفك سرير الملك وعرف فيك من أبيك شمائل ،
ورأى أمير المؤمنين من نجابتك فوق ما أخبرت به مُساءلةُ
الركبان ، ومن مهابتك ما دل على خفض الشانئ ورفع
الشان ، ومن محامدك كل ما صغر الخبر عنها الخبر ،
وأعلنت ألسنة الأقدار بأنه لم يبق عن تقليدك الممالك
الإسلامية بحمد الله تعالى عذر ، فاخترتك على علم على
العالمين ، واجتباك للذب عن الإسلام والمسلمين ، واستخترالله
تعالى في ذلك فخار ، وأفاض عليك من بيعته المباركة مع
فخرك المشتهر حُلل الفخار ، وعهد إليك في كل ما اشتملت
عليه دعوة إمامته المعظمة ، وأحكام خلافته التي لم تنزل
بها عقود الممالك في الطاعة منظمة ، وفوض (١٢١١)
إليك سلطنة الممالك الإسلامية برا وبحرا ، شاما ومصرأ ،
قربا وبعدا ، غورا ونجدا ، وما سيفتحه الله عليك من
البلاد ، وتستنقذه من أيدي ذوى الإلحاد ، وتقليد
الملوك والوزراء ، وقضاة الحكم العزيز وتأمير الأمراء ،
وتجهيز العساكر والبعوث للجهاد في سبيل الله ومحاربة من

ترى محاربتة من الأعداء ، ومهادنة من ترى مهادنته
منهم ، وجعلَ إليك في ذلك كله العَقْدَ والحَلَّ ، والإبرام
والنقض ، والولاية والعزل ، وقلدك ذلك كله تقليدا يقوم
في تسليم الممالك إليك مقامَ الإقليد ، ويقضى لقريبها
ويعيدها بمشيئة الله تعالى بمزيد التمهيد والتشيد ، لتعلم أن
الله قد جعل الأيام الشريفة الحاكمة - أدامها الله تعالى -
فلما أبدى سالفنا من البيت الشريف المنصوري أقمارا ،
وأطلع منهم آنفا بدرا ملاء الخافقين أنوارا ، فكلما ظهر
لسلفه بدت مآثر خلفه أظهر ، ومن شاهدهم وشاهد شمس
سعادته المنزهة عن الأفول : قال : هذا أكبر ، وكلما ذكرا لأحدهم
فضلٌ علم أنه في أيامه مُتَزَيِّدٌ ، وأنه إن مضى منهم
سيد في سبيله فقد قام بأطراف الأُسنة منهم سيدٌ ، وصير
الدولة الشريفة الخليفة غابا إن غاب منهم أُسود ،
خَلَفَهُمْ شِبْلٌ بَشَّرَتْ مَخَائِلُهُ أَنَّهُ عَلَيْهَا يَسُود ، فليقلد
السلطان الملك الناصر ما قلده أمير المؤمنين ، وليكن لدعوته
الهادية من الملبين ، وعليها من المؤمنين ، وليترقَّ إلى هذه
الرتبة التي استحقها بحسبه ، واسترقَّها بنسبه ، وليباشرها
مستبشرا ، ويظهر من شكر الله عليها ما يغدو به

مستظها ، فقد أراد أمير المؤمنين القيام في نصرة الدين الحنيف فأقامك أنت مقامه ، وصرف بك بين أهل الطاعة والعصيان إكرامه وانتقامه ، رعاية لعهد سلفك الكريم ، ولما استوجبته نفسك النفيسة من وفور التعظيم والتكريم ، وعنايةً بالعساكر (٢١١ ب) المؤيدة الذين وجهوا وجوه آمالهم إليك ، وأبت كلمتهم التي صانها الله عن التفرق أن تجتمع في الطاعة والخدمة إلا عليك ولديك ، ومنة عليهم بسلطان ما برحوا من الله تعالى يطلبونه ، ومُلكٍ نشأوا بأبوابه العالية فلهذا يحبهم ويحبونه ، فاحمد الله الذي جعل لك في إعادة الملك أسوة بسليمان عليه السلام ، وردة إليك ردا لا انفصال لعروته ولا انفصام ، فأضحيت لأمر عباده سدادا ، ولثغور بلاده سدادا ، وللخليفة عضدا في الخليفة ، وفي الدهر سامي الحقيقة حامى الحقيقة ، وللملك وارثا ، ورقاك رقا أصبحت به في السلطنة واحدا وللخليفة المعظمة ثانيا وللقمرين ثالثا .

وبُشراك ، أن الله أبرم سبب تأكيدك إبراهيم لا تصل الأيدي إلى نقضه ، وأنت سئلت عن أمر طالما أتعب

غيرك سؤاله في بعضه ، وأن الله يحسن لك العون وبك
الصون ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« يا عبد الرحمن بن سمره ، لا تسأل الإمارة فإنك إن
أعطيتها عن مسألة وكُلتَ إليها . وإن أعطيتها عن غير
مسألة أعنتَ عليها » .

وبشراك أن أمير المؤمنين خصك بمزيد الاعتناء ، وأقامك
مقامه في حسن الغناء ، وحقق أن السعادة في أيامه موصولة
منكم بالآباء والأبناء ، وبلغك بهذا التقليد الشريف
الأماني ، وتوجه بيمين قريبة عهد باستلام الركن اليماني ،
واصطفاك بقلب أظهر له الكُشوف إشراف تلك الستور ،
وغدا مغمورا بالهداية ببركة البيت المعمور ، ونظر زادته
مشاهدة الحرم الشريف النبوي نورا على نور ، وقابل (١)
ذلك بالقيام في مهمات الإسلام ، وتدقيق النظر في مصالح
الخاص والعام ، واجتهد في صيانة الممالك اجتهادا يحرس
منها الأوساط والأطراف ، وتنتظم به أحوالها أجل
انتظام وتأتلف أجمل ائتلاف ، والوصايا كثيرة وأولاها
(١٢١٢) تقوى الله فليجعلها حلية لأوقاته ، ويحافظ عليها

(١) في صح الأعمى : نقابل .

محافظة من يتقيه حق تقاته ، ويتخذها نجى فكره وأنيس قلبه ، ويعظم حرّمات الله ﴿ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾ (١) .

والشرع الشريف فهو لعقد الإسلام نظام ، وللدين القيم قوام ، فتجتهد في اقتفاء سننه ، والعمل بفروضه وسننه ، وتكريم أهله وقضاته ، والتوسل بذلك إلى الله في ابتغاء مرضاته .

وأمرء دولتك فهم أنصار سلفك الصالح ، وذوو النصائح فيما آثروه من المصالح ، وخلصاء طاعتهم في السر والنجوى ، وأعاونهم على البر والتقوى ، وهم الذين أحلهم والدك من العناية المحلّ الأسنى ، والذين سبقت لهم بحسن الطاعة من الله الحسنى ، ولو لم يكن لهم إلا حُسنُ الوفاء ، لكفاهم عندك في مزيد الاعتماد والاستكفاء ، فإنهم جادلوا في إقامة دولتك وجالدوا ، ووفوا بالعهد فهم الموفون بعهدهم إذا عاهدوا ، وهم اللوصايا بخدمتك واعون ، وفيما ائتمنتهم عليه لأمانتهم وعهدهم راعون ، قد أصفوا لك النيات بظهر الغيب ، وأخلصوا

(١) سورة الحج الآية ٣٠

الطويات إخلاصاً لاشك معه ولا ريب ، ونابوا عنك
أحسن مناب ، وكفُّوا كَفَّ العدو فما طال له لافتراس
ولا اختلاس ظُفْرٌ ولا ناب ، واتخذوا لهم بذلك عند الله
وعندك يداً ، وأثَّلوا لهم به مجداً يبقى حَدِيثُهُ الحَسَنُ
الصحيح عنهم مُسْنَدًا .

فاستوص بهم وبسائر عساكرك المنصورة خيراً ، وأَجْمِلْ
لهم سريرة وفيهم سِيراً ، وَأَحْمِدْهم عَقْبِي هذه الخدمة ،
وأوردتهم منهل إحصان يضاعف لهم النِّعْمَةَ والنَّعْمَةَ : لتؤكد
طاعتك على كل إنسان ، ويثقوا بحسن المكافأة : ﴿ هَلْ
جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ (١) ولتزداد أوامرك ونواهيك
امثالاً ، ولا يجدوا عن محبة أيامك الشريفة انتقلاً ،
وليقال في حسن خِدْمَتِهِمْ وإِحْسَانِكَ : هكذا هكذا
وإلا فلا لا .

وأما الغزو (٢١٢ ب) والجهاد في سبيل الله تعالى ،
وما أوجبه فيهما قوله ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ (٢) ، فأقل
ما يُجْزَى فرض الكفاية منه مرة في كل عام ، وأما فرض
العين فوجوبه على ذوى الاستطاعة من المسلمين عام ، وقد

(١) سورة الرحمن الآية ٦٠

(٢) سورة التوبة الآية ٤١

عرفت سنن السلطانين الشهيدين ، والدك وأخيك -
قدس الله روحيهما - في الاعتناء بجهاد الكفار ، وغزوهم
في عُقْرِ الدار ، وموقف أحدهما في موطن زلت فيه الأقدام عن
الإقدام ، واجتمع فيه الكفر على الإسلام ، وشاب من هوله الوليد ،
ومصابرتة تُجاه سيف من سيوف الله تعالى الإمام خالد بن
الوليد ، واستنقاذا لآخر البلاد الساحلية التي أنقدها الله من
أيدي المشركين على يد الصّالِحِينَ ، وفتح لهما أبواب
الجنة ببركة الافتتاحين ، وأن والدك وأخاك سداً على
المشركين الفِجَاج ، وطهراً من أرجاسهم العذبَ الفِرات
والمُلاحَ الأجاج ، فالكتائب المنصورة ، أبانت (١) التتار
بالسيوف المَشْرِفِيَّة ، والممالك الإسلاميَّة زهتَ نظاما
بالفتوحات الأشرافية ، فاجتهدُ في إعلاء كلمة الدين أتم
اجتهاد ، وعززهما منك بثالث في الغزو والجهاد .

والرعايا (٢) بعيدهم وقريبهم ، ومستوطنهم وغريبهم ،
فيوفّيهم من الرعاية حظهم ، ويجزل صيانتهم وحفظهم ،
وكما يرى الحقُّ له فليَرَ الحقُّ عليه ، ويحسن إلى رعاياه
كما أحسن الله إليه .

(١) في صبح الأعشى : « أبادت التتار » وفي الأصل أبانت .

(٢) في صبح الأعشى : وأما الرعايا

وأما العدل فإنه للبلاذ عِمارة ، وللسعادة أمارة ، وللآخرة
مَنْجاة من النفس الأَمَّارة ، فليكن له شعارا ودثارا ، ويظهر
لسجّيته الزكّية فيه آثارا (١) ، وليؤكّد مراسمه في الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر ، والمحافظة من ذلك على
ما يُذكر به عند الله ويُشكر .

والحدود الشرعية فليُحلّ بإقامتها لسانه وطرسه ،
ولا يتعدّها بنقص ولا زيادة ﴿ ومن يتعدّ حدودَ الله فقد
ظلمَ نفسه ﴾ (٢) ، والله يخلد له رتبة المُلْك التي أعلى بها
مقامه ، ويدبمه ناصرًا للدين الحنيف (٢١٣) فأنصاره
لا يزالون ظاهرين إلى يوم القيامة ، ويجعل سبب هذا
العهد الشريف مدى الأيام متينا ، ويجدد له في كل وقت
نصرًا قريباً وفتحاً مبيناً .

والخط الشريف الحاكمي أعلاه حجة عمقتضاه إن شاء الله

تعالى (٣)

(١) جملة : « ويظهر لسجّيته الزكّية فيه آثاراً » غير موجودة في صبح الأعشى .

(٢) سورة الطلاق الآية ١

(٣) بعهده في صبح الأعشى - ١٠ ص ٦٨ : الحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد
وآله وسلامه ، حسبنا الله ونعم الوكيل .

المذهب الثاني

في افتتاح عهود الملوك عن الخلفاء أن يفتتح العهد بقوله : من فلان إلى فلان ، كما يبتدأ في المكاتبات ، ثم يأتي بعد ذلك بقوله : أما بعد ، ثم تارة يأتي بعد البعدية بتحميد ، مثل أن يقول : أما بعد فالحمد لله . ويخلص من ذلك إلى ذكر أمر الولاية وما ينخرط في سلكها ، وتارة يأتي بعد البعدية بخطاب المولى والدعاء له ، ويتخلص منه إلى مقاصد العهد من الوصايا وغيرها .

وعلى هذه الطريقة

كتب به عن الطائع لله للملك الأشرف شيرز (١) بن
عضد الدولة

وهذه نسخته (٢)

من عبد الله عبد الكريم الإمام الطائع لله أمير المؤمنين
إلى شيرز بن عضد الدولة وتاج الملة أبي شجاع مولى أمير
المؤمنين ، سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين يحمد إليك

(١) في صبح الأعشى - ١٠ ص ٧٥ : شيرزك وكذلك في أول الخطاب .

(٢) صبح الأعشى - ١٠ ص ٧٥

الله الذى لا إله إلا هو ، ويسأله (٢١٣ ب) أن يصلى على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .

أما بعد أطال الله بقاءك وأدام عزك وتأييدك ، وسعادتك ونعمتك ، وأمتع أمير المؤمنين بك وبالموهبة فيك وعندك ، فإن أمير المؤمنين يرى أن يحفظ على كل ولى أحمد مذاهبه وأرضى ضرائبه ، وانصرف عن الدنيا متمسكا بطاعته ، متدينا بمشايعته ، حقوقه المتوحدة ، وحرماته المتمهدة ، فيمن يخلفه بعده من وكد أمل فيه أن يرث عنه مسئلة ، ويقوم فيه مقامه ، وفاء لأهل الولاية ، وتصرفا على أحكام الرعاية ، وسياسة للصنيعة ، من سالف إلى خالف ، وإمضائها من تالد إلى طارف ، هذا على الأمر الجامع ، والعموم الشامل ، فإذا اتفق أن تنتهى وراثه القرب إليه ، والمنازل لديه ، إلى النجباء الأفاضل ، والحُصفاء الأمثال ، الذين يستحبون استئناف الاصطناع لهم ، واستقبال التفويض إليهم بالمناقب الموجودة فيهم ، لو انفردت عما حازوه عن آبائهم وأولياهم ، أجرى أمير المؤمنين ما يفيضه عليهم من الأيادى ، ويرقيهم إليه من هضبات المعالى ، مُجْرَى الأمر الواجب الذى كثرت الدواعى إليه .

واتفق الرأي والهدى عليه ، وتطابق الإيثار والاختيار فيه ، واقترن الصواب والسداد به ، واشترك المسلمون في استثمار فائدته وعائدته ، والانتفاع بتأديته وعاقبته ، والله يُخِيرُ لأمير المؤمنين فيما يمضيه من العزائم ، ويبنيه من الدعائم ، ويعتمده من المصالح ، ويتوخاه من المناجح ، إنه على ذلك قدير ، وبه جدير ، وهو حسب أمير المؤمنين ونعم الوكيل .

وقد علمت أدام الله عزك ، وأمتع المؤمنين بك ، أن شجرة بيتك ، التي تمكنت من الخدمة أصولها ، ونشأت على الطاعة فروعها . شجرة لم تنزل النجاة صاحبة لها^(١) ، والفضيلة منوطة بها ، وأسباب التمام والدوام مجتمعة فيها ، فلذلك (٢١٤) سبغت النعمة عليكم ، وامتد ظلها إليكم ، وتقلّب فيها قداحكم^(٢) وتوقرت منها حظوظكم ، فتداولتموها بينكم كابرًا عن كابر ، بمساعيكم الصالحة ، ومناهجكم الواضحة ، وتعاضدكم على ما لمّ شعث الدولة الجامعة ، وطرف عنها الأعين الحاسدة ،

(١) من قوله : « ونشأت على الطاعة . . . » ساقط من صبح الأعشى .

(٢) في صبح الأعشى ونُقِّلَتْ فيها أقداحكم .

وكان شيخك عضد الدولة ، وتاج الملة ، أبو شجاع رضوان الله عليه ، صاحب الرتبة العظمى (١) عند أمير المؤمنين وهمامها والملتطى غاربها وسنامها ، فعاش ما عاش مشكورا محمودا ، ثم انقلب إلى لقاء ربه سعيدا رشيدا ، وأوجب أمير المؤمنين لك وله فيك الحلول بمكانه ، وحياسة خطره وشانه ، إذ كنت أظفر ولده ، وأول المستحقين لوراثته ، وكانت فيك مع ذلك الأدوات المقتضيات لأن يُفوض الأمور إليك ، ويعتمد فيها عليك ، من كفاية وغناء ، واستقلال ووفاء ، وسياسة وتدبير ، وشهامة وتشمير ، وتصرف على طاعة أمير المؤمنين ، وإشبال (٢) على إخوتك أجمعين ، وحسن أثر فيما أنفذ أمرك فيه ، وإفاضة أمنٍ فيمن مَضَتْ ولايتك عليه ، وإحاطة بدلائل الجزالة (٣) ، ومخايل الأصالة ، بمثلها تُنال الغايات الأَقاصى ، وتُفترع الذوائب والنواصي ، فنوِّلك أمير المؤمنين تلك الأثرَةَ ، وخوِّلك تلك الفخرَةَ (٤) وجعل

(١) في صبح الأعشى : الزعمى .

(٢) الإشبال : التعطف .

(٣) في صبح الأعشى : الحوالة .

(٤) في صبح الأعشى : المأثرة وخوِّلك تلك المفخرة .

أَخَاكَ صَمِصَامَ الدَّوْلَةَ وَشَمْسَ المِلَّةِ أَبَا كَالِيَجَارِ - أَمْتَعِ
اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِكَ - ثَانِيكَ وَتَانِيكَ (١) ، وَالمْتَقْدَمِ
بَعْدَكَ عَلَى وَلدِ أَبِيكَ ، وَأَجْرَاكُمَا فِي التَّطْبِيقِ بَيْنَكُمَا ،
وَالتَّقْرِيرِ لِمَنَازِلِكُمَا ، عَلَى مِثْلِ مَا جَرَى الأَمْرُ عَلَيْهِ بَيْنَ
رُكْنِ الدَّوْلَةِ أَبِي عَلِيٍّ وَمَعزِ الدَّوْلَةِ أَبِي الحُسَيْنِ سَالِفَا ، ثُمَّ
بَيْنَ عَضُدِ الدَّوْلَةِ وَتَاجِ المِلَّةِ أَبِي شِجَاعِ وَمُؤَيِّدِ الدَّوْلَةِ أَبِي
مَنْصُورِ آئِنْفَا ، تَوَلَّاهُمُ اللّهُ بِالرَّحْمَةِ ، وَنَفَعَهُمْ بِمَا قَبِضَهُمْ
عَلَيْهِ مِنْ وَثَائِقِ العِصْمَةِ ، وَخَصَّكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ ذَلِكَ
بِمَا يَخُصُّ بِهِ ذَا القُدْرَةِ الشَّامِخِ ، وَالفَخْرِ البَادِخِ ، وَالقَدَمِ
السَّابِقَةِ (٢١٤ ب) وَالمَحَلَّةِ السَّامِيَةِ ، فَذَكَرَكَ بِالتَّكْنِيَةِ ،
وَرَفَعَكَ عَنِ التَّسْمِيَةِ ، وَلَقَّبَكَ لِقَبِيْنِ : أَحَدَهُمَا شَرَفِ
الدَّوْلَةِ . لِتَشْرِيفِهِ بِكَ أَوْلِيَاءَهُ الَّذِينَ أَوْطَأَهُمْ عَقْبُكَ ،
وَأَعْلَقَهُمْ سَبِيلَكَ (٢) ، وَالأَخْرَ زَيْنِ المِلَّةِ ، لِزِينَةِ أَيَّامِهِ
بِمَعَالِيكَ ، وَتَضَاعُفِ جَمَالِهَا بِمَسَاعِيكَ ، وَعَقْدِ لَكَ بِيَدِهِ
لِوَاعِيْنَ يَلُوبِيَانِ إِلَيْكَ الأَعْنَاقِ بِالطَّوْعِ مِنْ سَرَّاهِ وَأَبْهَجَاهِ ،
وَالكُرْهِ مِنْ رَاعَاهِ فَأَزْعَجَاهِ ، وَأَمْرَ بَأَنَّ تَقَامَ لَكَ الدَّعْوَةُ
عَلَى مَنَابِرِ مَدِينَةِ السَّلَامِ ، وَمَا يَجْرِي مَعَهَا مِنَ الأَعْمَالِ بَيْنَ

(١) فِي صَبِيحِ الأَعْشَى : أَبَا كَالِيَجَارِ - بِكَ تَأْيِيدِهِ وَالمْتَقْدَمِ .

(٢) فِي صَبِيحِ الأَعْشَى : حَبْلِكَ .

الدَّعوة لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَبَيْنَ الدَّعوة لِصِمَامِ الدَّولة وَشَمْسِ
 المِلة ، أَمْتَعَ اللهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِكَمَا وَأَحْسَنَ الدِّفاعَ لَهُ
 عَنْكُمَا ، إِلهِاقاً لَكَ وَلَهُ بَعْدَكَ بِأَبْيَكُمَا ، فِيمَا كَانَ
 شُرْفَ بِهِ مِنْ هَذِهِ الحِالِ الَّتِي لَمْ يَنْهَها (١) غَيْرُهُ ، وَلَا أَهْلُ
 لَهَا أَحَدٌ قَبْلَهُ ، وَأَنَّ يُثَبِّتَ ذِكْرَكَ بِاللِّقْبِ وَالْكُنْيَةِ فِيمَا
 يُنْقَشُ مِنْ سَكِّكَ العَيْنِ وَالوَرِقِ فِي دَوْرِ الضَّرْبِ بِأَدْيَا ،
 وَذَكَرَ صِمَامِ الدَّولة - كَلَأَكُمَا اللهُ - تَالِيَا ، وَحِبَاكَ
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ ذَلِكَ بِخَلْعِ تَامَّةٍ تُفَاضُ عَلَيْكَ ، وَفَرَسِينَ
 مِنْ جِيَادِ خَيْلِهِ يُقَادَانِ إِلَيْكَ ، بِمَرْكَبِي ذَهَبٍ مِنْ خَاصِّ
 مَرَاكِبِهِ ، وَسَيْفٍ مَاضٍ مِنْ خِيَارِ أَسْيَافِهِ ، يُعِزُّ اللهُ مِنْكَبِيكَ
 بِبِنِجَادِيهِ ، وَيُذِلُّ مَنَاكِبَ أَعْدَائِكَ بِغَرَارِيهِ ، وَطُوقِ
 وَسِوَارِينَ ، وَأَنَّ تُجْرَى فِي المَكَاتِبِ عَنْهُ إِلَى الغَايَةِ الَّتِي
 أُجْرِيَ أَبُوكَ رَحِمَهُ اللهُ إِلَيْهَا ، وَهَذَا الكِتَابُ نَاطِقٌ بِهَا
 وَدَالٌّ عَلَيْهَا ، وَنَدْبٌ لِإِصْالِ الجَمِيعِ إِلَيْكَ عَلَيَّ بِنِ
 الحَسِينِ الهَاشِمِيِّ الزِينِيِّ (٢) وَأَحْمَدَ بِنِ نَصْرِ العَبَّاسِيِّ ،
 حَاجِبِهِ ، وَدَجِي (٣) خَادِمِهِ ، فَتَلَقَّ شُرْفَ الدَّولة ، وَزِين

(١) فِي صَبِیحِ الأَعْشى : يَلْفِها .

(٢) فِي صَبِیحِ الأَعْشى : الزِينِيُّ .

(٣) فِي صَبِیحِ الأَعْشى : وَوَحِي .

الملة ، وأبا الفوارس - أدام الله عزك - بما يحقّ عليك ، من
 تقوى الله في سرّك وجهرك ، ومراقبته في قولك وعملك ،
 وابتغاء رضاه في مُخْتَلِجِ خطراتك وفكرك ، واتّباع
 طاعته في مخارج أمرك ونهيك ، وقابل ما أنعم به عليك ،
 وأحسن فيه إليك ، بالشكر الذي موقعه من النعمة موقع
 القَرَى من (٢١٥ ١) الضيف إن وجدته لم يذم ، وإن
 فقدته لم يُقم ، وامدّد على من وُلّيت عليه من الخاصة
 والعامّة ظلّك ، ووطئ لهم كنفك ، واغمرهم بطولك ،
 وسُسّمهم سياسة يكون بها صلاحهم مضمونا ، وحرّمهم
 مصونا ، وبلادهم معمورة ، ومنافعهم موفورة ، وحلبهم
 دارًا ، وعيشهم رغدا ، وثغورهم مسدودة ، وأعاديتهم
 مدّودة ، ومسالكهم مَحْمِيّة ، ومسكنهم مرعِيّة ، ومُرهم
 بالمعروف ، وانهم عن المنكر ، وابعثهم على الحسنات ،
 واكفهم عن السيئات ، وساو في الحق بين شريفهم
 ومشروفهم ، وقويهم وضعيفهم ، وقريبهم وغريبهم ،
 ومليهم وذمّهم ، وقوم سفهاءهم وجهالهم ، وانف دُعّارهم
 وخرّابهم ، وأكرم صلحاءهم وحلماءهم ، وشاور فضلاءهم
 وعقلاءهم ، وجالس أدنياءهم وأعلّياهم ، ورتّبهم (١)

(١) في صبح الأمل : وأنلهم مراتبهم .

مراتبهم ، ونزلهم منازلهم ، وأرهم تمسكك بالدين
ليقتدوا بك فيه ، ورغبتك في الخير ليتقربوا إليك به .
وخذ الحق وأعطه ، وابسط العدل وقل به ، وادراً الحدود
بالشبهات ، واقمعتها (١) وأمضها بالبينات ، لتكون
الرغبة إليك في رهب ، والرغبة منك في رغب (٢) ، وبالجملة
فاحمل الناس على كتاب الله جل وعز وآدابه ، وسنة الرسول
وما جا به .

واعلم أن أمير المؤمنين قد جعل كتابه هذا عهداً إليك ،
وحجة لك وعليك ، وأن الأوامر والنواهي في العهد تكون
كثيرة ، وإنما قصر فيه عن استيفائها ، لارتفاع طبقتك
عن الحاجة إلى استقصائها ، وللخروج إلى الله من الحق
في تضمينه هذه الجمل منها ، فإذا وصل ذلك إليك مع
كرامات أمير المؤمنين المقدم ذكرها لك ، فالبس خلعته ،
وتقلد سيفه ، وتحل بحلّاه ، وابرز لمن يليك على
حملته (٣) ، وأظهر لهم ضروب إحسانه وامتنانه ، وانصب
أمامك اللواعين ، وتكن وتلقب باللقبين ، وكاتب من

(١) في صبح الأعشى : وأقمها .

(٢) في صبح الأعشى : لتكون الرغبة إليك في رغب والرغبة منك في رهب .

(٣) الحملان : ما يحمل عليه من الدواب في الهبة .

طبقات الناس متلقبا بهما متكنيا ، إلا أمير المؤمنين فإن
(٢١٥ ب) الأدب أن لا تكاتبه متلقبا بل مُتسميا ، وليس
ذلك ناقصا لك فيما أعطيته ، ولا مرتجعا شيئا مما حُببته ،
ولكنه الأمر بالمعروف ، والرسم المؤلف ، وصل ما بينك
وبين أخيك صمصام الدولة وشمس الملة - أدام الله الإمتاع
بكما - بالمودة ، كما وصله الله بالأخوة ، وكونا جميعا
يدا في طاعة أمير المؤمنين ، واستقيما على كلمة سواء في
رعاية المسلمين ، واتفقا على مسالة المسالين ، وتعاضدا
في محاربة المحاربين ، فان ذلك أرأب للصدع ، وأضم
للنشر (١) ، وأنظم للشمل ، وألحق بالأهل ، وأقم الدعوة
لنفسك على منابر الممالك بعد إقامتها لأمير المؤمنين ،
وكتب أمير المؤمنين بأخبارك ، وطالع به بأثارك ، واستدع
أمره فأمره فيما استعجم من التدبير عليك ، ورأيه فيما
استبهم من الأمور دونك ، واسترشده إلى الحظ يرشدك ،
واستهده في الخطوب يهدك ، واستمده من المعونة يمددك ،
واشكر آلاءه يزيدك ، إن شاء الله تعالى .

(١) في صبح الأعشى : وأحم للبشر .

أطال الله بقاءك ، وأدام عزك وتأييدك ، وسعادتك
ونعمتك ، وأمتع أمير المؤمنين بك وبالموهبة (١) فيك
وعندك ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

المذهب الثالث

أن يفتتح العهد بلفظ : إن أولى ، أو إن أحق ،
وما أشبه ذلك ، وهي طريقة غريبة خارجة عن أصول
الكتابة ، من حيث إن رتبة الملوك فيما يكتب لهم
التعظيم ، ومثل هذا الافتتاح إنما يكتب لأصحاب الرتب
السافلة التي لا تقارب رتبة الملك ولا مادونها .

على أنه قد كُتب بذلك عن ديوان الخلافة ببغداد
للسلطان صلاح الدين يوسف على جلالة قدره بتقليد
الديار المصرية والبلاد الشامية واليمينية في بعض الأحيان
(١٢١٦) وكان ذلك إنما وقع حين كان الخليفة الناصر
لدين الله مُتغيِّراً عليه حين تلقب بالملك الناصر ، لما
في ذلك من مضاهاة لقب الخليفة .

وهذه نسخة العهد المكتوب به على هذه الطريقة (٢)

(١) في صبح الأعشى : وبالرغبة فيك .

(١) صبح الأعشى - ١٠ ص ١٤٥

إِنَّ أَوْلَىٰ مِنْ جَادَتْ رَبَاعَهُ سَحْبُ الْأَصْطِنَاعِ ، وَخُصَّ
 مِنَ الْأَصْطِفَاءِ وَالْإِحْتِبَاءِ بِالْصَفَايَا وَالْمَرْبَاعِ ، مِنْ تَوْسَمٍ
 فِيهِ انْتِهَاجٌ^(١) الْجَدِّ الْقَوِيمِ ، وَالطَّرِيقِ الْوَاضِحِ الْمُسْتَقِيمِ ،
 وَاعْتِاقٍ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ بِأَوْثِقِ عِصْمِهِ وَحِبَالِهِ ، وَالْفِنَاءِ الَّذِي
 يَهْتَدِي بِأَنْوَارِهِ فِي مُتَصَرِّفَاتِهِ وَأَعْمَالِهِ ، وَالتَّحْلِ بِجَمِيلِ
 الذِّكْرِ فِي سِيرَتِهِ ، وَخُلُوصِ الْإِعْتِنَاءِ بِأُمُورِ عَطِيَّتِهِ^(٢) ،
 وَكَانَ رَاغِبًا فِي إِقْتِنَاءِ حَمِيدِ الْخِلَالِ ، مُجْتَهِدًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ
 بِمَا يَفِيضُهُ^(٣) مِنَ الْعَدْلِ الْمُمْتَدِّ الظَّلَالِ ، عَامِلًا فِي مَا يُنَاطُ
 بِهِ بِمَا يَتَضَوَّعُ نَشْرُ مُخْتَبِرِهِ^(٤) ، وَيُجْتَنَىٰ بِحَسَنِ
 صَنْعِهِ يَانَعُ ثَمْرُهُ ، بِإِذْلَا وَسْعِهِ فِي الصَّلَاحِ ، مُؤَدِّنَةً مَسَاعِيهِ
 بِفَوْزِ الْقِدَاحِ .

وَلَمَّا كَانَ الْمَلِكُ الْأَجَلُ السَّيِّدُ صِلَاحِ الدِّينِ ، نَاصِرُ
 الْإِسْلَامِ ، عِمَادُ الدَّوْلَةِ ، جَمَالُ الْأُمَّةِ^(٥) ، فَخْرُ الْمَلَّةِ ،
 صَفِيُّ الْخِلَافَةِ ، تَاجُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، قَامَعَ الْكُفْرَةَ

(١) فِي صَبِيحِ الْأَعْشَى : مِنْ تَرْسَمِ انْتِهَاجِ الْجَدِّدِ .

(٢) فِي صَبِيحِ الْأَعْشَى : بِأُمُورِ رَعِيَّتِهِ .

(٣) فِي صَبِيحِ الْأَعْشَى : بِمَا يَرْضِيهِ .

(٤) فِي صَبِيحِ الْأَعْشَى : نَشْرُ خَيْرِهِ .

(٥) فِي صَبِيحِ الْأَعْشَى : جَمَالُ الْمَلِكِ .

والمشركين ، قاهر الخوارج والمتمردين ، عز المجاهدين ألب غازی ،
بك بن يوسف^(١) بن أيوب - أدام الله علوه - على هذه السجايا
مقبلا ، وبصفاتها الكاملة مشتملا ، مؤثرا تضاعف المآثرات ،
مثابرا متأثرا على ما تزكوه الأعمال الصالحات ، متحليا بالمحامد
الرائقة ، مستبدا بالمناقب التي هي لجميل أفعاله موافقة
مطابقة ، محصلا من رضا الله تعالى ما يؤثره ويرومه من
طاعة الدار العزیزة - لازالت مشيدة البناء ، سابعة النعماء ،
دائمة الاستبشار ، عزيزة الأنصار - من استمرار الظفر ما يستديمه .
اقتضت الآراء الشريفة - لا زال التوفيق قرينها ،
والتأييد مظافرها ومعينها - إمضاء تصرفه ، وإنفاذ حكمه
في بلاد (٢١٦ ب) مصر وأعمالها ، والصعيد الأعلى
والإسكندرية ، وما يفتحه من بلاد الغرب والساحل ،
وببلاد اليمن وما افتتحه منها ، واستخلصه بعد من ولايتها ،
والتعويل في هذه الولايات عليه واستنقاذ^(٢) ما استولى
عليه الكفار من البلاد ، وإعزاز كل من أذلوه واضطهدوه
من العباد ، لتعود الثغور بيمن نقيبته ضاحكة المباسم ،
وبإصابة رأيه قائمة المواسم .

(١) لئها : غازی بك يوسف

(٢) في الأصل : « واستناد » وصوبنا من صبح الأعشى - ١٠ ص ١٤٦

أمره بادئاً بتقوى الله التي هي الجنة الواقية ، والذخيرة
 الباقية ، والعصمة الكافية ، والزاد إذا أنفض وفد الآخرة
 وأرملوا (١) ، والعتاد النافع إذا وجدوا شاهدا لهم وعليهم
 ما عملوا ، فإنها العلم المنسوب للرشد ، قال الله تعالى
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ
 لِعَدِّهِ ﴾ (٢) .

وأمره أن يتخذ كتاب الله لزواجه ومواعظه ، ويعتبر
 بتخويفه وملاحظه ، ويصغى إليه بسمعه وقلبه ، وجوارحه
 ولبه [ويعمل بأوامره المحكمة ، ويقف عند نواهيه المبرمة]
 ويتدبر ما حوته آياته من الوعد والوعيد ، والزجر
 والتهديد ، قال الله عز وجل ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ .
 لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ
 حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (٣) .

وأمره أن يكون على صلواته محافظاً ، ولنفسه عن
 الإخلال والتقصير في أداء فرضها واعظاً ، فيغتني الاستعداد

(١) أنفضوا: هلكت أموالهم وفي زادهم . وأرمل القوم بمعنى أنفضوا نقد زادهم وانفقوا .

(٢) سورة الحشر الآية ١٨

(٣) سورة فصلت الآية ٤١ ، ٤٢

أمام أوقاتها للآداء ، ويحترز من فواتها والحاجة إلى القضاء ،
مؤفياً حقها من الركوع والسجود ، على الوصف الواجب
المحدود ، مخلصاً سره عند الدخول فيها ، وناهيأ نفسه
عما يصدها بالأفكار ويُلْهِيها ، مجتهدا في نفي الفكر
والوسواس عن قلبه ، منتصبأ في إخلاص العبادة لربه ،
ليغدو بوصف الأبرار منعوتا ، قال الله تعالى ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ
كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ (١) .

وأمره بقصد المساجد الجامعة في أيام الجمع ، امثالا
لأمر الله المتبوع ، بعزيمة في الخير صادقة ، ونية للعبادة
موافقة ، وفي الأعياد إلى المصلّيات (٢١٧ ١) المصحرة
المجمّلة بالمنابر الحالية ، التي هي من الأدناس مطهرة نابية ،
فإنها من مواضع العبادة ومواطنها ، ومظان تلاوة القرآن
المأمور بحفظ آدابها وسننها ، فقد وصف الله تعالى
من وفقه لتجميل بيوته بالعمارة ، بما أوضح فيه الإشارة ،
وشرفه بوضع سمة الإيمان عليه بالإكرام الفاخر فقال
﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ (٢)

(١) سورة النساء الآية ١٠٣

(٢) سورة التوبة الآية ١٨

فيقيم الدعوة الهادية على المنابر على عادة من تقدمه ،
ومنتهياً فيها إلى أحسن ما عهده وعلمه .

وأمره بلزوم نزاهة الحُرُمات ، واجتناب المحرمات ،
والتحلي من العفاف والورع بأجمل القلائد الراقية ،
والتقمُّص بملابس التقوى التي هي بأمثاله لائقة ، وسلوك
مناهج الصلاح الذي يجمل به فعله ، ويصفو له عُلُّه
ونَهْلُهُ ، وأن يمنع نفسه من الغضب ، ويردّها عما يأمر
به من سوء المُكتسب ، ويأخذها بآداب الله سبحانه
في نهيبها عن الهوى ، وحملها على التقوى ، وردّها عن
التورط في المهاوى والشُّبه ، وكلّ أمر يلتبس فيه الحق
ويشتبه ، ويلزمها الأخذ بالعتو والصفح ، والتأمُّل
لمكان الأعمال فيه واللَّمح ، قال الله [تعالى] ﴿ تَخِذِ الْعَفْوَ
وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (١) .

وأمره بإحسان السيرة في الرعايا بتلك البلاد ،
واختصاصهم بالصَّوْنِ الرَّائِحِ والغاد ، ونشر جناح
الرِّعَايَةِ على البعيد منهم والقريب ، وإحلال كل منهم
محلّه على القاعدة والترتيب ، وإشاعة المعدلة فيهم ،

(١) سورة الأعراف الآية ١٩٩

وإسهام دانيهم من وافر ملاحظته وقاصيهم ، وأن يحمي
سرحهم من كل داعر ، ويذود عنهم كل مؤارب بالفساد
ومُظاهر ، حتى تصفو لهم من الأمن الشرائع ، وتصفو
عليهم من بركة ولايته المدارع ، وتستنير بضوء العدل
منهم المطالع ، ويحترم أكابرهم ، ويحنو على أصاغرهم ،
ويشملهم بكنفه ودرعه ، وينتهي في مصالحهم إلى
غاية وسعته ، ولا يألوهم (٢١٧ ب) في النصح جهداً ،
ولا يخلف لهم في الخير وعدا ، ويشاورهم في أمره ، فإن
المشورة داعية إلى الفلاح ، ومفتاح باب الصلاح ، قال
الله تعالى ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ
فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (١)

وأمره بإظهار العدل في الرعية التي تضمها جميع
الأكناف والأطراف ، والتحلي من النصفة بأكمل
الأوصاف ، وحمل كافتهم على أقوم جدد ، وعصيان
الهوى في تقويم كل أود ، والمساواة بين الفاضل والمفضول
في الحق إذا ظهر صدق دليله ، والاشتمال عليهم بالأمن
الذي يعذب لهم برؤد مقيله ، وكشف ظلامه من انبسطت

(١) سورة آل عمران الآية ١٥٩

إلى تَحْيِيفِهِ الأَيْدِي والأَطْمَاعِ ، وَأَعْجَزْتَهُ النُّصْرَةَ لِنَفْسِهِ
والدَّفْعِ ، وَتَصَفُّحِ أحوالِهِمْ بَعِينٍ لا تَرْنُو إلى هَوَى
يَمِيلُ بِهَا عَنِ الوَاجِبِ ، وَسَمِعَ (١) لا يُصْغِي إلى مَقَالِهِ
مَائِنٌ وَلا كاذِبٌ ، وَلا يَغْفُلُ عَنِ مَصْلِحَةِ تَعُودِ إِلَيْهِمْ ،
وَيَرْجِعُ نَفْعَهَا عَلَيْهِمْ ، وَلا عَن كَشْفِ ظَلَامَاتِ بَعْضِهِمْ
مِنْ بَعْضٍ ، وَرَدَّهُمْ إلى الحَقِّ فِي كُلِّ رَفْعٍ مِنْ أحوالِهِمْ وَخَنَاضٍ ،
فَلا يُرَى إلا بِالْحَقِّ عَامِلاً ، وَللأُمُورِ عَلى سَنَنِ الشَّرِيعَةِ حَامِلاً ،
مَجْتَنِباً إِغْفَالَ مَصالِحِهِمْ وَإِهْمالِهَا ، وَحارِساً نِظامِها عَلى
تَتابِعِ الأَيامِ وَاتِّصالِها ، لِيَكُونَ ذَلِكَ إلى وَفُورِ الأَجْرِ
داعِياً ، وَبِحُسْنِ الأُحْداثِ قاضِياً ، مَقْتَدِياً بِما نَطَقَ بِهِ
القرآنُ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ (٢) .

وَأَمْرَهُ أَنْ يَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَيُقِيمَ مَنارَهُ ، وَيُنْهَى عَنِ
الْمُنْكَرِ وَيَمْحُو آثارَهُ ، فَلا يَتْرِكُ مُمَكِّناً مِنْ إِظْهَارِ الحَقِّ
وَإِعْلانِهِ ، وَقَمَعَ الباطِلَ وَإِخْماءَ نيرانِهِ ، وَيَعْتَمِدُ مِسانِدَ
كُلِّ مُرْشِدٍ إلى الطَّرِيقِ الأَقْصَدِ ، وَنَافِ عَنِ التَّظَاهِرِ بِالْمَحْظُورِ
فِي كُلِّ مَشْهَدٍ ، فَإِنَّهُ تُضْحِي مَعُونَتُهُ مُشارَكَةً فِي إِحْرازِ

(١) فِي الأَصْلِ : وَنَجِجَ .

(٢) سورَةُ النحلِ الآيَةُ ٩٠ .

المثوبة ومساهمة ، ومساومةً في إقتناء الأجر ومُقاسمة ، وأن يُوعز بإزالة مظانّ الريب والفساد في الداني [من الأعمال] والقاصي ، فإنها مواطن الشيطان وأماكن المعاصي ، وأن يشدّ على أيدي (٢١٨) الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، ويعينهم على ذلك بما يطيب ذكره في كل مشهد ومحضر ، ويجتهد في إزالة كل محذور ومنكر ، مُقَدِّم في الباطل ومؤخّر ، قال الله تعالى ﴿ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (١) .

وأمره أن يقدم الاحتياط في حفظ الثغور ومجاوريتها من الكفار ، ويستعمل غاية التيقظ في ذلك والاستظهار ، ليأمن عليها غوائل المكائد ، ويفوز من التوفيق لذلك بأنواع المحامد ، ويتجرد لجهاد أعداء الدين ، والانتقام من الكفرة المارقين ، أخذاً بقول رب العالمين ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢) وأن يعمل فيما يحصل من الغنائم عند فلّ جموعهم ، وافتتاح بلادهم وربوعهم ، بقول الله وما أمر به في قسّمها [وإيفاء كل

(١) سورة لقمان الآية ١٧

(٢) سورة التوبة الآية ٤١

صاحب حصّة منها] سالكاً سبيل من غدا لآثار الصلاح مقتفياً ، وللفرص في ذلك مُؤدّياً ، وبهدى ذوى الرشد مُهتدياً ، قال الله تعالى في محكم التنزيل ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ (١)

وأمره أن يجيب إلى الأمان لمن طلبه (٢) ، ويكون وفاؤه مقترباً بما تضمّنه ، غير مُضمّر خلاف ما يعطى به صفة أمانه ، ولا مخالف باطنه ما أظهره من مقاربتة إلى عقد الهدن وإتيانه (٣) ، ويجتنب الغدر وما فيه من العار ، وإسقاط الملك الجبار ، قال الله عز وجل ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (٤)

[وأمره بأن يأمر أصحاب المعاون بمساعدة القضاة والحكام ومعاونتهم بما يقضى بلم شمل الصلاح في تنفيذ القضايا والانتظام ، وأخذ الخصوم بإجابة الداعي إذا استحضروا

(١) سورة الأنفال الآية ٤١

(٢) في صبح الأعشى : من طلبه منه .

(٣) جملة « ولا مخالف ... » ليست في صبح الأعشى

(٤) سورة النحل الآية ٩١

إلى أبوابهم للإِنصاف ، والمصارعة إلى الحق الواجب عليهم
من غير خلاف ، قال الله تعالى ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ
كَارَهُونَ ﴾ (١) [

وأمره بالتعويل في المظالم وأسواق الرقيق ودور الضرب
والحسبة على من يأوي إلى عفاف ودين ، وعلم بأحكام
الشريعة وصحة يقين ، لا يخفى عليه ما حرّمه الله تعالى
وأحلّه ، ولا يلتبس على علمه ما أوضح إلى الحق الواضح
سبله ، وإلى من يتولّى المظالم بإيصال الخصوم إليه ،
وإنصافهم كما أوجبه الله [تعالى] عليه ، واستماع
ظلاماتهم ، وإحسان النظر في مشاجراتهم (٢) .

وأمره أن يتلقى النعمة التي أفرغت عليه ، وانسأقت
إليه ، بشكر ينطق به لسانه ، ويترجم عنه بيانه ،
ليستديم بذلك الإكرام ، ويقترن الإحسان عنده بالالتئام ،
وأن يوفيهما حقّها من دوام الحمد ، (٢١٨ ب) والقصد
إلى شكرها والعمد (٣) قال الله تعالى ﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا
يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ﴾ (٤) .

(١) سورة المؤمنون الآية ٧٠

(٢) في صبح الأعشى زيادة عشرة أسطر بعد هذه .

(٣) في الأصل : « والفضائل إلى شكرها والحمد » . انظر صبح الأعشى ١٠٠ ص ١٥١ ،
فالتصويب منه .

(٤) سورة النمل الآية ٤٠

وليعلم أنه قد بين له من الصلاح ما اتضحت أعلامه ،
 وأثبتت في المرامي سهامه ، وأرشد إلى ما أودع هذا المنشور
 من جدد الفوز بمرضاة الله تعالى وشكر عباده ، عاملا في
 ذلك بمقتضى جدّه واجتهاده ، ليُحْرَزَ السبق في دنياه
 وعقباه ، ويتوفّر عنده ما مُنح به مما أُرهِف عزمه
 وحباه ، وغدا بمكانه رافلا في ملابس الفخر والبهاء ،
 نائلاً منه (١) ما طال به مناكب القرناء ، واختصّ بما أعلى
 درجته فتقاعست عنه آمال حاسديه ، وتفرد بالمكانة
 عن مقام من يباريه ويُنَاوِيه ، وأُولِيّ من الإنعام ما أمّن به
 سِرْب النعمة عنده ، وأَصْفَى من مناهل الإحسان ورده ،
 وأهدى إليه من المواعظ ما يجب أن يُودِعَهُ وَاعِيَةَ الأَسْمَاعِ ،
 ويأخذ بالعمل به كل راع ، فينهج - أدام الله علوه -
 محاجّ الولاء ، الذي عُهِد من أمثاله من الأولياء ،
 متنزها عن تقصير منه في عامة الأوقات ، ومراعيا أفعاله
 في جميع التصرفات ، ويعلم أنه مسؤل عن كل ما يَلْفِظُ
 به لسانه ناطقا ، ونَظَرَ طَرْفُهُ إِلَيْهِ رامقا ، قبل أن يجانب
 هواه ، ويبقى رهينا بما اكتسبت يداه ، ولا يغترّ من الدنيا

(١) في الأصل : منى وكذلك في صبح الأعشى .

وزخرفها بغيرار ليس الوفاء من طباعه ، ومُعِيرٍ ما أقصر
مدّة ارتجاعه ، وسبيلُ كافة القضاة والأعيان ومقدمي
العساكر والأجناد ، ورؤساء البلاد ، متابعته وموافقته ،
وطلب مصالحهم من جانبه ، والتصرف على استصوابه ،
وقد أُكِّدَتْ وَصَاتُهُ فِي الرِّفْقِ بِهِمْ [والاشتمال عليهم]
والإحسان إليهم وإجمال السيرة فيهم ، وكلّما أشكل
عليه أمر من المتجددات (١) يطالع به الديوان العزيز
مجده الله تعالى ليُنْهَجَ له السبيل إلى فتح رتاجه ، وسلوك
منهاجه ، والله ولي التوفيق والهداية ، وجمع الكلمة في
كل إعادة وبداية ، والمعونة على العصمة من الزلل ،
والتأييد في القول والعمل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

قلت : وقد عاب الوزير ضياء الدين بن الأثير هذا
التقليد في كتابه «المثل السائر» وغض منه وعارضه
بتقليد أنشأه ، وقد ذكرته في كتاب صبح الأعشى في
كتابة الإنشاء (٢) لإتساعه وبسط القول فيه ، افتتحه
بقوله : أما بعد ، فإن أمير المؤمنين يبدأ بحمد الله الذي يكون

(١) في الأصل : المتجددات .

(٢) انظر ج ١٠ ص ١٣٥ إلى ص ١٤٤ والمثل السائر ص ٩١

لكل خطبة قيادا ، ولكل أمر مهادا .
أهملت ذكره في هذا الكتاب لكونه لم يكتب
به لأحد .

(١٢١٩) المذهب الرابع

في عهود الملوك أن يفتتح العهد بالحمد لله ، وهو الذي
استقر عليه عمل المتأخرين من كتاب الديار المصرية ،
على أن المقرّ الشهابي بن فضل الله قد أنكر على الصاحب
فخر الدين بن لقمان حيث افتتح العهد الذي كتب به
للظاهر بيبرس بالحمد وقال : ليس ابن لقمان بحجة ،
ثم قال : على أن القاضي^(١) محيي الدين قد تبعه فيما كتب
به للمنصور قلاوون ، ولا وجه لإنكاره على ابن لقمان ،
فقد كتب بمثل ذلك من ديوان الخلافة ببغداد عن الإمام
المستنصر بالله بن الظاهر بأمر الله بن الناصر لدين الله
العباسي للسلطان الملك الكامل نصير الدين محمد بن
العاذل أبي بكر ، من إنشاء الوزير أبي الأزهر أحمد بن
الناقد بخط العدل ناصر بن رشيد الخرنومي ، في شهر
رجب الفرد سنة ثلاثين وستمائة ، إلا أنه جرى فيه على

(١) في الأصل «الفاضل» وانظر ص ١٢٩

الأُسلوب القديم من قولهم في أوامر الخلافة : أمره بكذا
وأمره بكذا .

وهذه نسخته فيما ذكره البورى في « تاريخه » (١)

الحمد لله الذى اطمأنت القلوب بذكره ، ووجب على
الخلائق جزيل حمده وشكره ، ووسعت كل شىء رحمته ،
وظهرت فى كل أمر حكمته ، ودلّ على وحدانيته بعجائب
ما أحكم صنعا وتدبيراً ، وخلق كل شىء فقدره تقديراً ،
مُمدّ الشاكرين بنعمائه (٢) التى لا تحصى عدداً ، وعالم
الغيب الذى لا يظهر على غيبه أحداً ، لا معقب لحكمه
فى الإبرام والنقض ، ولا يؤوده حفظ السموات والأرض ،
تعالى أن يحيط به الضمير (٣) وجلّ أن يبلغ وصفه
البيان والتفسير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ (٢١٩ ب)
الْبَصِيرُ﴾ (٤) والحمد لله الذى أرسل محمداً صلى الله عليه
وسلم بالحق بشيراً ونذيراً ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا

(١) صبح الأعشى - ١٠ ص ٩٩

(٢) فى صبح الأعشى : بنعمه .

(٣) فى صبح الأعشى : بحكمه الضمير .

(٤) سورة الشورى الآية ١١

مُنِيرًا ﴿ (١) وابتعثه هادياً للخلق ، وأوضح به مناهج
الرشد وسبل الحق ، واصطفاه من أشرف الأنساب وأعز
القبائل ، واجتباها لإيضاح البراهين والدلائل ، وجعله
لديه أعظم الشفعاء وأقرب الوسائل ، فقذف صلى الله
عليه وسلم بالحق على الباطل ، وحمل الناس بشريعته
الهادية على المحجبه البيضاء والسنن العادل ، حتى استقام
اعوجاج كل زائغ ورجع إلى الحق كل جاحد عنه ومائل ،
وسجد لله كل شيء ﴿ فَيَتَفَيَّأُ ظِلَّاهُ عَنِ الِْيَمِينِ وَالشَّمَالِ ﴿ (٢)
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام الأفاضل ، صلاة مستمرة
بالغدوات والأصائل ، خصوصاً علي عمه وصنو أبيه العباس
ابن عبدالمطلب الذي اشتهرت مناقبه في المجمع والمحافل ، ودرت
ببركة الاستسقاء به أخلاف السحب الهواطل ، وفاز من
تنصيب الرسول على عقبه في الخلافة المعظمة بما لم يفز
به أحد من الأوائل .

والحمد لله الذي حاز موارث النبوة والإمامة ، ووفر
جزيل الأقسام من الفضل والكرامة ، لعبده وخليفته ،
ووارث نبيه ومحيي شريعته ، الذي أحله الله عز وجل من
معارج الشرف والجلال في أرفع ذروة ، وأعلقه من حسن

(١) سورة الأحزاب الآية ٤٦

(٢) سورة النحل الآية ٤٨

التوفيق الإلهي بأمته عصمة وأوثق عروة ، واستخرجه من أشرف نجارٍ وعنصر ، واختصه بأزكى منحة وأعظم مفخر ، ونصبه للمؤمنين علما ، واختاره للمسلمين إماما وحكما ، وناط به أمر دينه الحنيف ، وجعله قائما بالعدل والإنصاف بين القوى والضعيف ، إمام المسلمين ، وخليفة رب العالمين ، أبي جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين ، بن الإمام السعيد النقيّ أبي نصر محمد الظاهر بأمر الله ، بن الإمام الوفي أبي العباس أحمد الناصر لدين الله ، بن الإمام السعيد الزكي أبي محمد الحسن المستضيء بأمر الله أمير المؤمنين (١٢٢٠) صلوات الله عليهم أجمعين ، وعلى آبائه الطاهرين ، الأئمة المهديين ، الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون ، ولقوا الله تعالى وهو عنهم راض وهم عنه راضون .

وبعد ، فبحسب ما أفاضه الله تعالى على أمير المؤمنين صلوات الله عليه وسلامه ، من خلافته في الأرض ، وفوضه إلى نظره المقدس في الأمور من الإبرام والنقض ، واستخلصه له من حياة بلاده وعباده ، ووكله إلى شريف نظرة ومقدس اجتهاده ، لا يزال - صلوات الله عليه - يكلاء

العباد بعين الرعاية ، ويسلك بهم في المصالح العامة
والخاصة مذاهب الرشد وسبيل الهداية ، وينشر عليهم
جناحي عدله وإحسانه ، ويُنعم لهم النظر في إرشاد (١)
الأمناء الصلحاء من خلصاء أكفائه وأعوانه ، متخيراً
للاسترعاء من استحمد إليه بمشكور المساعي ، وتعرف إليه
في سياسة الرعايا بجميل الأسباب والدواعي ، وسلك في
مفروض (٢) الطاعة الواجبة على الخلائق قصد السبيل ،
وعلم منه حسن الاضطلاع في مصالح المسلمين بالعبء
الثقيل ، والله عز وجل يؤيد آراء أمير المؤمنين - صلوات
الله عليه - بالتأييد والتسديد ، ويُمده أبداً من أقسام
التوفيق الإلهي بالموفور والمزيد ، ويقرن عزائمته الشريفة
باليمن والنجاح ، ويُسنِّي له فيما يأتي وينذر أسباب الخير
والصلاح ، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه
يتوكل وإليه ينيب .

ولما وفق الله تعالى نصير الدين (٣) محمد بن
سيف الدين أبي بكر بن أيوب من الطاعة المشهورة ،

(١) في صبح الأعشى : في ارتياد .

(٢) في صبح الأعشى . في مفترض .

(٣) في هامش صبح الأعشى : المشهور ناصر الدين .

والخدم المشكورة ، والحظوة في جهاد أعداء الدين
بالمساعي الصالحة ، والفوز من المراضى الشريفة ، الإمامية
- أجدها الله تعالى - بالمغانم الجزيلة والصفقة الرابعة ،
لما وصل فيه سالف شريف الاختصاص بآنفه ، وشفع
تالده في تحصيل مآثور الاستخلاص بطارفة ، واستوجب
بسلوكه من الطاعة المفروضة مزيد الإكرام والتفضيل
(٢٢٠ ب) وضرع في الإنعام عليه بمنشور شريف إمامي
يسلك في أتباعه هُداة والعمل بمراشده سواء الصراط وقصد
السبيل ، اقتضت الآراء الشريفة المقدسة - زادها الله تعالى
جلالا متآلق الأنوار ، وقدسا يتساوى في تعظيمه من هو
مستخف بالليل وسارب بالنهار - الإيعاز بإجابته إلى ما
وجه أمله إلى الإنافة فيه به إليه ، والجذب بضبعه إلى ذروة
الاجتباء الذي تظهر أشعة أنواره الباهرة عليه ، فقلده -
على خيرة الله تعالى - الزعامة والغلات (١) ، وأعمال
الحرب والمعاون والأحداث والخراج والضباع والصدقات ،
والجوالي وسائر وجوه الجبايات ، والعرض والعطاء ،
والنفقة في الأولياء ، والمظالم والحسبة في بلاده ، وما يفتحه

(١) في الأصل : والصلاة .

ويستولى عليه من بلاد الفرنج الملاعين (١) ، وبلاد من
تَبْرُزُ إليه الأوامر الشريفة بقصده من المارقين (٢) عن
الإجماع المنعقد من المسلمين ، ويتعدى حدود الله تعالى
مخالفة من حصل من الأعمال الصالحات بولائه
المفروض على الخلائق مقبولة ، وطاعته ضاعف الله جلاله
بطاعته وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم موصولة ،
حيث قال عز من قائل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ (٣) واعتمد -
صلوات الله عليه وسلامه - في ذلك على حسن نظره ومدد
رعايته ، وألقى مقاليد التفويض إلى وفور اجتهاده وكمال
سياسته ، وخصه من هذا الإنعام الجزيل بما يبقى له على
تعاقب الدهر واستمراره ، ويُخلد على ممر الزمان حسن
ذكره وجزيل فخاره ، وحباه بتقليد يُوطد له قواعد
الممالك ، ويفتح بإقليده رتاج الأبواب والمسالك ، ويفيد
قاعدته في بلاده زيادة تقرير وتمهيد ، ويطير به صيته في
كل قريب وبعيد ، ووسمه بالملك الأجل ، السيد الكامل

(١) في صبح الأعشى : الملاحين .

(٢) في صبح الأعشى : الشاذين .

(٣) سورة النساء الآية ٥٩

المجاهد المرابط نصير الدين . (٢٢١) ركن الإسلام ،
 أثير الأنام تاج الملوك والسلاطين ، قامع الكفرة والمشركين ،
 قاهر الخوارج والتمرديين ، ألب غازى بك محمد بن أبى بكر
 ابن أيوب ، معين أمير المؤمنين ، رعايةً لسوابق خدمته
 وخدم أسلافه وآبائه ، عن وفور اجتهاده ، وكمال ازدلافه ،
 وإنافه من ذروة القرب إلى محل كريم ، واختصاصا له
 بالإحسان الذى لا يُلقاه إلا من هو كما قال تعالى ﴿ ذُو حُظٍّ
 عَظِيمٍ ﴾ (١) وثوقا بصحة ديانته التى يسلك فيها سواء سبيله ،
 واستنامةً إلى أمانته فى الخدمة التى ينصح فيها لله تعالى
 ولرسوله ، وركونا إلى الإنعام عليه موضوعاً بحمد الله تعالى
 فى أحسن موضع ، واقعا به لديه فى خير مستقرٍّ ومستودع .
 وأمير المؤمنين - صلوات الله عليه - لا زالت الخيرة
 موصولة بآرائه ، والتأييد الإلهى مقرونا بإنفاذه
 وإمضاءه ، يستمد من الله عز وجل حسن الإعانة فى اصطفائه
 الذى اقتضاه نظره الشريف واعتماده ، وأدى إليه
 ارتياده المقدس الإمامى واجتهاده ، وحسبُ أمير المؤمنين
 اللهُ ونعم الوكيل .

(١) سورة فصلت الآية ٣٥

وأمره بتمتوى الله تعالى التي هي الجُنَّة الواقية ، والنعمة
 الباقية ، والملجأ المنيع ، والعماد الرفيع ، والذخيرة النافعة
 في السر والنجوى ، والجذوة المقتبسة من قوله تعالى
 ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ (١) وأن يدرع بشعارها ،
 في جميع الأقوال والأفعال ، ويهتدى بأنوارها ، في مشكلات
 الأمور والأحوال ، وأن يعمل بها سرا وجهرا ، ويشرح للقيام
 بحدودها الواجبة صدرا ، قال الله تعالى ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ
 يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ (٢)

وأمره بتلاوة كتاب الله متدبرا غوامض عجائبه ، سالكا
 سبل الرشاد والهداية في العمل به . وأن يجعله مثالا يتبعه
 ويقتفيه ، ودليلا يهتدى بمراشده الواضحة في أوامره
 ونواهيه ، فإنه (٢٢١ ب) الثَّقَلُ الأعظم ، وسبب الله
 المحكم ، والدين (٣) الذي يهتدى به إلى التي هي أقوم ،
 ضرب الله تعالى فيه لعباده جوامع الأمثال ، وبين له بهداه
 الرشد والضلال ، وفرق بدلائله الواضحة بين الحرام
 والحلال ، فقال عز من قائل ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى

(١) سورة البقرة الآية ١٩٧

(٢) سورة الطلاق الآية ٥

(٣) في صبح الأعشى : والنور الذي .

وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ
مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢﴾ .

وأمره بالمحافظة على مفروض الصلوات والدخول فيها
على أكمل هيئة من قوانين الخشوع والإخبات ، وأن يكون
نظره في موضع نجواه (٣) من الأرض ، وأن يُمثّل لنفسه
في ذلك موقفه بين يدي الله تعالى يوم العرض ، قال الله تعالى
﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٤﴾
وقال تعالى ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿٥﴾
وأن لا يشتغل بشاغل عن أداء فروضها الواجبة ، ولا يلهو
بسبب عن إقامة سننها الراتبة ، فإنها عماد الدين الذي
نمّت أعالیه ، ومهاد الشرع الذي رست قواعده ومبانيه ،
قال الله تعالى ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى
وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٦﴾ وقال سبحانه ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى

(١) سورة آل عمران الآية ١٣٨

(٢) سورة ص الآية ٢٩

(٣) في صبح الأعشى : في موضع سجوده .

(٤) سورة المؤمنون الآية ١ ، ٢

(٥) سورة النساء الآية ١٠٣

(٦) سورة البقرة الآية ٢٣٨

عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۝ (١)

وأمره أن يسعى إلى صلوات الجُمع والأعياد، ويقوم في ذلك بما فرضه الله تعالى عليه وعلى العباد، وأن يتوجه إلى الجوامع والمساجد متواضعا، ويبرز إلى المصلّيات الضاحية في الأعياد خاشعا، وأن يحافظ في تشييد قواعد الإسلام على الواجب والمندوب، ويعظم باعتماد ذلك شعائر الله التي هي من تقوى القلوب، وأن يشمل بوافر اهتمامه واعتنائه، وكمال نظره وإرعائه، بيوت الله التي هي محال البركات، ومواطن العبادات، والمساجد التي تأكّد في تعظيمها وإجلالها حكمه، والبيوت التي أذن الله أن تُرفع ويُدكر فيها اسمه، وأن يُرتب لها من الخدم من يتبتّل لإزالة أدناسها، (٢٢٢ ١) ويتصدّى لإذكاء مصابيحها في الظلام وإيناسها، ويقوم لها بما يحتاج إليه من أسباب الصلاح والعمارات، ويحضر إليها ما يليق من الفرش والكسوات.

وأمره باتّباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم التي أوضح جدّها، وثقّف أودّها، وأن يعتمد فيها على الأسانيد التي

(١) سورة النكبات الآية ٤٥

نقلها الثقات ، والأحاديث التي صحت بالطرق السليمة والروايات ، وأن يقتضى بما جاءت به من مكارم الأخلاق التي نذب صلى الله عليه وسلم إلى التمسك بسببها ، ورغب أمته في الأخذ بها والعمل بآدابها ، قال الله تعالى ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (١) وقال سبحانه وتعالى ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ (٢) وأمره بمجالسة أهل العلم والدين ، وأولى الإخلاص في طاعة الله والمتقين (٣) والاستشارة في عوارض الشك والالتباس ، والعمل بآرائهم في التمثيل والقياس ، فإن الاستشارة لهم عين الهداية ، وأمن من الضلال والغواية ، وبها تُلَقَّحُ عُقْمُ الْأَفْهَامِ وَالْأَلْبَابِ ، ويُقْتَدَحُ زِنَادُ الرَّشْدِ وَالصَّوَابِ ، قال الله تعالى في الإرشاد إلى فضلها ، والأمر في التمسك بحبلها ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ (٤) .

وأمره بمراعاة أحوال الجند والعسكر في ثغوره ، وأن يشملهم بحسن نظره الجميل وجميل تدبيره ، مُستصلحا

(١) سورة الحشر الآية ٧

(٢) سورة النساء الآية ٨٠

(٣) في صبح الأعشى : واليقين .

(٤) سورة آل عمران الآية ١٥٩

نياتهم بإدامة التلطف والتعهد ، مستوضحاً أحوالهم
 بمواصلة التفحص والتفقد ، وأن يسوسهم سياسة تبعثهم
 على سلوك المنهج السليم ، ويهديهم في انتظامها واتساقها إلى
 الصراط المستقيم ، ويحملهم على القيام بشرائط الخدم ،
 والتلزم^(١) بها بأقوى الأسباب وأمتن العصم ، ويدعوهم إلى
 مصلحة التواصل والائتلاف ، ويصددهم عن موجبات
 التخاذل والاختلاف ، وأن يعتمد فيهم شرائط الحزم في
 الإعطاء والمنع ، وما تقتضيه مصلحة أحوالهم من أسباب
 الخفض والرفع ، وأن يُثيب (٢٢٢ ب) المحسن على
 إحسانه ، ويُسبل على المسيء ما وسعه العفو واحتمله الأمر
 ذئلاً صفحه وامتنانه ، وأن يأخذ برأى ذوى التجارب منهم
 والحكمة ،^(٢) ويجتنى بمشاورتهم في الأمر ثمر الشركة إذ في
 ذلك أمن من خطأ الانفراد ، وتزحزح عن مقام الزينغ
 والاستبداد .

وأمره بالتبتل بما يليه من البلاد ، ويتصل بنواحيه
 من ثغور أولى الشرك والعناد ، وأن يصرف مجامع الالتفاف^(٣)

(١) في صبح الأعشى : التمسك .

(٢) في صبح الأعشى : والحكمة .

(٣) في صبح الأعشى : الالتفات

إليها ويخصها بوفور الاهتمام بها والتطلع عليها ، وأن
يشمل ما ببلاده من الحصون والمعقل بالإحكام والإتقان ،
وينتهى في أسباب مصالحتها إلى غاية الوسع ونهاية
الإمكان . وأن يشحنها بالميرة الكثيرة والذخائر ، ويمدّها
من الأسلحة والآلات بالعدد المستصلح الوافر ، وأن يتخير
حراسها من الأبناء التّقاة ، ويسدّها بمن ينتخبه من الشجعان
الكّماة ، وأن يتأكد عليهم في استعمال النّفقات
الحفظة والاستظهار^(١) ، ويوقظهم للاحتراس من غوائل
الغفلة والاعتذار ، وأن يكون المشار إليهم ممن ربّوا في ممارسة
الحروب على مكافحة الشدائد ، وتدرّبوا^(٢) في نصب
الجبائل للمشركين والأخذ عليهم بالمراسد ، وأن يعتمد
هذا القبيل بمواصلة المدد ، وكثرة العُدَد ، والتوسعة في
النفقة والعتاء ، والعمل معهم بما يقتضيه حالهم وتفاوتهم
في التقصير والغناء . إذ في ذلك حسم لمادّة الأطماع في بلاد
الإسلام ، وردّ لكيد المعاندين من عبدة الأصنام ، فمعلوم
أن هذا الغرض أولى ما وُجّهت إليه العناية وصُرفت ،
وأحق ما قُصرت عليه الهمم ووقفت ، فإن الله تعالى جعله من

(١) في صبح الأعشى : في استعمال أسباب الحفظة والاستظهار .

(٢) في الأصل : ممن يربو في ممارسة الحروب على مكافأة الشدائد ويدراً في نصب

كان كما قال عليه السلام: « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ النَّاسِ؟
مَمْسُكُ بَعْنَانٍ فُرسِهِ كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً طَارَ إِلَيْهَا » .

وأمره باقتفاء أوامر الله تعالى في رعاياه ، والاهتداء إلى
رعاية العدل والإنصاف والإحسان بمرأشده الواضحة ووصاياه ،
وأن يسلك في السياسة سبيل الصلاح ، ويشملهم بلين
الكنف وخفض الجناح ، ويمدّ ظلّ رعايته على مسلمهم
ومعاهدتهم ، ويؤزح الأقداء والشوائب عن مناهلهم في
العدل ومواردهم ، فينظر في مصالحهم نظراً يساوى فيه
بين الضعيف والقوى ، ويقوم بأودهم قياماً يهتدى به
ويهديهم فيه إلى الصراط السويّ ، قال الله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ
يَسْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١)

وأمره باعتبار أسباب الاستظهار والأمانة ، واستقصاء
الطاعة المستطاعة والقدرة الممكنة ، في المساعدة على
قضاء تفتّ حجاج بيت الله الحرام ، وزوّار نبيه عليه
أفضل الصلاة والسلام ، وأن يُمدّمهم بالإعانة في ذلك على
تحقيق الرجاء وبلوغ المرام ، ويحرسهم من التخطف

(١) سورة النحل الآية ٩٠

والأذى في (٢٢٣ ب) حالي الظن والمقام ، فإن الحج
أحد أركان الدين المشيئة ، وقروضه الواجبة المؤكدة ،
قال الله تعالى ﴿ وَ لِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾ (١)

وأمره بتقوية أيدي العاملين بحكم الشرع في الرعايا ،
وتنفيذ ما يصدر عنهم من الأحكام والقضايا ، والعمل
بأقوالهم في ما يثبت لذوى الاستحقاق ، والشد على
أيديهم فيما يرونه من المنع والإطلاق ، وأنه متى تأخر
أحد الخصمين عن إجابة داعي الحكم ، أو تقاعس في
ذلك لما يلزم من الأداء والعُدْم ، جذبه بعنان القسر إلى
مجلس الشرع ، واضطره بقوة الإنصاف إلى الأداء بعد
المنع ، وأن يتوخى عمال الوقوف التي تقرب المتقربون
بها ، واستمسكوا في ثواب الله بمتين جبلها ، وأن يمدّهم
بجميل المعاونة والمساعدة ، وحسن المؤازرة والمعاوضة ،
في الأسباب التي تؤذن بالعمارة والاستنماء ، وتعود عليها
بالمصلحة والاستخلاص والاستيفاء ، قال الله تعالى
﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ (٢)

(١) سورة آل عمران الآية ٩٧

(٢) سورة المائدة الآية ٢

وأمره أن يتخير من أولى الكفاية (١) والنزاهة من يستخلصه للخدم والأعمال ، والقيام بالواجب من أداء الأمانة والحراسة والتمييز لبيت المال ، وأن يكونوا من ذوى الاضطلاع بشرائط الخدم المعينة وأمورها ، والمهتدين إلى مسالك صلاحها وتدبيرها ، وأن يتقدم إليهم بأخذ الحقوق من وجوهها المتيقنة ، وجبايتها في أوقاتها المعينة ، إذ ذاك من لوازم مصالح الجند ووفور الاستظهار ، وموجبات قوة الشوكة له بكثير الأعوان والأنصار ، وأسباب الحيلة (٢) التي تُحمى بها البلاد والأمصار ، ويأمرهم بالجرى في الطسوق (٣) والشروط على النمط المعتاد ، والقيام في مصالح الأعمال على أقدام الجد والاجتهاد ، وإلى العاملين على الصدقات بأخذ الزكوات على مشروع السنن المهيع ، وقصد الصراط المتبع ، من غير عدول في ذلك عن المنهاج الشرعى ، أو تساهل في تبديل (٢٢٤) حكمها المفروض وقانونها المرعى ، فإذا أخذت من أربابها ، الذين (٤) يُطهرون ويزكّون بها ، كان

(١) في صبح الأعشى : الكفاية .

(٢) في صبح الأعشى : الحيلة .

(٣) الطسوق جمع طسق وهو شبه الخراج له مقدار معلوم .

(٤) في الأصل : أربابها والتصويب من صبح الأعشى ص ١٠٨ ص ١٠٩

العمل (١) في صرفها إلى مستحقيها بحكم الشريعة النبوية وموجبها ، وإلى جُباة الجزية من أهل الذمة بالمطالبة بأدائها في أوَّل السنة ، واستيفائها منهم على حسب أحوالهم بحكم العادة في الثروة والمَسْكَنَة ، إجراء في ذلك على حكم الاستمرار والانتظام ، ومحافظة على عظيم شعائر الإسلام .

وأمره أن يتطلع على أحوال كل من يستعمله في أمر من الأمور ، ويُصِرُّفه في مصلحة من مصالح الجمهور ، تطلعا يقتضى الوقوف على حقائق آماناتهم ، ويوجب تهذيبهم في حركاتهم وسكناتهم ، ذهابا مع النصيح لله تعالى في بَرِيَّتِهِ ، وعملا فيه بقول النبي صلى الله عليه وسلم : « كَلُّكُمْ رَاعٍ وَكَلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » . وأمره أن يستصلح من ذوى الاضطلاع والغناء من يرتب العرض (٢) والعطاء ، والنفقة في الأولياء ، وأن يكونوا من المشهورين بالحزم والبصيرة ، والموسومين في المناصحة بإخلاص الطوية وإصفاء السريرة ، حالين من الأمانة والصون بما يزين ،

(١) في الأصل : كما في العمل .

(٢) في الأصل : ويرتب العرض .

ناكبين عن مظان الشبه والطمع الذي يصم ويشين ، وأن يأمرهم باتباع عادات أمثالهم في [ضبط] أسماء الرجال ، وتحلية الأشخاص والأشكال ، واعتبار ، شيات الخيول وإثبات أعدادها ، وتحريض الجند على تخييرها واقتناء جيادها ، وبذل الجهد في قيامهم من الكراع واليزك والسلاح بما يلزمهم ، والعمل بقوله تعالى ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ (١) فإذا نطقت جرائد الجند المذكورين بما أثبت لديهم ، وحقق الاعتبار والعيان قيامهم بما أوجب عليهم ، أطلقت لهم المعاش والأرزاق بحسب إقراراتهم (٢٢٤ب) وأوصلت إليهم بمقتضى واجباتهم واستحقاقاتهم ، فإن هذا الحال أصل حراسة البلاد والعباد ، وقيام (٢) الأمر فيما أوجبه الله تعالى من الاستعداد بفرض الجهاد ، قال الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣) .

(١) سورة الأنفال الآية ٦٠

(٢) في الأصل : ويقام .

(٣) سورة التكبوت الآية ٦٩

وأمره بتفويض أمر الحسنة إلى من يكون بأمرها
مضطرباً ، وللسنة النبوية في إقامة حدودها متبعا ، فيعتمد
في الكشف عن أحوال العامة في تصرفاتها الواجب .
ويسلك في التطاع إلى معاملاتهم السبيل الواضح والسَّنن
اللاَّحِب (١) ، وليهتمَّ بالتطواف [في الأسواق] لاختبار
المكاييل والموازين ، وقيمه في مؤاخذة المطففين وتأديبهم
بما تمتصيه شريعة الدين ، ويحذِّرهم من تعدى حدود
الإنصاف شدة نكاله ، ويقابل المستحقَّ المؤاخذة بما
يرتدع به الجمع الكثير من أمثاله ، قال الله تعالى
﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ . وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ
الْمُسْتَقِيمِ . وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي
الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (٢) وقال سبحانه ﴿ وَيَلُ لِّلْمُطَفِّفِينَ .
الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ . وَإِذَا كَالُوهُمْ
أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ . أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ .
لِيَوْمٍ عَظِيمٍ . يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣) .

(١) اللاحب : الواضح .

(٢) سورة الشعراء الآيات ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ .

(٣) سورة المطففين الآيات ١ - ٦ .

فليتولَّ الملك السيد ، الكامل ، المجاهد ، المرابط ،
 نصير الدين ، ركن الإسلام ، أثير الإمام ، جمال
 الأنام ، جلال الدولة ، فخر الملة ، عز الأمة ، سند الخلافة ،
 تاج الملوك والسلاطين ، قامع الكفرة والمشركين ، قاهر
 الخوارج والتمرددين ، أمير المجاهدين ، غازى بك مُعين
 أمير المؤمنين ، ما قلده عبدُ الله وخليفته [فى أرضه]
 القائم له بحقه الواجب وفرضه ، أبو جعفر المنصور
 المستنصر^(١) بالله أمير المؤمنين ، تقليدًا مُطمئنًا بالإيمان ،
 وينصح لله ولرسوله - صلوات الله عليه - وخليفته فى
 السر والإعلان ، وليشرح بما فُوِّض إليه من هذه الأمور
 صدرا ، وليقيم بالواجب عليه من شكر هذا (٢٢٥)
 الإنعام الجزيل سرا وجهرا ، وليعمل بهذه
 الوصايا الشريفة الإمامية ، وليقف آثار مرادها
 المقدسة النبوية ، وليظهر من أثر الجدِّ فى هذا الأمر
 والاجتهاد . وتحقيق النظر الجميل لله والإرشاد ، ما يكون
 دليلا على تأييد الرأى الأشرف المقدس - أجله الله تعالى -
 فى اصطناعه واستكفائه^(٢) وإصابة مواقع النجاح

(١) فى الأصل : بن المستنصر

(٢) فى الأصل : « واستكناه » .

والرشد في التفويض إلى حسن قيامه وكمال اعتنائه (١)
فليقدر النعمة عليه في هذه الحال [حق] قدرها ، وليكثر
بأداء الواجب بما غلب عليه من جزيل الشكر بسرّها (٢)
وليطالع مع الأوقات بما يشكّل عليه من الأمور الغوامض ،
وليُنه إلى العلوم الشريفة المقدسة - أجّلها الله تعالى -
ما يلتبس عليه من الشكوك والعوارض ، ليردّ عليه
من الأمثلة ما يوضّح له وجه الصواب في الأمور ،
ويستما من المرشد الشريفة التي هي شفاء لما في الصدور ،
بما يكون وروده عليه وتتابعه إليه نورا علي نور ، إن شاء
الله تعالى .

وهذه نسخة العهد الذي كُتب به للملك الظاهر بيبرس
عن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد بن الحسين ثاني
الخلفاء بالديار المصرية من إنشاء الصباح فخر الدين
إبراهيم بن لقمان .

وهذه نسخته (٣)

الحمد لله الذي أضفى (٤) ملابس الشرف ، وأظهر

(١) في الأصل : وكمال عنايه .

(٢) في صبح الأعشى : وليتم بأداء الواجب . . . غزير دُرّها .

(٣) صبح الأعشى - ١٠ ص ١١٢

(٤) في صبح الأعشى أضاف المحققون كلمة أضفى [عل الإسلام] .

درره وكانت خافية بما استحکم عليها من الصدف ،
وشيد ما وهى من علائه حتى أنسى ذكر ما سلف ، وقيض
لنصره ملوكا اتفق على طاعتهم من اختلف .

أحمده على نعمه التي رتعت الأعين منها في الروض
الأنف ، والطاقة التي وقفت الشكر عليها فليس له عنها
منصرف ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
توجب من المخاوف أمنا ، (٢٢٥ ب) وتسهل من الأمور
ما كان حزنا ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي جبر
من الدين وهنا . وصفيه (١) الذي أظهر من المكارم
فنونا لا فنا ، صلى الله عليه وعلى آله الذين أوضحت
مناقبهم باقية لا تفتى ، وأصحابه الذين أحسنوا في الدين
فاستحقوا الزيادة من الحسنى .

وبعد فإن أولى الأولياء بتقديم ذكره ، وأحقهم أن
يُصبِح القلم ساجدا راکعا في تسطير مناقبه وبره ، من
سعى فأضحى بسعيه الجميل متقدما ، ودعا إلى طاعته

(١) في الأصل : ورسوله الذى .

فَأَجَابَ مِنْ كَانَ مِنْجِدًا وَمُتَمِّمًا ، وَمَا بَدَتْ يَدٌ مِنَ الْمَكْرَمَاتِ
إِلَّا كَانَ لَهَا زَنْدًا وَمَعْصَمًا ، وَلَا اسْتَبَاحَ بِسَيْفِهِ حَمِيٌّ وَغِيٌّ
إِلَّا أَضْرَمَهُ نَارًا وَأَجْرَاهُ دَمًا .

ولما كانت هذه المناقب الشريفة مختصة بالمقام العالى
المولوى السلطانى الملكى الظاهرى الركنى شرفه الله تعالى
وأعلاه ، ذكره الديوان العزيز النبوى الإمامى المستنصرى
- أعز الله تعالى سلطانه - تنويها بشريف قدره ،
واعترافا بصنعه الذى تنفذ العبارة المسهبة ولا تقوم
بشكره ، وكيف لا وقد أقام الدولة العباسية بعد أن
أقعدتها زمانة الزمان ، وأذهبت ما كان لها من محاسن
وإحسان ، وعتب^(١) دهرها المسىء لها فأعتب ، وأرضى عنها
زمانها وقد كان صال عليها صولة مغضب ، فأعادها لها سلما
بعد أن كان عليها حربا ، وصرف اهتمامه فرجع كل
متضايق من أمورها واسعا رحبا ، ومنح أمير المؤمنين
عند القدوم عليه حنواً وعظفاً ، وأظهر له من الولاء رغبة
فى ثواب الله ما لا يخفى ، وأبدى من الاهتمام بالبيعة
أمرا لو رامه غيره لامتنع عليه ، ولو تمسك بحبله

(١) فى صبح الأعشى : واستعتب .

متمسك لانقطع به قبل الوصول إليه ، لكن الله
ادخر هذه الحسنه ليثقل بها في الميزان ثوابه ،
ويخفف بها يوم القيامة حسابه ، فهذه منقبة أبي الله
إلا أن يخلدها في صحيفة صنعه ، (٢٢٦ ا) وتكرمة
قضت لهذا البيت الشريف بجمعه بعد أن حصل الإيأس
من جمعه ، وأمير المؤمنين يشكر لك هذه الصنائع ،
ويعرف أنه لولا اهتمامك لاتسع الخرق على الراقع ،
وقد قللك الديار المصرية والبلاد الشامية والديار البكرية
والحجازية واليمينية والفراتية ، وما يتجدد من الفتوحات
غورا ونجدا ، وفوض أمر جندها ورعاياها إليك حين
أصبحت في المكارم فردا ، ولا جعل منها بلدا من
البلاد ولا حصنا من الحصون مستثنى ، ولا جهة من
الجهات تعد في الأعلى ولا الأدنى .

فلاحظ أمور الأمة فقد أصبحت لها حاملا ، وخلص
نفسك من التبعات اليوم ففي غد تكون مسئولا لا سائلا ،
ودع الاغترار بالدنيا فما نال أحد منها طائلا ، وما رآها
أحد بعين الحق إلا رآها خيالا زائلا ، فالسعيد من قطع
آماله الموصولة ، وقدم لنفسه زاد التقوى فتقدمة غير

التقوى مردودة لا مقبولة ، وابتسط يدك بالإحسان والعدل
فقد أمر الله تعالى بالعدل والاحسان في مواضع من
القرآن ، وكفّر به عن المرء ذنباً وآثاماً ، وجعل يوماً
واحداً فيه كعبادة العابد ستين عاماً ، وما سلك أحد
سبيل العدل والإحسان إلا واجتُنبت ثماره من أفنان ،
ورجع الأمر به بعد أن تداعى أركانه وهو مُشيد الأركان ،
وتحصن به من حوادث زمانه والسعيد من تحصن من
حوادث الزمان ^(١) ، وكانت أيامه في الأيام أبهى من
الأعياد ، وأحسن في العيون من الغرر في أوجه الجياد ،
وأحلى من العقود إذا حُلّيَ بها عطل الأجياد .

وهذه الأقاليم المنوطة بك تحتاج إلى نواب وحُكّام ،
وأصحاب رأى من أصحاب السيوف والأقلام ، فإذا استعنت ^(٢)
بأحد منهم في أمورك فنقّب عليه تنقيبا ، واجعل عليه
في تصرفاته رقيباً ، وسلّ ^(٢٢٦ ب) عن أحواله ففى
القيامه تكون عنه مسئولاً وبما أجزم مطلوباً ، ولا تُولِّ
منهم إلا من تكون مساعيه حسنات لك لا ذنوباً ،

(١) في صيغ الأعمى . وهو مشيد الأركان وتحصن به من حوادث الزمان وكانت . . .

(٢) في الأصل : استعنت بهم غلّ منهم في أمورك فنقّب عليها .

وأمرهم بالأناة في الأمور والرفق ، ومخالفة الهوى إذا
ظهرت أدلة الحق ، وأن يقابلوا الضعفاء في حوائجهم
بالشعر الباسم والوجه الطلق ، وأن لا يعاملوا أحداً على
الإحسان والإساءة إلا بما يستحق ، وأن يكونوا لمن تحت
أيديهم من الرعية إخوانا ، وأن يوسعوهم براءً وإحسانا ،
وأن لا يستحلوا حرمتهم إذا استحلَّ الزمان لهم حرمانا ،
فالمسلم أخو المسلم ولو كان عليه أميراً وسلطاناً ، والسعيد
من نسج ولاته في الخير على منواله ، واستنَّ بسنته في
تصرفاته وأحواله ، وتحمل عنه ما تعجز قدرته عن حمل
أثقاله .

ومما يؤمرون به أن يحسب ما أُحْدِثَ من سيِّئ السنن ،
وجدد من المظالم التي هي من أعظم المَحَن ، وأن يشتري
بإبطالها المحامد رخيصة بأعلى ثمن ، ومهما جنى منها من
الأموال فإنما هي باقية في الذم حاصلة ، وأجساد الخزائن
إن أضحت بها حالية فإنما هي على الحقيقة منها عاطلة ،
وهل أشقى ممن احتقبت إثماً ، واكتسب بالمساعي الذميمة
ذماً ، وجعل السواد الأعظم يوم القيامة خصماً ، وتحمل

ظلم الناس فيما صدر عنه من أعمال ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ (١) .

وحقيق بالمقام الشريف المولوي السلطاني الملكي الظاهري الركني أن لا تكون ظلمات الأنام مردودة بَعْدَهُ ، وطاعته تخفف ثقلا لا طاقة لهم بحمله ، فقد أضحى على الإحسان قادرا ، وصنعت له الأيام ما لم تصنعه لمن تقدم من الملوك وإن جاء آخرها ، فاحمد الله على أن وصل إلى جنابك إمام هُدَى يوجب لك مزية التقديم ، ويُنبه الخلائق على ما خصك الله به من الفضل العظيم . وهذه أمور يجب أن تُلاحظ وتُرعى ، ويوالى عليها حمد الله فإن الحمد يَجِبُ (٢٢٧) عليها عقلا وشرعا ، وقد تبين [لك] أنك صرت في الأمور [أصلا] وصار غيرك فرعا .

ومما يجب أيضا تقديم ذكره أمرُ الجهاد الذي أضحى على الأمة فرضا ، وهو العمل الذي يرجع به مُسَوِّدُ الصَّحَائِفِ مُبَيِّضًا ، وقد وعد الله المجاهدين بالأجر العظيم ، وأعدَّ لهم عنده المقام الكريم ، وخصهم بالجنة التي لا لغو فيها ولا تأثيم ، وقد تقدمت لك في الجهاد يدُ بيضاء

(١) سورة طه الآية ١١١

أسرعت في سواد الحُساد ، وعرفت منك عزمه وهى أمضى
مما تُجنهُ ضمائر الأغماد ، واشتهرت بك مواقف في القتال
هى أشهر وأشهى إلى القلوب من الأعياد ، وبك صان الله
حمى الإسلام أن يُبتذل ، وبِعزمك حفظ على المسلمين نظام
هذه الدول ، وسيفك أثار في قلوب الكافرين قروحاً
لا تندمل ، وبك يُرجى أن يرجع مقرّ الخلافة إلى
ما كان عليه في الأيام الأوّل ، فأيقظُ لنصرة الإسلام
جفنا ما كان غافياً ولا هاجعاً ، وكُنْ في مجاهدة أعداء الله
إماماً متبوعاً لا تابعاً ، وأيدّ كلمة التوحيد فما تجسد في
تأييدها إلا مطيعاً سامعاً ، ولا تُخلِ الثغور من اهتمام
بأمرها تبسم له الثغور ، واحتفال يبدل ما دجّ من ظلماتها
بالنور ، واجعل أمرها على الأمور مقدماً ، وشيّد منها كل
ما غادره العدو متهدماً (١) ، فهذه حصون بها يحصل
الانتفاع ، وعلى العدو داعية افتراق لا اجتماع ، وأولاها
بالاهتمام ما كان البحر له مجاوراً ، والعدو إليه ملتفتاً
ناظراً ، ولا سيما ثغور الديار المصرية فإن العدو وصل إليها
رابحاً وراح خاسراً ، واستأصلهم الله فيها حتى ما أقال منهم

(١) جملة « واجعل أمرها . . . متهدماً » خلا منها صبيح الأعشى .

عائرا ، وكذلك الأسطول الذي تُرى خيلُه كالأهْلَة ،
وركائبه سابقه بغير سائق مُستقلَّة ، وهو أخو الجيش
السُّليمانى فإن ذاك غدت الريح له حاملة ، وهذا تكفلت
بحمله الرياح السابِلة ، وإذا لحظها الطرف جارية فى البحر
كانت كالأعلام ، وإذا شبهها قال هذه (٢٢٧ ب) ليال
تُقلِّعُ بالأيام ، وقد سنى الله لك من السعادة كلَّ مَطْلَب ،
وآتاك من أصالة الرأى الذى يُريك المُغيب ، وبسط بعد
القبض منك الأمل ، ونشِط بالسعادة ما كان من كَسَل ،
وهذاك إلى مناهج الحق وما زلت مهتديا إليها ، وألزمك
المرشد فلا تحتاج إلى تنبيه عليها ، والله تعالى يُمدُّك
بأسباب نصره ، ويوزِعك شكر نِعْمه فإن النعمة تستتمُّ
بشكره (١) .

وهذه نسخة (٢) العهد الذى كتبه القاضى محيى الدين
ابن عبد الظاهر للملك المنصور قلاوون ، عن الخليفة
الإمام أبى العباس أحمد الحاكم الأول (٣) :

(١) زاد بعدها فى صبح الأعشى : إن شاء الله تعالى .

(٢) صبح الأعشى - ١٠ ص ١١٦

(٣) فى صبح الأعشى : الحاكم بأمر الله

الحمد لله الذي جعل آية السيف ناسخة لكثير من الآيات ، وفاسخة لعقود أولى الشك والشبهات ، الذي رفع بعض الخلق على بعض درجات ، وأهل لأُمور البلاد والعباد من جاءت بخوارق تملُّكه بالذي إن لم يكن من المعجزات فمن المكرمات .

ثم الحمد لله الذي جعل الخلافة العباسية بعد القوط حسنة الابتسام ، وبعد الشحوب جميلة الاتِّسام ، وبعد التشريد كلُّ دارٍ إسلام لها أعظمُ من دار السلام .

والحمد لله على أن أشهدا مصارع أعدائها ، وأحمد لها عواقب إعادة نصرها وإبداؤها ، ورد تشيبتها بعد أن ظن كلُّ أحد أن شعارها الأسود ما بقي منه إلا ما صانته العيون في جفونها والقلوب في سُويدائها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يتلذذ بذكرها اللسان ، وتتعطر بنفحاتها الأفواه والأردان ، وتتلقاها ملائكة القبول فترفعها إلى أعلى مكان .

ونصلى على سيدنا محمد الذى أكرمنا الله به (٢٢٨ ١)
وشرف لنا الأنساب ، وأعزنا به حتى نزل فينا مُحْكَم
الكتاب ، صلى الله عليه وعلى آله الذين أنجَبَ الدين
منهم عن أنجَاب ، ورضى الله عن صحابته الذين هم خير
صِحَاب ، صلاة ورضوانا يوفى قائلها أجره يوم الحساب ،
من الكثرة بغير حساب يوم الحساب .

وبعد حَمْدِ اللهِ على أن أَحْمَدَ عواقبَ الأمور ، وأظهر
للإسلام سلطانا اشتدت به للأمة الظهور وشفيت الصدور ،
وأقام الخلافة العباسية في هذا الزمن بالمنصور كما أقامها
في ما مضى بالمنصور ، واختار لإعلان دعوتها من يحيى
معالمها بعد العفاء ورسومها بعد الدثور ، وجمع لها الآن
ما كان جمع عليها فيما قبل من خلاف كلِّ ناجم ، ومنحها
ما كانت تبشرها به من الملاحم (١) ، وأنفذ كلمتها في ممالك
الدولة العلوية بخير سيف مشحوذ ماضى العزائم ، ومازج
بين طاعتها في القلوب وذكرها في الألسنة وكيف
لا والمنصور هو الحاكم ، وأخرج لِحِياطة الأمة المحمدية
ملكاً تُقسَمُ البركات عن يمينه ، وتُقسَمُ السعادة بنور

(١) غير ما المحققون في صبح الأعشى فجلوها : « صفح الملاحم » .

جبينه ، وتُقهَر الأعداء بفتكاته ، وتُمَهَر عقائل المعادل
 بأصغر راياته ، ذو السعد الذى ما زال نوره يَشِفُّ حتى
 ظهر ، ومعجزه يَرِفُّ إلى أن بهر ، وجوهره ينتقل من
 جيد إلى جيد حتى علا الجبين ، وسره يكمن فى قلب بعد
 قلب حتى علم - والحمد لله - نبأ تمكينه فى الأرض بعد
 حين ، فاختره الله على علم ، واصطفاه من بين عباده
 بما جبله الله عليه من كرم وشجاعة وحلم ، وآتى الله به الأمة
 المحمدية فى وقت الاحتياج غوثا ، وفى إبان الاستمطار
 غيثا ، وفى حين عَيْث الأشبال فى غير الافتراس ليثا ،
 فوجب على من له فى أعناق الأمة المحمدية مبايعة رضوان ،
 وعند أيمانهم مصافحة أيمان ، ومن وجبت له البيعة
 (٢٢٨ ب) باستحقاقه لميراث منصب النبوة ، ومن
 تصحُّ منه كل ولاية شرعية يؤخذ كتابها منه بقوة ،
 ومن هو خليفة الزمان والعصر ، ومن بدعواته يُنزل الله
 عليكم معاشر كُماة الإسلام ملائكة النصر ، ومن نسبه
 بنسب نبيكم - صلى الله عليه وسلم - مُتَشِج ، وحسبه
 بحسبه ممتزج ، أن يفوض ما فوضه الله إليه من أمر
 الخلق ، إلى من يقوم عنه بفرض الجهاد والعمل بالحق ،

وَأَن يُولِيَهُ وَايَةَ شَرَعِيَّةَ تَصَحُّ بِهَا الْأَحْكَامَ ، وَتَنْضَبِطُ
أُمُورُ الْإِسْلَامِ ، وَتَأْتِي هَذِهِ الْعَصْبَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ
أُمَّةٍ بِإِمَامِهِمْ مِنْ طَاعَةِ خَلِيفَتِهِمْ هَذَا بِخَيْرِ إِمَامٍ ، وَخَرَجَ
أَمْرُ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - شَرَفَهُ اللَّهُ - أَنَّ يَكُونَ لِلْمَقْرَرِ
الْعَالِي الْمَوْلُويِّ السُّلْطَانِيِّ الْمَلِكِيِّ الْمَنْصُورِيِّ - أَجَلَهُ اللَّهُ
وَنَصْرَهُ وَأَظْفَرَهُ وَأَقْدَرَهُ وَأَيَّدَهُ وَأَبَدَهُ - كُلُّ مَا فَوَضَهُ اللَّهُ
لِمَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ حُكْمٍ فِي الْوُجُودِ ، وَفِي التَّهَائِمِ
وَالنَّجُودِ ، وَفِي الْجِيُوشِ وَالْجُنُودِ ، وَفِي الْمَدَائِنِ وَالْخَزَائِنِ ،
وَفِي الظُّوَاهِرِ وَالْبُؤَاظِنِ ، وَفِي مَا فَتَحَهُ اللَّهُ وَفِي مَا سَيَفْتَحُهُ ،
وَفِي مَا كَانَ فَسَدًا بِالْكَفْرِ وَالرَّجَاءِ مِنَ اللَّهِ أَنَّهُ سَيُصْلِحُهُ ،
وَفِي كُلِّ جُودٍ وَمَنْ ، وَفِي كُلِّ عَطَاءٍ وَمَنْ ^(١) ، وَفِي كُلِّ هَبَةٍ
وَتَمْلِيكِ ، وَفِي كُلِّ تَفْرُدٍ بِالنَّظَرِ فِي أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ بِغَيْرِ
تَشْرِيكِ ، وَفِي كُلِّ تَعَاهُدٍ وَتَبَدُّدٍ ، وَفِي كُلِّ عَطَاءٍ وَأَخْذٍ ،
وَفِي كُلِّ عِزْلِ وَتَوَلِيَّةٍ ، وَفِي كُلِّ تَسْلِيمٍ وَتَخْلِيَّةٍ ، وَفِي كُلِّ
إِرْفَاقٍ وَإِنْفَاقٍ ، وَفِي كُلِّ إِنْعَامٍ وَإِطْلَاقٍ ، وَفِي كُلِّ اسْتِرْقَاقٍ
وَإِعْتِقَاقٍ ، وَفِي كُلِّ تَقْلِيلٍ وَتَكْثِيرٍ ، وَفِي كُلِّ اتِّسَاعٍ
وَتَقْتِيرٍ ، وَفِي كُلِّ تَجْدِيدٍ وَتَعْوِيضٍ ، وَفِي كُلِّ حَمْدٍ وَتَقْرِيبِضٍ

(١) هكذا أيضا في صبح الأعشى وقال المحققون : لعل المراد : وقطع ، من : من الحبل :

ولاية عامة تامة مُحَكِّمَةٌ مُحَكِّمَةٌ ، منضدة منظّمة ،
لا يتعقبها نسخ من خلفها ولا من بين يديها ، ولا يعترئها
فسخ يطرأ عليها ، يزيدا مرّ الأيام جِدَّةً يُعاقبها حُسْنُ
شباب ، ولا ينتهى على الأعوام والأحقاب ، نعم ينتهى
إلى ما نصب الله للإرشاد من سنة وكتاب ، وذلك من
(٢٢٩) شرع الله أقامه للهداية علما ، وجعله إلى اختيار
الثواب سلّما ، فالجواب أن يعمل بجزئيات أمره وكتلياته ،
وأن لا يخرج أحد عن مقدماته .

والعدل ، فهو الغرس المُثْمِر ، والسحاب الممطر ، والروض
المزهر ، وبه تنزل البركات ، وتخلف الهبات ، وتربى
الصدقات ، وبه عمارة الأرض ، وبه تُؤدّى السنة
والفروض ، فمن زرع العدل اجتنى الخير ، ومن أحسن
كُنْفَى الضرر والضير .

والظلم ، فعاقبته وخيمة ، وما يطول عمر الملك إلا
بالمعدلة الرحيمة .

والرعية ، فهم الوديعة عند أولى الأمر ، فلا يُخصَّصُ
بحسن النظر منهم زيد ولا عمرو .

والأموال ، فهي ذخائر العاقبة والمآل ، والواجب أن
تؤخذ بحقها وتُنْفَقَ في مستحقها .

والجهد براءً وبحراً فمن كنانة الله تُفَوِّقُ سَهْمَهُ ، وتؤرِّخُ
أيامه ، ويُنتَضِي حُسَامَهُ ، وتَجْرِي مُنْشَأَتُهُ في البحر
كالأعلام وتُنْشُرُ أَعْلَامَهُ ، وفي عقر دار الحرب يُحَطُّ
ركابه ، وَيُحَطُّ كِتَابُهُ ، وتُرْسَلُ أَرْسَانُهُ ، وتَجُوسُ
خلالها فُرْسَانُهُ ، فيلزم منه ديدنا ، وليستصحب منه
فعلا حسنا .

وجيوش الإسلام وكُمَاتِهِ ، وَأَمْرَاؤُهُ وَحُمَاتِهِ ، فهم من
قد علمت قِدَمَ هِجْرِهِ ^(١) وَعِظَمَ نَصْرِهِ ، وشدة باس ،
وقوة مراس ، ومآمنهم إلا من شهد الفتوحات والحروب ،
وأحسن في المحاماة عن الدين الدُّعُوب ، وهم بقايا الدول ،
ونجايا ^(٢) الملوك الأول ، لا سيما أولو السعي الناجح ،
ومن لهم نسبةٌ صالحيةٌ إذا فخرُوا بها قيل لهم نعم
السلف الصالح ، فَنَؤَسِعُهُمْ بِرًّا ، وكن بهم براءً ، وهم بما
يجب من خدمتك أعلم وأنت بما يجب من حرمتهم أدرى .

(١) الهجر الفائق ، ويراد هنا التفوق .

(٢) في صبح الأعشى : وتحايا .

والشغور والحصون ، فهى ذخائر الشدة ، وخزائن العديد
والعُدَّة ، ومقاعد للقتال ، وكنائن الرجال والآمال (١) ،
فأحسن لها التحصين ، وقوّض أمرها إلى كل قوى أمين ،
وإلى كل ذى دين متين ، وعقل (٢٢٩ ب) رصين .

ونواب الممالك ونواب الأمصار ، فأحسن لهم الاختيار ،
وأجمل لهم الاختبار ، وتفقد لهم الأخبار .

وأما ما سوى ذلك فهو داخل فى حدود هذه الوصايا
النافعة ، ولولا أن الله أمرنا بالتذكير ، لكانت سجايا
المقرّ الأشرف السلطاني الملكى المنصورى مكثيفةً
بأنوار المَعِيَّتِهِ الساطعة ، وزمام كل صلاح يجب أن يشغل
به جميع أوقاته هو تقوى الله ، قال الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ (٢) فليكن ذلك نُصَبَ
العين ، وشغل القلب والشفّتين .

وأعداء الدين ، من أرمن وفرنج وتتار ، فأذقهم
وبال أمرهم فى كل إيراد للغزو وإصدار ، وثرُ لَأَن تَأْخُذَ

(١) فى صبح الأعشى : الرجاء والرجال .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٠٢

للخلفاء العباسيين ولجميع المسلمين منهم الثار ، واعلم
أن الله نصيرك على ظلمهم وما للظالمين من أنصار .

وأما غيرهم من مجاوريهم من المسلمين ، فأحسن
باستنقاذك منهم العلاج ، وطببهم باستصلاحك فبالطب
الملكي المنصوري ما زال ينصلح المزاج ، والله الموفق
بكرمه .

تنبيه - قد ذكر محمد بن عمر المدائني أنه كان في
الزمن المتقدم أنه كان يكتب للأمراء عن الخلفاء في
قرطاس من نصف طومار ، وتقدم في آخر البيعات وعهود
الخلفاء أن المراد قطع البغدادي ، وكانت الأمراء من
متقلدي الممالك عنهم قائمة مقام الملوك الآن ، أما الذي
استقر عليه الحال فيما يكتب عن خلفاء بني العباس
بالديار المصرية للموكها ففي قطع البغدادي الكامل ،
ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن تملك الملك المؤيد شيخ ،
سلطان العصر ، فكتب عهده في ورق يزيد عرضه عن
قطع البغدادي بقدر نصفه بقلم مختصر الطومار .

الفصل الثاني من الباب الرابع

فيما يكتب عن الخلفاء لمن دون الملوك من أرباب
الوظائف والولايات ، وهو على خمسة أساليب .

الأسلوب الأول

أن يفتح ما يكتب بلفظ : عهد من فلان ، أو :
هذا ما عهد عبد الله أبو فلان الإمام الفلاني أمير المؤمنين
إلى فلان بن فلان ، وينصفه بما يليق به ، ثم يقال : فقلده
كذا وكذا ، ويذكر الوظيفة المولاة ، ثم يقال : أمره
بكذا وأمره بكذا ، إلى آخر الوصايا ، ثم يقال : هذا
عهد أمير المؤمنين إليك ، على نحو ما تقدم في عهود
الخلفاء إلى الملوك ، وعلى هذا جُلُّ ما كان يكتب (٢٣٠)
في الدولة العباسية بالعراق من وظائف أرباب السيوف
والأقلام إلا أنه في آخر الدولة كان يقع الوصف والإطراء
في حق الخليفة وحق المولى أكثر منه مما قبل ذلك ،
والأصل في هذا الأسلوب ما كتب به عن أبي بكر الصديق
رضي الله عنه لأمرائه الذين واجههم لقتال أهل الردة

وهذه نسخته (١)

هذا عهد من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لفلان حين بعثه لقتال من رجع عن الإسلام ، عهد إليه أن يتقى الله تعالى ما استطاع في أمره كله وسره وجهه .

وأمره بالجدِّ في أمر الله تعالى ، ومجاهدة من تولَّى عنه ورجع من الإسلام إلى أمانى الشيطان ، بعد أن يُعذِر إليهم فيدعوهم بدعاية الإسلام ، فإن أجابوه أمسك عنهم ، وإن لم يجيبوه شن غارته عليهم ، ويعطيهم الذى لهم ولا يُنظرهم ولا يردُّ المسلمين عن قتال عدوهم ، فمن أجاب إلى أمر الله عز وجل وأقرَّ له قبل ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف ، وإنما يُقاتل من كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله ، فإذا أجاب الدعوة لم يكن له عليه سبيل ، وكان الله حسبه فيما استسرَّ به ، ومن لم يجب إلى داعية الله قُوتل حيث كان وحيث بلغ مُرَاغْمُهُ (٢) ، لا يقبل الله من أحد شيئاً أعطاه إلا الإسلام ، فمن أجابه وأقرَّ به قبل منه

(١) صبح الأعشى ١٠٠ ص ١٩٢

(٢) المرائم : المهرب .

وعلمه ، ومن أبي قاتله ، فإن أظهره الله عز وجل عليه
قتلَ فيهم كُلَّ قِتْلَةٍ بالسلاح والنيران ، ثم قسم ما أفاء الله
عليه إِلَّا الخُمُسَ فإنه مُبَلَّغُنَاهُ ، ويمنع أصحابه العجلة
والفساد ، وأن لا يَدْخُلَ فيهم حَشْوٌ حتى يعرفهم ويعلم
ما هم ، لئلا يكونوا عيوناً^(١) ولئلا يُؤْتَى المسلمون من
قبلهم ، وأن يقصد بالمسلمين الرفق ويرفق بهم في السير
والمنزل ، ويتفَقَّدَهم ولا يُعْجَلُ بعضهم عن بعض ،
ويستوصى بالمسلمين في حسن الصحبة ولين الفعل^(٢) .

(٢٣٠ ب) وهذه نسخة عهد بقضاء القضاة بحاضرة بغداد
وسائر الأعمال ، كُتِبَ به عن الإمام الناصر لدين الله
للقاضي محيي الدين أبي عبد الله محمد بن فضلان ، من إنشاء
عضد الدين بن الضحَّاك^(٣) .

هذا ما عهد عبد الله وخليفته في العالمين ، المفترض
الطاعة على الخلق أجمعين ، أبو العباس أحمد الناصر
لدين الله أمير المؤمنين ، إلى محمد بن [يحيى بن] فضلان ،

(١) في الأصل : أعوانا .

(٢) في صبح الأعشى : ولين القول .

(٣) صبح الأعشى ج ١٠ ص ٢٨٦

حين سَبَرَ خلاله واستقرها ، واعتبر طرائقه واستبراها ،
فألفاه رشيدا في مذاهبه ، سديدا في أفعاله وضرائبه ،
موسوما بالرصانة ، حاليا بالورع والديانة ، مبرزا من
العلوم في فنونها ، عالما بمفروض الشريعة المطهرة ومسنونها ،
مُدْرعا ملابس العفاف ، قد أناف على أمثاله في بوارع
الأوصاف ، فقلده قضاء القضاة في مدينة السلام وجميع
البلاد والأعمال ، والنواحي والأمصار ، شرقا وغربا ،
وبعدا وقربا ، سكوناً إلى ما علم من حاله ، واضطلاعه
بالنهضة المنوطة به واستقلاله ، وركونا إلى قيامه
بالواجب فيما أسند إليه ، ونهوضه بعبء ما عُول في
حفظ قوانينه عليه ، واستنامة إلى حلول الاصطناع عنده ،
ومصادفته منه مكانا تبوأه بالاستحقاق وحده ، والله
تعالى يُعْضِدُ أمير المؤمنين بمزيد التوفيق في جميع الأمور ،
ويُحَسِّنُ له الخيرة فيما يُوَمِّهُ من منازم الدين وصلاح
الجمهور ، وما توفيقُ أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل
وإليه ينيب .

أمره بتقوى الله تعالى في إعلانه وإسراره ، وتقمص
شعارها في إظهار أمره وإضماره ، فإنها العروة الوثقى ،

والذُّخْرُ الأَبْقَى ، والسعادة التي ما دونها فوز ولا فوقها
مَرْقَى ، وهى حيلة الأبرار ، وسيما الأخيار ، والمنهج
الواضح ، والمتجر الرابع ، والسبيل المؤدى إلى النجاة
والخلاص ، يوم (٢٣١) لا وَزَرَ وولات حين مناص ،
وأَنْفَع العُدَد والذخائر ، وخير العتاد يوم تُنشر الصحف
وتُبلى السرائر ، يوم تشخص الأبصار ، وتعدّم الأنصار
﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ . سُرَابِيلُهُمْ
مِنْ قَطْرَانَ وَتَغْشَى وُجُوهُهُمْ النَّارُ ﴾ (١) ولا ينجو من عذاب الله
يومئذ إلا من كان زاده (٢) التقوى ، وتمسك منها بالسبب
الأقوى ، قال الله تعالى ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى
وَأَتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴾ (٣) .

وأمره أن يجعل كتاب الله تعالى إماما يهتدى بمناره ،
ويستصبح ببواهر أنواره ، ويستضيء فى ظلم المشكلات
بمنير مصباحه ، ويقف عند حدود محظوره ومباحه ،
ويتخذة مثلا يحتذيه ، ودليلا يتبع أثره فيهديه ،

(١) سورة إبراهيم الآية ٤٩ ، ٥٠ .

(٢) فى الأصل : رداء .

(٣) سورة البقرة الآية ١٧٧

ويعمل به في قضاياه وأحكامه ، ويقتدى بأوامره في نقضه وإبرامه ، فإنه دليل الهدى ورائده ، وسائق النجح وقائده ، ومعدن العلم ومنبعه ، ومنجم الرشاد ومطلعه ، وأحد الثقلين اللذين جعلهما (١) رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأمة ، والذکر الذي جعله الله تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة ، [فقال عز من قائل ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً ۖ وَبَشْرًا لِّلْمُسْلِمِينَ ﴾ (٢)]

وأمره باتباع (٣) الآثار النبوية صلوات الله على صاحبها وسلامه ، والاهتداء بشموسها التي تنجلي به دجنة كل مشكل وظلامه ، والافتداء بسنة الشريعة المتبوعة ، وتصفح الأخبار المسموعة ، والعمل منها بما قامت أدلة صحته من جميع جهاته ، فاستحكمت الثقة بنقلته عنه - عليه السلام - ورواياته ، وسلمت أسانيده من قدح ، ورجاله من ظنة وجرح ، فإنها التالية للقرآن المجيد في وجوب العمل بأوامره ، والانتهاء بروادعه وزواجره ، وهو عليه الصلاة والسلام الصادق الأمين ، الذي ما ضل وماغوى ، وماينطق عن الهوى ، وقد

(١) في صبح الأعشى : خلفهما

(٢) سورة النحل الآية ٨٩

(٣) في صبح الأعشى : « بانتزاع » وفسر بالهامش بمعنى التمثل .

قرن الله [سبحانه] طاعته بطاعته ، (٢٣١ ب) والعمل
بكتابه والأخذ بسنته ، فقال عز من قائل ﴿ وَمَا آتَاكُمُ
الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ
اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (١) .

وأمره بمجالسة العلماء ، ومباحثة الفقهاء ، ومشاركتهم
في الأمور المشككة . وعوارض الحكومات المعضلة ،
ليستبين سبل الصواب . ويعرئ الحكم من ملابس
الشبه والارتياب ، ويخلص من خطئ الانفراد وغوائل
الاستبداد ، فالمشورة باليمن مقرونة ، والسلامة في مطاويها
مضمونة . وقد أمر الله تعالى بها نبيه صلى الله عليه وسلم
مع شرف منزلته . وكمال عصمته ، وتأييده بروحه
وملائكته ، فقال سبحانه ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا
عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (٢) .

وأمره بفتح بابه ، ورفع حجابيه ، وأن يجلس للخصوم
جلوسا عاما ، وينظر في أمورهم نظرا حسنا تاما ، مساويا
بينهم في نظره ولحظه ، وإصغائه ولفظه ، مُحترزا من

(١) سورة الحشر الآية ٧

(٢) سورة آل عمران الآية ١٥٩

ذى اللسن وجرأة جنانه ، مُتَّانِيًا بذى الحصر عند إقامة برهانه ، فرما كان أحد الخصمين ألحن بحجته ، والآخر ضعيفا عن مقاومته ، هذا مقام الفحص ^(١) والاستفهام ، والتثبت في إمضاء الأحكام ، ليسلم من خديعة محتال ، وكيد مغتال ، مائلا في جميع ذلك مع الواجب [سالكا طريق العدل اللاحب] غير فارق في إمضاء الحكم بين القوى والضعيف ، والمشروف والشريف ، والمالك والمملوك ، والغنى والصلعوك ، قال الله تعالى ﴿ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا ﴾ ^(٢) وقال تعالى ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ^(٣) .

وأمره بتصفح أحوال الشهود ، المسموعة أقوالهم في الحقوق والحدود ، المرجوع إلى أمانتهم ، المعمول بشهادتهم ، الذين بهم تُقام الحجج وتُدحض ، وتُبرم الأحكام وتنقض ، وتُثبت الدعاوى وتُبطل ، وتُمضى القضايا وتُسجّل ، مجتهدا في البحث عن طرائقهم وأحوالهم ،

(١) في الأصل : الخفض .

(٢) سورة النساء الآية ١٣٥

(٣) سورة المائدة الآية ٤٤

وانتقاد (١) تصاريدهم وأفعالهم وأستشفاف سجاياهم
وعرفان (٢٣٢ ١) مزاياهم ، مخصّصا بالتمييز من كان
حميد الخلال ، مرضىّ الفِعال ، راجعا إلى ورع ودين ،
متمسكا من الأمانة والنزاهة بالسبب المتين ، قال الله
تعالى ﴿ وَأَشْهَدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ (٢)

وأمره بالنظر في أمور اليتامى وأموالهم ، ومراعاة شؤونهم
وأحوالهم ، وأن يرتب بسبب اتّساق مصالحهم الثّقات
الأعفاء ، والأمناء الأتقياء ، ممن ظهرت ديانتهم ، وحسنت
سيرتهم ، واشتهر باللطف والعفاف ، والتنزه عن الطمع
والإسفاف [ويأمرهم بحفظها من خلل يتخللها ، ويد
خائنة تدخلها ، وليكن عليهم حدّبا ، وفي فرط الحنوّأبا ،
وخلفا من آبائهم في الإشفاق] عليهم ، وحسن الالتفات
إليهم . فإنه عنهم مسؤل ، والعدر عند الله تعالى في
إهمالهم غير مقبول ، وأن يأذن لهم في الإنفاق عليهم
بالمعروف من غير إسراف ولا تقتير ، ولا تضيق ولا تبذير ،
فإذا بلغ أحدهم النكاح ، وآنس منه أمارات الرشد

(١) في الأصل : وتنفيذ .

(٢) سورة الطلاق الآية ٢

والصلاح ، دفع ماله إليه ، وأشهد بقبضه عليه ، على الوجه المنصوص ، غير منقوص ولا منغوص ، ممثلاً أمر الله تعالى في قوله سبحانه ﴿ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً ﴾ (١) .

وأمره بتزويج الأيامي اللواتي لا أولياء لهن من أكفائهن ، بمهور أمثالهن ، وأن يشمل ذوات الغنى والفقير منهن بعدله ، ويتحرى لهن المصلحة في عقده وحله .

وأمره أن يستنيب فيما بعد عنه من البلاد ودنا ، وقرب منه ونأى ، كل ذي علم واستبصار ، وتيقظ في الحكم واستظهار ، ونزاهة شائعة ، وأوصاف لأدوات الاستحقاق جامعة ، ممن يتحقق نهوضه بذلك واضطلاعه ، ويؤمن استنزاله (٢) وانخداعه ، وأن يعهد إليهم في ذلك بمثل ما عهد إليه فلا يألوهم تنبيها وتذكيراً ، وإرشادا وتبصيراً ، قال الله تعالى ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (٣) .

(١) سورة النساء الآية ٦

(٢) في صبح الأعشى : استنزاله .

(٣) سورة المائدة الآية ٢

وأمره بإمضاء ما أمضاه مَنْ قبله مِنَ الْحُكَّامِ ، من القضايا والأحكام ، غير متعقب (٢٣٢ ب) أحكامهم بنقض ولا تبديل ، ولا تغيير ولا تأويل ، إذا كانت جائزة في بعض الأقوال ، مُمضاة على وجه من وجوه الاحتمال ، غير خارقة للإجماع ، عارية من ملابس الابتداع ، وإن كان ذلك منافياً لمذهبه ، جارياً على خلاف معتقده (١) قال الله تعالى ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٢) .

وأمره أن يتخذ كاتباً قيماً بشروط القضايا والسجلات ، عارفاً بما يتطرق نحوها من الشبه والتأويلات ، ويتداخلها من النقص والتلبيسات ، متحرراً في كل حال ، متنزهاً عن ذم الأفعال ، وأن يتخير حاجباً نقيّ الجيب ، مأمون المشهد والغيب ، مستشعراً للتقوى ، في السر والنجوى ، سالكاً للطريقة المثلى ، غير متجهماً للناس ، ولا معتمداً ما ينافي بسط الوجه والإيناس ، فإنه وُضِلتْهم إليه ، ووجهه المشهود قبل الدخول عليه ، فلينتخبه من بين أصحابه ،

(١) في صبح الأعشى بدل هذه الجملة ما يأتي : فقد سبق حكم الحاكم به .

(٢) سورة المائدة الآية ٤٥

ومن يرتضيه من أمثاله وأضرابه .

وأمره بتسلّم ديوان القضاء والحُكم ، والاستظهار على ما في خزائنه بالأثبات والختم ، والاحتياط على ما به من المال والسجلات ، والحجج والمحاضر والولايات (١) والقبوض (٢) والوثائق والأثبات والكفالات ، بمحضر من [العدول] الأمانة الثقات ، وأن يرتب لذلك خازنا يؤدي الأمانة فيه ، ويتوخى ما توجبه الديانة وتقتضيه .

وأمره بمراعاة [أمر] الحسبة فإنها من أكبر المصالح وأهمّها ، وأجمعها لمنافع الخلق وأعمّها ، وأدعاها إلى تحصين أموالهم ، وانتظام أحوالهم ، وأن يأمر المستناب فيها باعتبار سائر المبيعات ، وما فيها من الأوقات ، وغيرها في عامة الأوقات ، وتحقيق أسباب الزيادة والنقصان في الأسعار ، والتصدي لذلك على الدوام والاستمرار ، وأن يُجرى الأمر فيها بحسب ما تقتضيه الحال الحاضرة ، والموجبات الشائعة الظاهرة ، واعتبار الموازين والمكاييل ، وإعادة الزائد والناقص منها إلى التسوية والتعديل ، فإن

(١) في صبح الأمشى : والوكالات .

(٢) في الأصل : والتنويض .

اطَّلَعَ لِأَحَدٍ (٢٣٣) من المتعاملين على خيانة في ذلك وفعل
ذميمة ، أو تطفيف عدل فيه (١) عن الوزن بالقسطاس
المستقيم ، ناله من التأديب ، وأسباب التهذيب ، بما
يكون له رادعا ، ولغيره زاجرا وازعا ، قال الله تعالى
﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ . الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ .
وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ . أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ
مَبْعُوثُونَ . لِيَوْمٍ عَظِيمٍ . يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك ، وحقته عند الله تعالى
عليك ، قد أولاك من صنوف النعم والآلاء ، وجزيل النعم
والحباء ، ما يوجب عليك الاعتراف بقدره ، واستيزاع
شكره ، ووقف بك على محجة الرشاد ، وهداك منهج
الحق وسنن السداد ، ولم يالك تثقيفا وتبصيرا ، وتنبيها
وتذكيرا ، فتأمل ذلك متديرا ، وقف عند حدود أوامره
ونواهيه مستبصرا ، واعمل به في كل ما تأتيه وتذرّه ،
وتورده وتصدره ، وكن للمخيلة في ارتيادك مُحَقِّقا ،
والمعتقد فيك مصدقا ، تفز من خير الدارين بِمُعَلَى القِدَاحِ ،

(١) في الأصل : عدل به فيه .

(٢) سورة المطففين الآيات ١ - ٦

وإحسان السرى عند الصباح ، وحسب أمير المؤمنين الله
ونعم الوكيل إن شاء الله تعالى .

وهذه نسخة عهد بتقليد المظالم بمدينة السلام (١)
كتب به أبو إسحاق الصابى عن المطيع لله إلى الحسين
ابن موسى العلوى وهو :

هذا ما عهد عبد الله الفضل الإمام المطيع لله أمير
المؤمنين ، إلى الحسين بن موسى العلوى ، حين اجتمع فيه
شرف الأعراق ، والأخلاق ، وتكامل فيه من النقائب
والضرائب ، وعرف أمير المؤمنين فيه فضل الكفاية
والغناء ، ورشاد المقاصد والأنحاء ، فى سالف ما ولأه إياه
من أعماله الثقيلة التى لم يزل فيها محمود المقام ،
(٢٣٣ ب) مستمرا على النظام ، مصيب النقض والإبرام ،
سديد الإساءة والإلحاح ، زائدا على الزائدين ، راجحاً
على الموازين ، فائتاً المحاذين (٢) مبرزاً على المبارين ،
فقلده النظر فى المظالم بمدينة السلام وسوادها وأعمالها ،
وما يجرى معها ، ثقةً بعلمه ودينه ، واعتماداً على بصيرته

(١) صبح الأعشى - ١٠ ص ٢٤٣

(٢) فى الأصل : المحاذين .

ويقينه ، وسكونا إلى أن الأيام قد زادتة تحليما وتهديبا ،
والسنّ (١) قد تناهت به تحكيما وتجريبا ، وأن صنيعه
أمير المؤمنين مستقرة منه عند أكرم أكفائها ، وأشرف
أوليائها ، برحمه الماسة الدانية ، وخدمته الشامخة الغالية (٢)
ومعرفته الثاقبة الداعية إلى التفويض إليه ، الباعثة على
التعويل عليه ، وأمير المؤمنين يستمد الله في ذلك أحسن
ما عوّده من هداية وتسديد ، ومعونة وتأييد ، وما توفيقه
إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينيب .

أمره بتقوى الله التي هي الجنة الحصينة ، والعصمة
المتينة ، والسبب المتصل يوم انقطاع الأسباب ، والزداد
المبلغ إلى دار الثواب ، وأن يستشعرها فيما يُسرّ ويعلن ،
ويعتمدها فيما يُظهر ويبطن ، ويجعلها إمامه الذي ينحوه ،
ورائده الذي يقفوه ، إذ هي شيمة الأبرار والأخيار ،
وكان أولى من تعلق بعلائقها ، وتمسك بدقائقها ،
لمفخره الكريم ، ومنصبه الصميم ، واستظلاله مع
أمير المؤمنين بدوحة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي

(١) في الأصل : والسير .

(٢) في صبح الأعشى : وحرمة الشامخة العالية .

يَكْتَنَانِ فِي فَنَائِهَا ، وَيَأْوِيَانِ إِلَى أَفْيَائِهَا ، وَحَقِيقٌ عَلَى
مَنْ كَانَ مِنْهَا مَنْزَعَهُ ، وَإِلَيْهَا مَرْجِعُهُ ، أَنْ يَكُونَ طَيِّباً زَكِيًّا ،
طَاهِراً نَقِيًّا ، عَفِيفاً فِي قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ ، نَظِيفاً فِي سِرِّهِ وَجَهْرِهِ ،
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ
الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ (١) .

وَأَمْرُهُ بِتَلَاوَةِ الْقُرْآنِ ، وَتَأَمُّلِ مَا فِيهِ مِنَ الْبُرْهَانِ ، وَأَنْ
يَجْعَلَهُ نُصْباً لِنَظَرِهِ ، وَمَأْلفاً لِحَاطَرِهِ ، فَيَأْخُذُ بِهِ وَيُعْطَى ،
وَيَأْتَمُرُ بِهِ وَيَنْتَهِي ، (٢٣٤ ١) فَإِنَّهُ الْحِجَّةُ الْوَاضِحَةُ ، وَالْحِجَّةُ
اللَّائِحَةُ ، وَالْمَعْجِزَةُ الْبَاهِرَةُ ، وَالْبَيِّنَةُ الْعَادِلَةُ ، وَالِدَلِيلُ الَّذِي
مَنْ اتَّبَعَهُ سَلِمَ وَنَجَا ، وَمَنْ صَدَفَ عَنْهُ هَلَكَ وَهَوَى ، قَالَ
اللَّهُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ . لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ
بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (٢) .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَجْلِسَ لِلْخُصُومِ جُلُوساً عَامّاً ، وَيَقْبَلَ عَلَيْهِمْ
إِقْبَالاً تَامّاً ، وَيَتَصَفَّحَ مَا يَرْفَعُ إِلَيْهِ مِنْ ظَلَامَاتِهِمْ ،
وَيُنْعَمَ النَّظَرَ فِي أَسْبَابِ مُحَادَثَاتِهِمْ ، فَمَا كَانَ طَرِيقَهُ
طَرِيقَ الْمَنَازَعَةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِنَظَرِ الْقَضَاةِ وَشَهَادَاتِ الْعُدُولِ رَدَّهُ

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٣

(٢) سورة فصلت الآية ٤١ ، ٤٢

إلى المتولى للحكم ، وما كان طريقه طريق الغصوب
المحتاج فيها إلى الكشف والفحص ، والاستشفاف
والبحث ، نظر فيه نظر صاحب المظالم ، وانتزع الحق
من غضب عليه ، واستخلصه من امتدت له يد التعدي
والتغرر إليه ، وأعادته إلى مستحقه ، وأقره عند مستوجه ،
غير مراقب كبيراً لكبره ، ولا خاصاً لخصوصه ،
ولا شريفاً لشرفه ، ولا متسلطاً لسلطانه ، بل يقدم أمر الله
جل ذكره في كل ما يأتي ويذر ، ويتوخى رضاه فيما يُورد
ويُصدر ، ويكون على الضعيف المُحقّ حديبا ورؤوفا حتى
يتصبر^(١) وينتصف ، وعلى القوى المبطل شديدا غليظا حتى
ينقاد ويُذعن ، قال الله جل وعز ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ
خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ
الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ
اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ (٢)

وأمره بأن يفتح بابه ، ويُسهل حُجابه ، ويبسط
وجهه ، ويلين كنفه ، ويصبر على الخصوم الناقصين
في بيانهم حتى تظهر حجتهم ، ويُنعم النظر في أقوال أهل

(١) في صبح الأعشى : يتصبر

(٢) سورة ص الآية ٢٦

اللسن والبيان منهم حتى يعلمَ مَغْبَتَهُمْ (١) ، فربما استظهر
العريضُ المُبطلَ بفضله بيانه ، على العاجزِ المُحقِّ لِعِيِّ
لسانه ، وهناك يجب أن يتبع التصفُّحُ على القولين ،
والاستبطل (٢) للأمرين ، ليؤمنَ أن يزول الحق عن
(٢٣٤ ب) سننه ، وَيَزُورُ الحُكْمَ عن طريقه ، قال الله
عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ
فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ
نَادِمِينَ ﴾ (٣)

وأمره بأن لا يَرُدَّ للقُضاة حكما يمضونه ، ولا سِجِلًا
يُنْفَذونه ، ولا يُعَقَّب ذلك بفسخ ، ولا يُطْرَق عليه
بنقض (٤) ، بل يكون لهم موافقا مؤازرا ، ولأحكامهم عاضدا
ناصرًا ، إذ كان الحق واحدا وإن اختلفت المذاهب إليه ،
فإذا وجد القضية قد سِيقَتْ ، والحكومة قد وَقَعَتْ ،
فليس هناك شك يُوقَف عنده ، ولا ريب يُحتاج إلى الكشف
عنه ، وإذا وجد الأمر مشتبهًا ، والحق ملتبسًا ، والتغررُ
مستعملا ، والتغلب مستجازا ، نظر فيه نظر الناصر لحق

(١) في صبح الأعشى : مصيبتهم .

(٢) في صبح الأعشى : والاستظهار .

(٣) سورة الحجرات الآية ٦

(٤) في صبح الأعشى : ولا يُطْرَق عليه النقص

المحققين ، الداحض لباطل المبطلين ، المقوى لأيدي
المستضعفين ، الآخذ على أيدي المعتدين ، قال الله عز وجل
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ
عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ
فَقِيرًا فَإِنَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ
تَلَّوْا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (١) .

وأمره أن يستظهر على معرفته بمشاوره القضاة والفقهاء ،
ومباحثة الربانيين والعلماء ، فإن اشبهه عليه أمر
استرشدهم ، وإن عذب عنه صواب استدلل عليه
بهم ، فإنهم أزمه الأحكام ، وإليهم مرجع الحُكَّام ،
وإذا اقتدى بهم في المشكلات ، وعمل بأقوالهم في
المعضلات ، أمن من زلَّة العاثر ، وغلطة المُستأثر ، وكان
خليقا بالأصالة في رأيه ، والإصابة في أبحاثه ، وقد أمر الله
تقدست أسماؤه بالمشاورة فعرف الناس فضلها ، وأسلكهم
سبيلها ، بقوله لرسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله
﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ
اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (٢) .

(١) سورة النساء الآية ١٣٥

(٢) سورة آل عمران الآية ١٥٩

وأمره أن يكتب لمن تَوَجَّبَ له حق من الحقوق إلى صاحب الكُوفَة بالشَّدَّ على يده والتمكّن له منه ، (٢٣٥ ١) وقبض الأيدي عن منازعته ، وحسَم الأَطْماع في معارضته (١) إذ هو مندوب لتنفيذ أحكامه ، ومأمور بإمضاء قضاياها ، ومتى أخذ (٢) أحدٌ من الخصوم إلى محاربة (٣) في حق قد حكم عليه به ، أخذ على يده وكفه عن عدوانه ، وردّه إلى حكم الله الذي لا يُعَدَل عنه ، قال الله عز وجل ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٤) .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك ، وحبته عليك قد أُرشدك وذَكَرك ، وهداك وبصرك ، فكن إليه منتهيا ، وبه مقتديا ، واستعن بالله يُعِنك ، واستكفه يكْفيك .
وكتب الناصح أبو الطاهر في تاريخ كذا .
وهذه نسخة عهد (٥)

بنقابة الطالبين بمدينة السلام ، وسائر الأعمال

(١) في الأصل . وحسَم الاطلاع في معاوضته .

(٢) في الأصل : آخر .

(٣) في صبح الأعشى : إلى مكاذبة

(٤) سورة البقرة الآية ٢٢٩

(٥) صبح الأعشى - ١٠ ص ٢٤٧

والأمصار ، كتب به أبو إسحاق الصابى عن الطائع لله
للشريف أبي الحسن محمد بن الحسين العلوى الموسوى ،
مضافا إليها النظر فى المساجد وعماراتها واستخلافه لوالده
الشريف أبي أحمد الحسين بن موسى على النظر فى المظالم
والحج بالناس [فى سنة ثمانين وثلاثمائة] وهى :

هذا ما عهد الله عبد الكريم ، الإمام الطائع لله
أمير المؤمنين ، إلى محمد بن الحسين بن موسى العلوى ،
حين وصلته به الأنساب ، وقرنته لديه الأسباب ، وظهرت
دلالة عقله وأمانته (١) ، ووضحت مخايل فضله
ونجاته ، ومهد له بهاء الدولة وضياء الملة أبو نصر بن
عضد الدولة ما مهد عند أمير المؤمنين من المحل المكين ،
ووصفه به من الحلم الرزين ، وأشار به (٢) من رفع
المنزلة ، وتقديم الرتبة ، والتأهيل لولاية الأعمال ،
وتحمل الأعباء والأثقال ، وحيث رغبه فيه ، سابقة الحسين
أبيه ، فى الخدمة والنصيحة ، والمشايعة الصحيحة ،
والمواقف المحمودة ، (٢٣٥ ب) والمقامات المشهودة ،

(١) فى صبح الأعشى : ولبابته .

(٢) فى الأصل : وأشار به فيه .

التي طابت بها أخباره ، وحسنت فيها آثاره ، وكان
محمد متخلقا بخلائقه ، وذاهبا على طرائقه ، علما وديانة ،
وورعا وصيانة ، وعفة وأمانة ، وشهامة وصرامة ، وتفردا
بالحظ الجزيل من الفضل والأدب (١) الجزل ، والتوجه
في الأهل ، والإيفاء في المناقب على لِدَاتِهِ وأتْرابه ، والإبرار
على قُرْنَائِهِ وأَصْرابه ، فقلده ما كان داخلا في أعمال
أبيه ، من نقابة نقباء الطالبين بمدينة السلام ، وسائر
الأعمال والأمصار ، شرقا وغربا ، وبعدا وقربا ، واختصه
بذلك جذبًا بضبعه ، وإنافة بقدره ، وقضاء لحق رحمه ،
وترفيها لأبيه ، وإسعافا له بإيثاره فيه ، إلى ما أمر أمير
المؤمنين باستخلافه عليه من النظر في المظالم ، وتسيير
الحجيج في أوان المواسم ، والله يُعرِّف أمير المؤمنين
الخيرَ فيما أمر ودبر ، وحُسنَ العاقبة فيما قضى وأمضى ،
وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه
ينيب .

أمره بتقوى الله التي هي شعار المؤمنين ، وسيما
الصالحين ، وعصمة عباد الله أجمعين ، وأن يعتقدوها سرا

(١) في صبح الأعشى : من الفضل الجميل والأدب الجزل .

وجهرها ، ويعتمدها قولاً وفعلاً ، فيأخذ بها ويعطى ،
ويَرِيش وَيَبْرِي ، وَيَأْتِي وَيَذِر ، ويورد وَيُصَدِّر ، فإنها
السبب المتين ، والمعقل الحصين ، والزاد النافع يوم الحساب ،
والمسلك المفضي إلى دار الثواب ، وقد حض الله أوليائه عليها ،
وهداهم في محكم كتابه إليها ، فقال ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١)
وقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ
الصَّادِقِينَ ﴾ (٢) .

وأمره بتلاوة كتاب الله سبحانه مواظبا ، وتصفُّحه
مداوما ملازما ، والرجوع إلى أحكامه فيما أحلَّ وحرَّم ،
ونقض وأبرم ، وأثابَ وعاقب ، وباعد وقارب ، فقد صحح
الله برهانه [وُحِّجَّتْ] ، وأوضح منهاجه وَمَحَجَّتْهُ ، فجعله
فجرا في الظلمات طالعا ، ونورا في المشكلات ساطعا ،
(٢٣٦) فمن أخذ به سلم ونجا ، ومن عدل عنه هلك
وهوى ، قال الله عزوجل ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ . لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ
مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (٣) .

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٢

(٢) سورة التوبة الآية ١١٩

(٣) سورة فصلت الآية ٤١ ، ٤٢

وأمره بتنزيه نفسه عما تدعو إليه الشهوات ، وتطلّع
إليه النزوات ، وأن يضبطها ضبط الحليم ، ويكفّها
كفّ الحكيم ، ويجعل عقله سلطاناً عليها ، وتمييزه أمراً
ناهما لها ، فلا يجعل لها عذراً إلى صَبوة ولا هفوة ،
ولا يطلق منها عناناً عند ثورة ولا فورة ، فإنها أمارة بالسوء ،
منصبّة إلى الغنى ، فالحازم يتّهمها عند تحرُّك وطره وأربه ،
واحتياج غيظه وغضبه ، ولا يدع أن يَغُضَّها بالشكيم (١)
ويعركها عرك الأديم ، ويقودها إلى مصالحتها بالخزائم (٢)
ويعتقلها عن مقارفة المحارم والمآثم ، كيما يعزُّ بتهديبها
وتأديبها ، ويجلُّ برياضتها وتقويمها ، والمفرطُ في أمره
تطمح به إذا طمحت ، ويجمع معها أنى جمحت ،
ولا يلبث أن تورده حيث لا صدر ، وتُلجئه إلى أن يعتذر ،
وتقيمه مقام النادم الواجم ، وتتنكّبُ به سبل الراشد
المسالِم .

وأحق من تحلّى بالمحاسن ، وتصدّى لاكتساب المحامد ،
من ضرب بمثل سهمه في نسب أمير المؤمنين الشريف ،

(١) في الأمل كالسليم .

(٢) في الأصل « الشكائم » وقد اخترنا ما ورد في صبح الأعشى .

ومنصبه المُنيّف ، واجتمع معه في ذُوَابَةِ العِترَةِ الطاهرة ،
 واستظَلَ بأوراق الدوحة الفاخرة ، فذاك الذي تتضاعف له
 المآثر إن آثرها ، والمناقب إن أسَفَّ إليها ، ولا سيما من
 كان مندوبا لسياسة غيره ، ومُرَشِحًا للتقليد على أهله ، إذ
 ليس يفى بإصلاح من وُلِّي عليه ، من لا يفى بإصلاح
 ما بين جنبيه ، وكان من أعظم الهُجْنَةِ أَنْ يَأْمُرَ وَلَا يَأْتُرَ ،
 وَيَزْجُرُوا وَلَا يَزْدَجُرُ ، قال الله عز وجل ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ
 وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

وأمره بتصفّح أحوال من وُلِّي عليهم ، واستقراء
 مذاهبهم ، والبحث عن طرائقهم (٢) ودخائلهم ، وأن
 يعرف لمن تقدّمت قدّمه منهم ، وتظاهر فضله (٢٣٦ ب)
 فيهم ، مَنْزِلَتَهُ ، ويؤفّيه حقه ورتبته ، وينتهى في إكرام
 جماعتهم إلى الحدود التي تُوجِبُها أسبابهم (٣) وأقذارهم ،
 وتقتضيها مواقفهم وأخطارهم ، فإن ذلك يَلْزِمُهُ لسببين :
 أحدهما يخصّه وهو النسبُ بينه وبينهم ، والآخر يعمّه

(١) سورة البقرة الآية ٤٤

(٢) في صبح الأعشى : عن بواطنهم .

(٣) في صبح الأعشى : أنسابهم .

والمسلمين جميعاً ، وهو قول الله جل ثناؤه ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ (١) فالمودة لهم ، والإعظام لأكابرهم ، والإقبال على أصاغرهم ، متضاعف الوجوب عليه ، ومتأكد اللزوم له ، ومن كان منهم في دون تلك الطبقة من أحداث لم يحتنكوا ، أو جذعان لم يقرحوا ، مُجرين إلى ما يُزرى بأنسابهم ، ويغضُّ من أحسابهم ، عدلهم ونبيهم ، ونهاهم ووعظهم ، فإن نزعوا وأقلعوا فذاك المراد بهم ، والمقصود إليه فيهم ، وإن أصرّوا وتتابعوا أنالهم من العقوبة بقدر ما يكفُّ ويردع ، فإن نفع وإلا تجاوزه إلى ما يُوجع ويلذع ، في غير تطرق لأعراضهم (٢) ولا انتهاك لأحسابهم ، فإن الغرض فيهم الصيانة لا الإهانة ، والإدالة لا الإذالة ، وإذا وجبت عليهم الحقوق ، أو تعلقت بهم دواعي الخصوم ، قادهم إلى الإغفاء بما يصح منها ويجب ، والخروج إلى سنن الحق فيما يشتهه ويلتبس ، ومتى لزمتهم الحدود أقامها عليهم بحسب ما أمر الله به فيها ، بعد أن

(١) سورة الشورى الآية ٢٣

(٢) في الأصل : تطرف لأصاغرهم .

تثبت الجرائم وتصحح ، وتبين وتتضح ، وتتجرد عن الشك
والشبهة ، وتتجلى من الظن والتهمة ، فإن الذي يُستحب في
حدود الله أن تُدرأ عن عباده مع نقصان اليقين والصحة ،
وأن تمضى عليهم مع قيام الدليل والبيّنة ، قال الله عز وجل
﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (١) .
وأمره بحياطة هذا النسب الأظهر ، والشرف الأفخر ،
عن أن يدعيه الأديعاء ، ويدخل فيه الدُّخلاء ومن انتمى
إليه كاذبا ، وانتحل به باطلا ، ولم يوجد له بيت في الشجرة ،
ولا مصداق عند النسابين المهرة ، أوقع به من العقوبة
ما يستحقه (٢٣٧) ووسمه بما يُعلم به كذبه وفسقه ،
وشهره شهرةً ينكشف بها غشه ولبسه ، وينزع بها
غيره ممن تُسوّل له مثل ذلك نفسه ، وأن يُحصن الفروج
عن مناكحة من ليس لها كُفؤا ، ولا مشاركتها في شرفها
وفخرها ، حتى لا يطمع في المرأة الحسيبة النسبية إلا من
كان مثلاً لها مساويا ، ونظيرا موازيا ، فقد قال الله [تعالى]
﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ
وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ (٢) .

(١) سورة البقرة الآية ٢٢٩

(٢) سورة الأحزاب الآية ٣٣

وأمره بمراعاة متبتلى أهله ومتهجدئهم : وُصلحائهم
ومُجاوريهم ، وأراملهم وأصاغرهم ، حتى يسدَّ الخلَّة من
أحوالهم ، ويُدِرُّ الموادَّ عليهم ، وتتعدل أقساطهم فيما
يصل إليه من وجوه أموالهم ، وأن يزوج الأبامى ،
ويربى اليتامى ، ويُلزِمهم المكاتب ليتلقنوا القرآن ،
ويعرفوا فرائض [الإسلام و] الإيمان ، ويتأدبوا بالآداب ،
اللائقة بذوى الأحساب ، فإن شرف الأعراف ، محتاج إلى
شرف الأخلاق ، ولاحمد لمن شرف نسبه ، وسخف أدبه ،
إذ كان لم يكسب الفخر الحاصل له بفضل سعى
ولا طلب ، ولا اجتهاد ولا ذأب (١) بل بضع من الله
عز وجل له ، ومزيد فى المنَّة عليه ، وبحسب ذلك لزوم
ما يلزمه من شكره سبحانه على هذه العطيَّة ، والاعتداد
بما فيها من المزيَّة ، وإعمال النفس فى حيازة الفضائل
والمناقب ، والترفع عن الرذائل والمثالب .

وأمره بإجمال النيابة عن شيخه الحسين بن موسى
فيما أمره أمير المؤمنين باستخلافه عليه من النظر فى المظالم ،
والأخذ للمظلوم من الظالم ، وأن يجلس للمترافعين إليه

(١) فى الأصل : أرب .

جلوساً عاماً ، ويتأمل ظلاماتهم تأملاً تاماً ، فما كان منها متعلقاً بالحاكم رده إليه ، ليحمل الخصوم عليه ، وما كان طريقه طريق الغشم والظلم ، والتغلب والغصب ، قبض عنه اليد المبطلة ، وأثبت فيه اليد المستحقة ، وتحرى في قضاياه أن تكون موافقة للعدل ، ومجانبة للخذل (٢٣٧ ب) فإن غايتى الحاكم وصاحب المظالم واحدة ، وهى إقامة الحق ونصرتة ، وإبانته وإنارته ، وإنما يختلف سبيلها فى النظر ، إذ الحاكم يعمل على ما ثبت وظهر ، وصاحب المظالم يفحص عما غمض واستتر ، وليس له مع ذلك أن يردّ لحاكم حكومة ، ولا يُعلّل له قضية ، ولا يتعقب ما يُنفذه ويُمضيه ، ولا يتتبع ما يحكم به ويقضيه ، والله يهديه ويُسده ، ويوفّقه ويرشده .

وأمره أن يُسير حجيج [بيت] الله إلى مقصدهم ، ويحميهم فى بدأتهم وعودتهم ، ويرتبهم فى مسيرهم ومسلكهم ، ويرعاهم فى آناء ليلهم ونهارهم ، حتى لا تنالهم شدة ، ولا تصل إليهم مضرة

وَأَنْ يَرعَاهُمْ فِي الْمَنَازِلِ^(١) وَيُورِدُهُم الْمَنَازِلَ ، وَيُنَازِبُ بَيْنَهُمْ فِي النَّهْلِ وَالْعَلَلِ ، وَيَمْكُنُهُمْ مِنَ الْارْتَوَاءِ وَالْاِكْتِفَاءِ ، مَجْتَهِدًا فِي الصِّيَانَةِ لَهُمْ ، وَمُعْذِرًا فِي^(٢) الذَّبِّ عَنْهُمْ ، وَمَتَلُومًا عَلَى تَأْخِرِهِمْ وَمَتَخَلِّفِهِمْ ، وَمُنْهَضًا لضعيفهم وَمَهْيِضَهُمْ ، فَإِنَّهُمْ حَجَّاجُ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ، وَزَوَّارُ قَبْرِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَدْ هَجَرُوا الْأَوْطَانَ ، وَفَارَقُوا الْأَهْلَ وَالْإِخْوَانَ ، وَتَجَشَّمُوا الْمَغَارِمَ الثَّقَالَ ، وَتَعَسَّفُوا السُّهُولَ وَالْجِبَالَ ، يُلَبُّونَ دَعَاءَ اللَّهِ عَزَّ اسْمُهُ ، وَيَطِيعُونَ أَمْرَهُ ، وَيُؤَدُّونَ فَرْضَهُ ، وَيَرْجُونَ ثَوَابَهُ ، وَحَقِيقٌ عَلَى الْمُسْلِمِ الْمُؤْمِنِ أَنْ يَحْرُسَهُمْ مَتَبَرِّعًا ، وَيَحُوطَهُمْ مَتَطَوُّعًا ، فَكَيْفَ مِنْ تَوَلَّى ذَلِكَ وَضَمَّنَهُ ، وَتَقَلَّدَهُ وَاعْتَنَقَهُ ، قَالَ اللَّهُ ﷻ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﷻ^(٣) .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَرَاعَى أُمُورَ الْمَسَاجِدِ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ وَأَطْرَافِهَا ، وَأَقْطَارِهَا وَأَكْنَافِهَا ، وَأَنْ يَجْبِيَ أَمْوَالَ وَقُوفِهَا ، وَيَسْتَقْصِي جَمِيعَ حَقُوقِهَا ، وَأَنْ يَلْمَّ شَعْنَهَا ، وَيَسُدَّ خَلْلَهَا ، بِمَا يَتَحَصَّلُ مِنْ هَذِهِ الْوُجُوهِ قَبْلَهُ ، حَتَّى لَا يَتَعَطَّلَ رَسْمُ جَرَى

(١) فِي صَبْحِ الْأَعْشَى : وَأَنْ يَرِيحَهُمْ فِي الْمَنَازِلِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : وَمُعْذِرًا فِي الذَّبِّ .

(٣) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ آيَةُ ٩٧

فيها ، ولا تنقص عادةً كانت لها ، وأن يُثبت اسم أمير المؤمنين على ما يعمره منها ، ويذكر اسمه بعده بأنَّ عُمَرانها جرى على يده ، وصلاحتها . (٢٣٨ ١) أدَّاهُ قول أمير المؤمنين إلى فعله ، فقد فسَّح له أمير المؤمنين بذلك تنويها باسمه وإشادة بذكره ، وأن يولى [ذلك] من قبله من حَسُنَتْ أمانته ، وظهرت عفته وصيانتته ، فقد قال الله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ (١) .

وأمره أن يستخلف على ما يرى الاستخلاف عليه من هذه الأعمال ، في الأمصار الدانية والنائية ، والبلاد القريبة والبعيدة ، من يثق به من صلحاء الرجال ، ذوى الوفاء والاستقلال ، وأن يعهد إليهم مثل الذى عهد إليه ، ويعتمد عليهم فى مثل ما اعتمد عليه ، ويستقرى مع ذلك آثارهم ، ويتعرّف أخبارهم ، فمن وجده محمودا أقره ولم يُزله ، ومن وجده مذموما صرفه ولم يُمهله ، واعتاض منه من ترتجى الأمانة عنده ، وتكون الثقة معهودة منه ،

(١) سورة التوبة الآية ١٨

وَأَنْ يَخْتَارَ لِكِتَابَتِهِ وَحُجَّتِهِ وَالتَّصَرُّفِ فِيمَا قَرَبَ مِنْهُ
وَبَعْدَ عَنهُ مَنْ يَزِينُهُ وَلَا يَشِينُهُ ، وَيُنصَحُ لَهُ وَلَا يَغُشُّهُ ،
وَيَجْمَلُهُ وَلَا يُهَجِّجُهُ ، مِنْ الطَّبَقَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِالظَّلْفِ ، الْمَصُونَةِ
عَنِ النَّظْفِ (١) ، وَيَجْعَلُ لَهُمْ مِنَ الْأَرْزَاقِ الْكَافِيَةَ ،
وَالْأَجْرَةَ الْوَافِيَةَ ، مَا يَصُدُّهُمْ عَنِ الْمَكَاسِبِ الذَّمِيمَةِ ،
وَالْمَأْكُلِ الْوُخِيمَةِ ، فَلَيْسَ تَجِبُ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ إِلَّا مَعَ
إِعْطَاءِ الْحَاجَةِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا
مَا سَعَى . وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يَرَى . ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴾ (٢)

وَأَمْرُهُ بِأَنْ يَكْتُبَ لِمَنْ يَقُومُ بَبَيِّنَتِهِ عِنْدَهُ ، وَتَنْكَشِفُ
حُجَّتُهُ لَهُ ، إِلَى أَصْحَابِ الْمَعَاوِلِ (٣) بِالشَّدِّ عَلَى يَدَيْهِ ،
وَإِيصَالِ حَقِّهِ إِلَيْهِ ، وَحَسْمِ الطَّمَعِ الْكَاذِبِ فِيهِ ، وَقَبْضِ
الْيَدِ الظَّالِمَةِ عَنْهُ ، إِذْ هُمْ مَنْدُوبُونَ لِلتَّصَرُّفِ بَيْنَ أَمْرِهِ
وَنَهْيِهِ ، وَالْوُقُوفِ عِنْدَ رَسْمِهِ وَحَدِّهِ .

هَذَا عَهْدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ ، وَحُجَّتُهُ لَكَ وَعَلَيْكَ ، قَدْ
أَنَارَ فِيهِ سَبِيلَكَ ، وَأَوْضَحَ دَلِيلَكَ ، وَهَدَاكَ وَأَرَشَدَكَ ،

(١) الظلف من معانيه الترفع عن الدنيا . والنطف : العيب .

(٢) سورة النجم الآيات ٣٩ - ٤١

(٣) في صبح الأعشى : المعاون . هذا والمعاون يراد بها السلطات كرجال الإدارة والشرطة .

وجعلك على بينة من أمرك ، فاعمل به ولا تخالفه ، وائته
إليه ولا تتجاوزهُ ، وإن عرض لك أمر يُعجزك الوفاء به ،
ويشبهه عليك وجهُ (٢٣٨ ب) الخروج منه ، أنهيته إلى
أمير المؤمنين مبادرا ، وكنت إلى ما أمرك به صائرا ،
إن شاء الله تعالى . مستهل رمضان سنة ثمانين وثلاثمائة (١) .

وهذه نسخة عهد بتقليد الصلاة بحاضرة بغداد

كتب به أبو إسحاق الصابي عن الطائع لله لعلي بن
أحمد بن الفضل الهاشمي في ربيع الأول سنة أربع
وستين وثلاثمائة وهي :

هذا ما عهد عبد الله ووليه عبد الكريم الإمام الطائع لله
أمير المؤمنين لعلي بن أحمد بن الفضل بن عبد الملك
الهاشمي ، حين قلده جميع ما كان يتقلده عبد الواحد بن
الفضل من الصلاة بجانب مدينة السلام ، وما يتصل
بها من الأعمال ، بسقى (٢) الفرات والنهروانات وسائر

(١) في صبح الأعشى : « وكتب في مستهل شعبان سنة ثمانين وثلاثمائة » وفي الأصل :
رمضان سنة ثمان وثلاثمائة .

(٢) في الأصل : بسقى ، هذا وسقى الفرات كور بغداد منها الأنبار وهيت . انظر معجم
البلدان : الفرات .

ما كان داخلا في تقليده من النواحي والأمصار القريبة
والبعيدة ، وطريق خراسان ، وقرر أمره (١) سكونا إلى
دينه وأمانته وثقة بنزاهته وصيانتته ، وصلة لرحمه ونسبه ،
ورجاء لاستقلاله ووفائه ، وتقريراً لاضطلاعه وغناؤه ،
وأمر المؤمنين يسأل حسن تسديده في ذلك في جميع
آرائه التي يرتئئها ، وعزائمه التي يُمضيها ،
وأن يقرنها بالصلاح ، ويتولاها بالنجاح ، وما توفيق
أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينيب .

أمره بتقوى الله في سره وجهره ، والمراقبة له في قوله
وفعله ، وأن يجعل ذلك خلقاً له وديناً ، ويتخذ منها جارا
وسبباً ، ويتحلّى له بالسكينة والوقار ، فإنهما شعار
الأخيار الأبرار ، الذين هم (٢) حقيق بأن يتقبل فعالهم ،
ويحتذى مثلهم ، بما أسهم الله فيه من النسب الشريف ،
وأهله من المفخر المنيف ، الذي استحق به أمير المؤمنين
ما فوض إليه ، واعتمد فيه عليه ، فإن الله جل ذكره
حَضَّ الناس على التقوى ، ووعدهم عليها القربة والزلْفى ،

(١) الكلمة غير واضحة في الأصل .

(٢) في الأصل : الذين هو .

وإنها لَحَرِيَّةٌ بِالْمُؤْمِنِينَ ، خَلِيقَةٌ بِعِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ ، وَلَا سِيَّمَا
 مِنْ رَقَى الْمَنَابِرَ تَمَطُّبًا لَهَا ، وَافْتَرَعَهَا خَطِيبًا عَلَيْهَا (٢٣٩ |)
 وَكَانَ إِلَى اللَّهِ دَاعِيَا ، وَعَنْ عِبَادِهِ مُنَاجِيَا ، وَإِذَا اطَّلَعَ اللَّهُ
 جَلَّ وَعَزَّ مِنْهُ عَلَى نَقَاءِ الصُّدُورِ ، وَسَلَامَةِ
 السُّرِّ ، وَاسْتِقَامَةِ الدِّينِ ، وَصِحَّةِ الْيَقِينِ ، قَبْلَ صَلَاتِهِ
 وَاسْتِجَابِ دَعَاةِهِ ، وَأَنْهَضَهُ بِمَا اسْتُكْفِيهِ ، وَأَعَانَهُ عَلَى
 آدَاءِ الْأَمَانَةِ فِيهِ ، وَجَمَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ صَلَّى خَلْفَهُ ،
 وَقَفَا أَثْرَهُ ، فِي فَائِضِ رَحْمَتِهِ ، وَسَابِغِ مَغْفِرَتِهِ ، وَأَحْلَاهُ
 مَحَلَّةَ عِبَادَةِ الصَّادِقِينَ ، وَأَوْلِيَاءِهِ الصَّالِحِينَ ، وَاللَّهُ تَعَالَى
 يَقُولُ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ
 تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١) .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَسْعَى إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ عِنْدَ وَجُوبِ الصَّلَاةِ ،
 وَيَدْخُلُهَا فِي حَقَائِقِ الْأَوْقَاتِ ، وَيَقِيمُهَا عَلَى حُدُودِهَا
 وَشُرُوطِهَا ، وَيَسْتَوْفِيهَا عَلَى الْوَاجِبِ مِنْ مَفْرُوضِهَا وَمَسْنُونِهَا ،
 مُرْتَلًا لِقِرَائَتِهِ ، مُتْرَسِّلًا فِي تِلَاوَتِهِ ، جَامِعًا بَيْنَ نِيَّتِهِ
 وَلَفْظِهِ ، مُحْتَرِسًا مِنْ مَطَامِحِ فِكْرِهِ وَلِحْظِهِ ، مُتَجَنِّبًا
 لِحِرَائِرِ غَفْلَتِهِ وَسَهْوِهِ ، مُتَحَرِّزًا مِنْ عَوَارِضِ هُجْرِهِ وَلَغْوِهِ ،

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٢

مستظهرها على نفسه في طهارة جوارحه ، وتهذيب ما بين
جوانحه ، فإن أفضل التأهب للصلاة ما استوى باطنه
وعاليه (١) ، وتوازن غائبه وشاهده ، وليس بالطاهر
عند الله من أفاض الماء على أطرافه ، وجعل النجاسة حشو
شغافه ، ولسكنه الجامع بين الأمرين ، والفائز بكلتا
الحسنيين ، وأحق من قصد ذلك ونحاه ، واعتمده وتوخاه ،
من اتخذه المسلمون إماما ، وقدموه أماما ، وصار بينهم
وبين الله وسيطا ، وعلى ما فوضوه إليه من الصلاة بهم
أميننا ، قال الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ
لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ
ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢) وقال تعالى
﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ (٣)
وقال تعالى ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ ﴾ (٤).

وأمره أن يقيم الدعوة على منابر حضرة أمير المؤمنين له

(١) الكلمة أيضا محتملة : وغالبه . ولعلها أيضا محرقة عن كلمة تتفق مع السجع بعدها .

(٢) سورة الجمعة الآية ٩

(٣) سورة النساء الآية ١٠٣

(٤) سورة العنكبوت الآية ٤٥

خاصة ، وأن يقيمها على منابر باقى الأعمال النازحة
 (٢٣٩ ب) عن مقره له ، ثم لحامل الأعباء عنه ، والوسيط
 بين جماعة الأولياء ، وبين عز الدولة أبى المنصور أحمد بن
 معز الدولة أبى الحسين مولى أمير المؤمنين ، ولولاة الأعمال
 بعده ، الذين يدعى لهم على منابر ما يتقلدونه منها ، على
 العادة الجارية فيها ، وإن هذه الدعوة لازمة ، والسنة فيها
 مؤكدة ، وهى فرع مطرد على أصل الطاعة الواجبة على
 المسلمين جميعا ، إذ يقول جل اسمه لهم ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ (١)
 والعائدة فيهم ، لأن الله تعالى إذا أصلح الولاة عليهم
 أصلح المسرة فيهم ، وأنهضهم بما استرعاهم من أمورهم ،
 وكذلك يفعل الله إنه سميع الدعاء ، لطيف لما يشاء .
 هذا عهد أمير المؤمنين إليك ، وحجته عليك ، فاعمل
 به منتها إلى حدوده ، ومتبعا لرسومه ، ومتأدبا بآدابه ،
 وسالكا على منهاجه ، واستعن بالله يُعِنِكَ وَيُسَدِّدُكَ ،
 واستهذه يَهْدِكَ وَيُرْشِدُكَ ، إن شاء الله تعالى .

(١) سورة النساء الآية ٥٩

وهذه نسخة عهد بنظر الأوقاف بحاضرة بغداد وسوادها

كتب بها أبو إسحاق الصابي عن الطائع للحسين بن
موسى العلوّى^(١).

هذا ما عهد عبد الله عبد الكريم الإمام الطائع لله أمير
المؤمنين ، إلى الحسين بن موسى العلوّى ، حين طابت منه
العناصر ، ووصلته بأمر المؤمنين الأواصر ، جمع إلى
شرف الأعراق الذى ورثه ، شرف الخلق الذى اكتسبه ،
ووضحت آثار دينه وأمانته ، وبانت أدلة فضله
وكفائته ، فى جميع ما أسنده أمير المؤمنين إليه من
الأعمال ، وحمله إياه من الأثقال ، فأضاف إلى ما كان
ولاه من النظر فى الوقوف التى كانت يد فلان فيها الوقوف
بالحضرة وسوادها ، ثقةً بسداده ، وسكوناً إلى رشاده ،
وعلماً بأنه يعرف حق الصنعة ، ويرعى ما يستحفظه من
(٢٤٠) الوديعة ، ويجرى فى المنهل الذى أحمدّه أمير
المؤمنين منه فى كل ما فوض ووكل إليه ، والله يمدّ أمير
المؤمنين بصواب الرأى فيما نحاه وتوخّاه ، ويؤمّنه من

(١) صبح الأعشى ١٠٥٠ ص ٢٥٩

عاقبة الندم فيما قضاه وأمضاه ، وما توفيق أمير المؤمنين
إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينسب .

أمره بتقوى الله التي هي عماد الدين ، وشعار المؤمنين ،
وأن يعتقدها في سره ونجواه ، ويجعلها الذخيرة لأولاه
وأخراه ، ويتجنب المواقع الموبية^(١) ويتوقى الموارد
المردية ، ويغض طرفه عن المطامح^(٢) المغوية ، ويذهب
بنفسه عن المطارح المخزية ، فإنه أحق من فعل ذلك
وآثره ، وأولى من اعتمده واستشعره ، بنسبه الشريف ،
ومفخره المنيف ، وعادته المشهورة ، وشاكلته الماثورة ،
وتلاوة كتاب الله الذي هو والعتر^(٣) الثقلان المخلفان
في الأمة ، وقد جمعته وأحدهما الأنساب ، وجمعنا^(٤) والثاني
عصمة أولى الألباب ، وتوجهت حجة الله عليه بما يرجع من
هذه الفضائل إليه ، وأنه غصن من دوحة أمير المؤمنين ،
التي تحدّها الله بالإنذار قبل الخلائق أجمعين ، إذ يقول
لرسوله محمد صلى الله عليه وعلى آله ﷺ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ

(١) في صبح الأعشى : الموبية .

(٢) في صبح الأعشى : المطامح .

(٣) في صبح الأعشى : وعتر رسول الله .

(٤) في صبح الأعشى : وقد جمعته وأخرهما الأنساب وجمعته

الْأَقْرَبِينَ ﴿١﴾ وقد حضَّ تبارك وتعالى على التقوى ، ووعد عباده عليها الزلفى ، فقال ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٢) .

وأمره بالاشتمال على ما أسنده إليه أمير المؤمنين من هذه الوقوف ، مستنفدا طوقه في عمارتها ، مستفرغا وسعه في مصالحتها ، دائبا في استغلالها وتثميرها ، مجتهدا في تدبيرها وتوفيرها ، وأن يصرف فاضل كل وقف منها بعد الذى يُخرج منه للنفقة على حفظ أصله ، واستدرار حلبه ، والمؤنة الراتبة للقوام عليه ، والحفظة له ، إلى أربابه الذى يعود ذلك عليهم في وجوها التي سُبِّل لها ، ووقف عليها ، واضعا جميع ذلك مواضعه ، موقعا له (٢٤٠ ب) مواضعه ، خارجا إلى الله من الحق فيه ، مؤديا الأمانة إليه ، وأن يشهد على القابضين بما يقبضونه من وقوفهم ، ويكتب البراءات عليهم بما يستوفونه من أموالهم ، ويستظهر لنفسه بإعداد الشواهد والأدلة على ما ينفقه من أموال هذه الوقوف على مصالحه ، ويصرفه

(١) سورة الشعراء الآية ٢١٤

(٢) سورة التوبة الآية ١١٩

منها إلى أهلها ، ويخرجه منها في حقوقها وأبواب برّها ،
وسائر سبلها ووجوهها ، سالكا في ذلك مذهبه المعروف في
أداء الأمانة واستعمال الظلف والنزاهة ، مُعَقِّبا على من
كان ناظرا فيها من الخونة الذين لم يَرَعُوا عهدا ولم
يحفظوا حقا ، ولم يَتَصَوَّنُوا عن سُحْتِ (١) المطاعم ،
وظلم المآثم .

وأمره باستكتاب كاتب معروف بالسداد ، مشهور
بالرشاد ، معلوم منه نصيحة الأصحاب ، والضبط للحساب ،
وتفويض ديوان الوقوف وتدبيره إليه ، وتوصيته بصيانة
ما يشمل ، عليه من أصول الأعمال وفروعها ، وقليل
الحُجج وكثيرها ، وأن يحتاط لأربابها في حفظ رسومها
ومعاملاتها ، وحراسة طُسُوقها ومُقاسماتها ، حتى لا يستمر
عليها حَيْفٌ يَبْقَى أثره ، ولا يتغير فيها رسم يُخاف ضرره ،
وأن يُنصف الأكرّة فيها والمزارعين ، وسائر المخالطين
والمعاملين ، ولا يجشّمهم حَيْفا ، ولا يسومهم خَسفا ،
ولا يُغضى لهم عن حق ، ولا يسمح لهم بواجب ، خلا
ما عَادَةُ السّماحة به بزيادة عماراتهم ، وتآلف نيّاتهم ،

(١) في الأصل ولم يتصونوا عن سخب .

واجتلاب الفائدة منهم والعائدة بهم ، فإنه مؤتمن في ذلك كله أمانة عليه ، وأن^(١) يؤديها ويخرج من الحق فيها . وأمره باختيار خازن حصيف ، قووم أمين ، يخزن حُجج هذه الوقوف وسجلاتها ، وسائر دفاترها وحُساباناتها ، فإنها ودائع أربابها عنده ، وواجب أن يحتاط عليها جهده ، فمتى شك في شرط من الشروط ، أو حد من الحدود ، أو عارض معارض ، أو شاغب مشاغب ، في أيام نظره وأيام من عسى أن تنتقل (١٢٤١) ولاية هذه الوقوف إليه ، ويناط تدبيرها به ، دَفَع ما يحدث من ذلك بهذه الحجج التي هي معادن^(٢) البرهان ، وقواعد البنيان ، وإليها المرجع في كل بَيِّنَة تُبصر^(٣) وتقام ، وشبهة تُدحض وتُضام .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك ، ووثيقته الحاصلة في يديك ، قاتَّبِع آثارَ أوامره ، وازدجر عن نواهيهِ وزواجره ، واستمسك به تنجُ وتسلم ، واعمل به تَفْزُ وتغنم ،

(١) في صبح الأعشى أمانة ، وعليه أن يؤديها .

(٢) في صبح الاعشى : معارف البرهان .

(٣) في صبح الأعشى : تنصر .

واسترشد الله يرشدك ، واستهده يهدك ، واستعن به
ينصرك ، وفوض إليه يعصمك ، إن شاء الله تعالى .

الأسلوب الثاني :

أن يفتتح ما يكتب بلفظ أما بعد . ثم الذى كان
فى الزمن القديم أن يكتب : أما بعد فإن كذا . ويؤتى على
مقصد الولاية إلى آخره ، ثم انتهى الحال فى الدولة
العباسية بالعراق إلى أن يقال : أما بعد فالحمد لله ، ويؤتى
بخطبة مناسبة للحال ، ثم يؤتى على مقصد الولاية .

والأصل فى ذلك أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
رضى الله عنه حين ولّى أبا موسى الأشعري القضاء كتب
له كتابا افتتحه بأما بعد .

وهذه نسخته على ما أورده صاحب « العقد » (١)

أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة ،
فإنهم إذا أدلى إليك ، وأنفذ إذا تبين لك ، فإنه لا ينفع
تكلم بحق لا نفاذ له .

(١) صبح الأعشى ١٠٠ ص ١٩٣ والمقد الفريد ١٠ ص ٣٣

آسٍ بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك ، حتى
لا يطمع شريف في حيفك ، ولا ييأس ضعيف من
عونك ، البيّنة على من ادّعى واليمين على من أنكر ،
والصلحُ جائز بين المسلمين ، إلّا صلحا أحلّ حراما أو حرم
حلالا ، لا يمنعك قضاء قضيتَه بالأمس فراجعت فيه
اليومَ عقلك (٢٤١ ب) وهُديت فيه لرشدك ، أن
ترجع إلى الحق ، فإن الحق قديم ، ومراجعة الحق خير
من التماذى في الباطل .

الفهمَ الفهمَ فيما تلجلج في صدرك ، مما ليس في
كتاب ولا سنة ، ثم اعرف الأشباه والأمثال ، وقس
الأُمور عند ذلك بنظائرها ، واعمد إلى أقربها إلى الله
وأشبهها بالحق ، واجعل لمن ادعى حقا غائبا أو بينة
أمدًا ينتهى إليه ، فإن أحضر بينة أخذت له بحقه ،
وإلا استحلت القضية عليه ، فإنه أنفى للشك ، وأجلى
للعمى .

المسلمون عُدول بعضهم على بعض ، إلا مجلودا حدًّا أو
مُجرَّبًا عليه شهادة زور ، ظنينا في ولائٍ أو نسب ، فإن الله
يتولى السرائر ، ويدرأ بالبينات والأيمان .

إياك والقلق والضجر والتأذى بالخصوم ، والتنكر
عند الخصومات ، فإن الحق في مواطن الحق يُعظم الله
به الأجر ، ويحسن عليه الذُّخر والجزاء ، فمن صحَّت
نيَّته ، وأقبل على نفسه ، كفاه الله ما بينه وبين الناس ،
ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شأنه (١)
الله ، فما ظنُّك بثواب الله (٢) في عاجل رزقه وخزائن
رحمته ، والسلام .

قلت : ووقع في بعض المصنفات ابتداء هذا العهد
بقوله .

من عمر بن الخطاب إلى عبد الله بن قيس ، سلام
عليك ، أما بعد . وهو الذي استند إليه من كتب في بعض
المذاهب السابقة في عهود الملوك عن الخلفاء : من عبد الله
فلان إلى فلان ، ووقع في «مسند» البزار أن أوله : اعلم
أنَّ القضاء فريضة محكمة .

مع تغيير بعض الألفاظ وتقديم بعض وتأخير بعض .

وعلى الافتتاح بأما بعد : كتب عبد الحميد بن يحيى

(١) في الأصل «حابه» والتصويب من صحیح الأعمش .

(٢) في الأصل : في ثواب الله .

عن مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية لبعض أمراء السرايا .

أما بعد فإن أمير المؤمنين عندما اعتزم عليه من توجيهك إلى عدو الله الجلف الجاني الأعرابي المتكسِّع (١) في حيرة الجهالة ، وظلم الفتنة ، ومهاوى الهلكة ، ورعاعه الذين عاثوا (١٢٤٢) في الأرض فسادا ، وانتهكوا حرمة الإسلام استخفافا ، وبدلوا نعمة الله كفرا ، واستحلوا (٢) سلِّمه جهلا ، أحب أن يعهد إليك .

إلى آخر ما أتى به منه ، وهو عهد طويل جدا ، ضربت عن ذكره لإطالته ، وقد ذكرته بجملته في كتابي «صبح الأعشى في كتابة الإنشا» (٣) . وعلى ذلك كانت عهد الوزراء من خلفاء بني العباس في العراق .

وهذه نسخة عهد بالوزارة (٤)

كتب به الإمام المسترشد بالله لبعض وزرائه وهي :
أما بعد ، فالحمد لله المنفرد بكبريائه ، المتفضل

(١) تكسع في ضلاله : ذهب ، مثل تسكع .

(٢) في صبح الأعشى - ١٠ ص ١٩٥ أضيفت : « واستحلوا [دماء أهل] سلِّمه » وذلك نقلا عن كتاب مفتاح الأفكار ص ٢٣٠

(٣) انظر صبح الأعشى - ١٠ ص ١٩٥

(٤) صبح الاعشى - ١٠ ص ٢٣٧

على أوليائه ، مجزل النعماء ، وكاشف الغمائم ، ومسبغ
العطاء ، ومُسبِل الغطاء ، ومُسْنِي الحباء ، ومُسْدِي الآلاء ،
الذي لا تُؤودُه الأعباء ، ولا تُكيدُه الأعداء ، ولا تُبلِغُه
الأوهام ، ولا تُحيطُ به الأفهام ، ولا تُدرِكه الأبصار ،
ولا تُتخيِّله الأفكار ، ولا تهزمه الأعوام بتواليها ،
ولا تُعجزه الخطوب إذا ادلهمت لياليها ، عالم هواجس
الفكر ، وخالق كل شيء بقدر ، مُصَرِّف الأقدار على مشيئته
ومُجْرِيها ، ومانح مواهبه من أضحى بيد الشكر
يُمْتَرِيها ، حمداً يَصُوبُ حَيَّاه ، وَيَعْدِبُ جَنَّاه ، وتتهلل أسرة
الإخلاص من مطاويه ، ويستدعي المزيد من آلائه ويقتضيه .

والحمد لله الذي استخلص محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
من زَكِيِّ الأَصْلَابِ ، وانتخبه من أَشْرَفِ الأَنْسَابِ ،
وبعثه إلى الخليقة رسولا ، وجعله إلى منهج النجاة
دليلا ، وقد بَوَّأَ الشُّرَكَاءَ البَوَارِ الدُّلَّ وقضاه (١) ، وشهر
عَضْبَ العِزِّ وانتضاه ، والأُمَّمَ عن طاعة الرحمن عازفة ،
وعلى عبادة الأوثان عاكفة ، فلم يزل بأمر ربه صادعا ،
وعن التمسك بعُرَا الضلال الواهية وازعا ، وإلى ركوب

(١) الجملة في صحيح الأعمش خالية من النقط غير واضحة

مَحَجَّةَ الْهَدَى دَاعِيَا ، وَعَلَى قَدَمِ الْاجْتِهَادِ فِي إِبَادَةِ (١)
الْغَوَايَةِ (٢٤٢ ب) سَاعِيَا ، حَتَّى أَصْبَحَ نُورَ الْحَقِّ مَنِيرَا
مَشْرِقَا ، وَعُودَهُ بَعْدَ الذَّبُولِ أَخْضَرَ مُورِقَا ، وَمَضَى الْبَاطِلَ
مَوْلِيَا أَدْبَارَهُ ، وَمَسْتَصْحَبَا تَتْبِيرِهِ وَبَوَارَهُ ، وَقَضَى
صَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ [وَسَلَّمَ] بَعْدَ أَنْ مَهَّدَ مِنَ الْإِيمَانِ قَوَاعِدَهُ ،
وَأَحْكَمَ أَسَاسَهُ وَوِطَائِدَهُ ، وَأَوْضَحَ سَبِيلَ الْفَوْزِ لِمَنْ
اِقْتَفَاهَا ، وَلَحَبَّ طَرِيقَهَا بَعْدَ مَا دَثَرَتْ صُورَاهَا ، فَصَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ ، وَصَحَبِهِ الْأَكْرَمِينَ ، صَلَاةً
مُتَّصِلَةً سَحَّ غَمَامِهَا ، مَسْفِرَا صُبْحِ دَوَامِهَا .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى أَنْ صَارَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَدَبِ (٢)
النَّبِوَةِ مَا هُوَ أَجْدَرُ بِحِيَازَةِ فَخْرِهِ ، وَأَوْلَى بِفَيْضِ
غَدْرِهِ (٣) ، وَوِطَاءَ لَهُ مِنَ الْخِلَافَةِ الْمَعْظَمَةِ مَهَادَا أَحْفَزْتَهُ
نَحْوَهُ حَوَافِزِ ارْتِيَاحِهِ ، وَجَذْبَتَهُ إِلَيْهِ أَزْمَةُ رَاعِهِ وَاِكْتِبَاحِهِ (٤)
إِلَى أَنْ أَدْرَكَ مِنْ ذَلِكَ مُنَاهُ ، وَأَلْقَى الْاِسْتِقْرَارَ الَّذِي لَا يَرِيمُ
عِصَاهُ ، وَعَضَّدَ دَوْلَتَهُ بِالتَّأْيِيدِ مِنْ سَائِرِ أَنْحَائِهِ وَمَرَامِيهِ ،

(١) فِي الْأَصْلِ : إِنَارَةُ الْغَوَايَةِ .

(٢) فِي صَبِيحِ الْأَعْيَشَى : أَنْ حَازَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ إِرْثِ النَّبِوَةِ .

(٣) فِي صَبِيحِ الْأَعْيَشَى : بِحِيَازَةِ مَجْدِهِ وَأَوْلَى بِفَيْضِ عَدِهِ .

(٤) فِي صَبِيحِ الْأَعْيَشَى : وَالتَّيَاحَةَ .

وأغراضه ومغازيه ، حتى فاقت الدول المتقدمة إشراقا ،
وأعطتها الحوادث من التغيير عهدا وفيا وميثاقا ، وأصبحت
أيامه أدامها الله حالية بالعدل أجيادها ، جائلة (١) في
ميادين النضارة جياؤها ، وراح الظلم دارسةً أطلاله ،
مقلّصا سرباله ، قد أنجمَ سحابه ، وزمّت للرحلة ركابه ،
فما يستمر منها أمرٌ إلا كان صنْعُ الله سبحانه
مؤيِّده ، والتوفيق مصاحبه أنى يمّمَ ومُسَدِّده ، وهو يَسْتَوِزِعُه
جلّت عظمتُه (٢) شكر هذه النعمة ، ويستزيده بالتحدث بها
من آلائه الجَمَّة ، ويستمدّ منه المعونة في كل أرب
قصده وأمّه ، وشحد لانتحائه عزمه ، وما توفيقه إلا بالله
عليه يتوكل وإليه ينيب .

ولما كانت الوزارة قُطْبُ الأمور الذى عليه مدارها ،
وإليه إيرادها وعنه إصدارها ، وخلا منصبها ممن كان (٣)
يكون لها أهلا ، وينظم من جماله لها شملا (٤) أجال
أميرُ المؤمنين فيمن يختار لذلك فكره ، وأنعم لأهل
الاصطفاء لهذه (٢٤٣) المنزلة نظره ، حتى صرّح مَحْضُ

(١) في صبح الأعشى : جالية .

(٢) في صبح الأعشى : من كان يكون .

(٣) في الأصل : عصته

(٤) في صبح الأعشى : من شماله شملا .

رأيه عن زُبدة اختيارك ، وهداهُ صائب تدبيره إلى اقتراحك وإيثارك ، فألقى إليك المقاليد ، وعول في دولته القاهرة على تدبيرك السيد ، وناظ بك من أمر الوزارة ما لم يُلَفِّ له سواك مستحقًا ، ولا لمتسّم استيجابه مُترقى (١) ، علما بما تبيده كفايتك المشهورة ، وإيالتك المخبورة ، من تقويم ما أعجز مياده ، وصلاح ما استشرى فسادُه ، واستقامة كلِّ حال وهى عمادها ، وأصلد (٢) على كثرة الاقتداح زنادها ، وتثبيتاً لما تبتم عنه الأيام من آثار نظرك المُعربة عن احتوائك على دلائل الجزالة ، واستيلائك على مخايل الأصالة ، اللذين تُنال بهما غايات المعالي ، وتُفرع الذرّ والأعلى .

ثم إن أمير المؤمنين بمقتضى هذه الدعاوى اللازمة ، وحرّمت جدك وأبيك السالفة المتقدمة ، التى استحصدت في الدار العزيزة قوى أمراسها ، وأذنت (٣) منك الآن ثمرة غراسها ، رأى أن يُشيد هذه العارفة التى تآرج لديك نسيمها ، وبدت على أعناق نحرِك رؤومها ، وجادت رباعك

(١) في صبح الأعشى : ولا نسيم استيجابه مسترقا .

(٢) في صبح الأعشى : وأصلت .

(٣) في الأصل : أنراسها وأذنت .

شَابِيْبُهَا ، وَصَفَتْ عَلَيْكَ جَلَابِيْبُهَا ، بِمَا يَزِيْدُ أَزْرَكَ اشْتِدَادَا ،
وَبَاعَ أَمَلِكَ طَوْلًا وَامْتِدَادَا ، فَأَدْنَاكَ مِنْ شَرِيْفِ حَضْرَتِهِ
مُنَاجِيَا ، وَمَنْعَكَ مِنْ مَزَايَا الْأَيَّامِ مَا يَكْسِبُكَ ذِكْرًا فِي
الْأَعْقَابِ سَارِيَا ، وَعَلَى الْأَحْقَابِ بَاقِيَا ، وَأَفَاضَ عَلَيْكَ مِنْ
الْمَلَابِسِ الْفَاخِرَةِ مَا حَزَتْ بِهِ أَوْصَافَ الْجَمَالِ ، وَجَمَعَ
لَكَ أَبَادِيْدَ الْأَمَالِ ، وَقَلَّدَكَ مِنَ الْفَخْرِ مَا يَدُومُ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ
وَيَبْقَى ^(١) ، وَأَمْطَاكَ صَهْوَةَ سَابِحِ يَشَاءُ الرِّيَّاحِ سَبْقًا ،
وَوَسْمَكَ بِكَذَا وَكَذَا - فِي ضَمْنِ التَّاهِيْلِ لِلتَّكْنِيَةِ -
إِبَانَةً عَنِ جَمِيْلِ مَعْتَقَدِهِ فِيكَ ، وَرِعَايَةِ لَوْسَائِلِكَ الْمُحْكَمَةِ
الْمَرَاتِرِ وَأَوَاخِيْكَ .

وَأَمَرَكَ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي هِيَ أَحْصَنُ الْمَعَاقِلِ ، وَأَعَذَبَ
الْمَنَاهِلِ ، وَأَنْفَعُ الذَّخَائِرِ ، يَوْمَ (٢٤٣ ب) تُبْلَى السَّرَائِرُ ،
وَأَنْ تَسْتَشْعِرَهَا فِيمَا تَبْدِيهِ وَتُخْفِيهِ ، وَتَذَرُهُ وَتَأْتِيْهِ ،
فَإِنَّهَا أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ وَأَوْجِبُهَا [وَأَوْضَحَ الْمَسَالِكَ إِلَى الْفَوْزِ
بِرِضَا اللَّهِ وَالْحُبُّهَا] ، وَأَجْلَبُ الْأَشْيَاءِ لِلسَّعَادَةِ الْبَاقِيَةِ ،
وَأَجْنَاهَا لِقَطُوفِ الْخَيْرَاتِ ^(٢) الدَّانِيَةِ ، عَلَمَا بِمَا فِي ذَلِكَ

(١) هذه الجملة في صبح الأعشى مقتضبة مضطربة

(٢) في صبح الأعشى : لقطوف الجنان الدانية .

من نفع تتكامل أقسامه ، وتتفتح عن نور الصّلاح
الجامع أكمامه (١) .

قال الله جلّت آلاؤه ، وتقدّست أسماؤه ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى
مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ
لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢) وقال تعالى حاضبا على تقواه ، ومُخبرا
عما خصّ به مُتّقيه وحبّاه ، وكفى بذلك رائدا (٣)
إليها ، وباعثا عليها ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٤) .

وأمرك أن تتوخى المقاصد السليمة وتأتّيها ، وتتوقّى (٥)
الموارد الوخيمة وتجتويها ، وأن تشفع (٦) بالحزم أفعالك ،
وتجعل كتاب الله تعالى إمامك الذي تهتدى به ومثالك ،
وأن تكفّ من نفسك عند جماحها وإبائها ، وتصدّها
عن متابعة أهوائها ، وتثنى عند احتدام سورة الغضب

(١) في الأصل : الجامعة كمامه .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٣٣

(٣) في صبح الأعشى : داعيا إليها .

(٤) سورة التوبة الآيتان ٤ ، ٧

(٥) في صبح الأعشى : وتتوخم .

(٦) في صبح الأعشى : وأن تتبع .

عَنَانَهَا ، وَتُشْعِرُهَا مِنْ حَمِيدِ الْخَلَائِقِ مَا يُوَافِقُ إِسْرَارَهَا فِيهِ
إِعْلَانَهَا ، فَإِنَّهَا لَمْ تَزَلْ إِلَى مَنْزِلَةِ السُّوءِ الْمُرْدِيَةِ دَاعِيَةً ،
وَعَنْ سُلُوكِ مَنَاهِجِ الْخَيْرِ الْمُنْجِيَةِ نَاهِيَةً ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى
﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ
رَحِيمٌ ﴾ (١) .

وَأَمْرٌ أَنْ تُنْجِزَ (٢) لِلْخِدْمَةِ بَيْنَ يَدَيْكَ مِنْ بَلَوَاتٍ
أَخْبَارِهِ ، وَاسْتَشْفَقَتْ أَسْرَارِهِ ، فَعَلِمْتَهُ جَامِعًا أَدْوَاتِ
الْكَفَايَةِ ، مَوْسُومًا بِالْأَمَانَةِ وَالذَّرِّيَّةِ ، وَعَرَكْتَهُ رَحَا
التَّجَارِبِ عَرَكِ الثُّفَالِ ، وَحَلَبَ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ عَلَى تَصَارِيفِ
الْأَحْوَالِ ، لِيَكُونَ أَمْرٌ مَا تَوَلَّاهُ عَلَى مِنْهَجِ الاستِقَامَةِ
جَارِيًا ، وَعَنْ مَلَابِسِ الْخَلْلِ وَالْإِرْتِيَابِ عَارِيًا ، فَلَا يَضَعُ
فِي مَزْلَقَةٍ قَدَمًا ، وَلَا يَأْتِي مَا يَقْرَعُ سِنَّهُ لِأَجَلِهِ نَدَمًا ، وَأَنْ
تَمْنَحَ رَعَايَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَشْرِكَ مَا يَعْقِلُ شِوَارِدَ الْأَهْوَاءِ ،
وَيَلْوِي إِلَيْهِ بِأَعْنَاقِ نَوَافِرِهَا اللَّاتِي اعْتَصَمْنَ بِالْجَمَاحِ
وَالْإِبَاءِ ، مَازَجًا ذَلِكَ بِشِدَّةِ (٢٤٤ |) تَسْتَوِي حُمِيًّا رَهْبَتِهَا
عَلَى الْقُلُوبِ ، وَتَفُؤُّ مَرْهَفَاتِ بِأَسْهَائِهَا صَرْفَ الْخُطُوبِ ، مِنْ

(١) سورة يوسف الآية ٥٣

(٢) في صبح الأعشى : تنخير .

غير إفراط في إستدامة ذلك يضيق بها على الطالب وسِعُ
مَذْهَبِهِ ، وبغيرها اتصَّالُهُ باستشعار وَعَرَّ الخَطَأِ واستيطاء
مَرْكَبِهِ .

وأمرُك أَنْ تُعَذِّبَ مواردَ الإحسانِ لمن أَحْمَدَتَ بلاءه ،
وتحققت غنائه ، واستحسنت أثره ، وارتضيت عيَّانَه
وخبره ، وتُسدلُ أَسْمالَ الهوانِ على من بَلَوتَ فعله ذمِّمَا ،
وَأَلْفَيْتَه بِعِراضِ الإِسْأَةِ مُقِيمَا ، وإِلى رَبِّاعِهَا المَوْحِشَةَ
مُسْتَأْنَسَا مُسْتَدِيمَا ، كَيْلًا لِكُلِّ امْرِئٍ بِصَاعِهِ ، وَأَتْبَاعَا
لِما أَمَرَ اللهُ تَعَالَى بِاتِّبَاعِهِ ، وَتَجَنُّبًا لِلإِهْمَالِ الجاعِلِ المُحْسِنِ
والمُسِيءِ سَوَاءً ، والمُعِيدِهُمَا في مَوْقِفِ الجِزَاءِ أَكْفَاءً ، فَإِنَّ
في ذَلِكَ تَزْهِيدًا لِدَوَى الحُسْنَى في الإِحْسَانِ ، وَتَتَابِعًا لِأَهْلِ
الإِسْأَةِ في العِدْوَانِ ، وَلِوَلَا ما فَرَضَهُ اللهُ تَعَالَى على المُؤْمِنِينَ
مِنَ إِيجَابِ الحُجَّةِ ، وَالْفِكَاكِ مِنْ رِبْقَةِ الاجْتِهَادِ بِبِلاغِ
المَعْدِرَةِ ، لثَنَى عِنانِ الإِطالَةِ مُقْتَصِرَا ، وَاكْتَفَى بِبَعْضِ
القَوْلِ مُخْتَصِرَا ، ثِقَّةً بِامْتِناعِ سِدَادِكَ وَنَهَاكَ ، أَنْ رَأَى
صِوابَ الفِعْلِ حَيْثُ نَهَاكَ ، وَاسْتِنامَةَ إِلى ما خَوَّلَكَ اللهُ مِنْ
الرَأْيِ الثاقِبِ ، المُطَّلِعِ مِنْ خِصائِصِ البِدِيهَةِ على مُحتَجِبِ
العِواقِبِ .

فارتبط يا فلان هذه النعمى التى جادت ديمها مغايبك ،
 وحققت الأيام بمكانها أمانيك ، بشكر ينطق به لسان
 الاعتراف ، فيؤمن وحشى النعم من النفسار والانحراف ،
 واسلك فى جمال السيرة والاقتراء بهذه الأوامر المتينة (١)
 المذكورة جرداً يغرى بحمدك الألسنة ، ويعرب عن كونك
 من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، والله يصدق مخيلة
 أمير المؤمنين فيك ، ويوزعك شكر ما أولاك ويوليك ، ويجعل
 الصواب غرضاً لنبال عزائمه ، ويذود عن دولته القاهرة كتائب
 الخطوب بصوارم السعد ولهاذمه ، ويصل أيامه الزاهرة بالخلود ،
 ويبسط على أقاصى الأرض ظلّه الممدود ، ما (٢٤٤ ب)
 استهل جفن الغيث المدرار ، وابتسمت ثغور النوار ،
 إن شاء الله تعالى .

الأسلوب الثالث

أن يفتح ما يكتب بخطبة مبتدأة بالحمد لله ، وهو
 أسلوب نادر الوقوع فيما كتب به عن الخلفاء ، لم يعرف
 منه إلا ما تقدم ذكره من عهد الملك الكامل محمد بن

(١) فى صبح الأعمى : المينة .

العادل أبي بكر بن أيوب بمملكة الديار المصرية ،
على ما تقدم في عهد الخلفاء للملوك في الفصل الأول
من هذا الباب ، إلا أنه كان قد استقرَّ عليه اصطلاح
الفاطميين بالديار المصرية .

وعليه أورد على بن خلف مثل ما يُكتب عنهم في
الولايات ، وتبعهم ملوك الديار المصرية من بني أيوب ،
فمن بعدهم على ذلك ، على ما هو معروف في ذلك .

ولما استقلَّ الإمام المستعين بالله أبو الفضل العباس
بالخلافة والسلطنة جميعاً ، عند القبض على الناصر فرج ،
كتب عنه كما كان يكتب عن الملوك قبله ، لم يختلف
الحال في ذلك إلا^(١) في الألقاب السلطانية ، فكان
يقال : فلذلك رسم بالأمر الشريف العالی المولويّ الإماميّ
النبويّ المستعينيّ ، ثم بطل ذلك بانتقال السلطنة عنه ،
ورجع الأمر في ما يكتب إلى السلطان إلا في الأمور
الخاصة بالخلافة .

(١) في الأصل : لا في الألقاب .

وهذه نسخة تفويض شريف

كتب به عن الإمام المعتضد بالله خليفة العصر الموضوع له هذا الكتاب ، بتفويض نظر الجامع الجديد بمصر للمقرّر الناصريّ محمد بن البارزى كاتب السر الشريف بالممالك الإسلامية ، من إنشاء الشيخ الإمام علامة الدهر تقيّ الدين بن حجة . وهى :

الحمد لله الذى جعل التفويض العباسى متصلاً بمحمد ، ونفد (١٢٤٥) أحكام الخلافة الداوودية قديماً وحديثاً إلى أن تسلسل حديثها المسند ، وعضد الإسلام والمسلمين بمعتضد ما قام فى نصرة بيته إلا من هو مؤيد ، نحمده على أن أتحننا من هذا البيت بكل أمين على الأمة ورشيد ، ونشكره على أن أقام له بعد أبى مسلم أبا النصر فأمسى وهو بأركان الشرف مشيد .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تجمع بين حسن النظر والشهادة ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى هو جامع شمل هذه الأمة وقبالتها وسراجها المنير للعبادة ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه

الذين تَمَسَّكُوا بطيب أثره ، وتَبَصَّرُوا بحسن نظره ،
صلاة تُعَلَى منارَ الشهادتين في جوامع الكلم بَرَكَّتْهَا ،
وتعلو في جوامع الأمصار بمحمد كَلِمَتُهَا ، ما سجع على
أفنانِ المنابر ساجع وغرَّد ، وأعلن تحت العلمين (١)
العباسية بقرب المعتضد من محمد ، وسلّم تسليمًا .

وبعد ، فإن سجايا الكرم في آل بيت النبي ما برحت
لعقود المنائح خلاصة ، وكيف لا وهو الذي أنزل
بأَكْنافِهِ وَيُؤَثِّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ (٢)
لا سيما بنو العباس فإن شجرتهم التي أصلها ثابت
وفرعها في السماء نعم الخلف ، وما منهم إلا واثق بالله
ومتوكل على الله ومعتضد به وهذا غاية الشرف ، فمن أخذ
عنهم حديثا في أمر بيت من بيوت الله فقد ظفر بحسن
نظرٍ وفضلٍ جامع ، فإن البيت والحديث لهم بغير منازع ،
فلا مَعْبَدٌ إِلَّا وله الطَّربُ عند جَسِّ عيدانِ المنابر بأوصافهم
المشهوره ، ولا خائف من عصاة الأمة إلا داسَ بساط الطاعة
في جوامعهم ودخل تحت أعلامهم المنشورة ، فمن قصد

(١) هكذا في الأصل .

(٢) سورة الحشر الآية ٩

القُرْب إليه فقد فاز بأعظم قُرْبَة ، لا سيما إن نَهَل من سقايتهم نَهْلَةً فإنه لم يجد بعدها في المناهل منهلاً مستعذبا للمحبة ، وكان الجناب الكريم العالی (٢٤٥ ب) القاضى الكبيرى السفيرى الناصرى محمد بن البارزى الجهمى الشافعى صاحب دواوين الإنشاء الشريف بالممالك الشريفة المحروسة الإسلامية - ضاعف الله تعالى نعمته - هو الركن السامى فى قواعد بيتنا الشريف ، والمنتصب لرفع علمه العباسى حتى تَفِيَّأَ كُلُّ قَائِلٍ بِظَلِّهِ الْوَرِيفَ ، والملاحظ بعين سرِّه الذى هو فى نسبنا أبداع من بديع النسيب ، والسرِّ المحمدى ما برح لبني العباس فيه حظٌّ ونصيب ، والمساعد بعد عمارة بيتنا فى عمارة بيت الله الذى صار بحُسنِ نظره قرير العَيْنَ ، ولقد أبداع فى إنشاءِ نظمها حتى تحقَّقَ الناس أنه أعظم من إنشاءِ نَظْمِ الْبَيْتَيْنِ .

فلذلك رسم بالأمر الشريف العالی المولوى الإمامى المعتضدى ، لازالت تفاويضه الشريفة العباسية محروسة بالأسرار المحمدية ، أن يُفَوِّضَ إِلَى الْمَشَارِإِلَيْهِ نَظْرُ الْجَامِعِ الْجَدِيدِ بِمَصْرِ الْمَحْرُوسَةِ وَوَقَّفِهِ الْمُنْسُوبِ إِلَى السُّلْطَانِ الشَّهِيدِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ بَقَى اللهُ تَعَالَى عَهْدَهُ ، عَلِمًا أَنَّهُ إِنْ شَمِلَ نَظْرَهُ

الجامعَ المصريَّ فقد مدَّ اللهُ هذا النظرَ في سائر
 الأمصار ، ويعلم أنه يصير بحسن مهاجره لموقفه الناصريِّ
 من أعظم الأنصارِ ، ويحق لهذا الجامع أن يقول :
 ما برحتُ بمصر متمسكا من محمد بالآثار ، ولقد
 هام البيتُ العتيق إلى رُويَّةِ هذا البيتِ الجديدِ
 الذي هو بالمدينة الآهلة بالجناب المحمديِّ ودارِ الخلافة ،
 وودَّ الأقصى أن يكون الأدنى إليه ليطالع تفسيره الذي
 يجعل من البحر اغترافه ، وتمنى الأمويُّ أن يطير بأجنحة
 النَّسرِ ليُزوجه بعروسه العالية المنار ، واستصغرتنكزُ نفسه
 عن مقابلة الناصر وأحكم الحاكم وقصر طولون عن
 السبق في هذا المضمار ، وقال الأزهر : هذا بنور النظر
 المحمديِّ أزهَر ، وقال الأقرم هذا بالطلعة البارزيَّة أقرم ،
 فليتلَّق حديثَ هذا التفويض عن (٢٤٦ ١) أبي الفتح
 عن أبي النصر ويتبرَّك بسنده العالی ، ويملي ما أخذه
 من شواهد المحبة عن المعتضد عن المؤيد لا عن القالی ،
 وليُباشِر ذلك على ماعهد من أدواته التي ما نُسبت إلى غير
 الكمال ، فإن الخلل لم ينظر إليه بعينه من خلال ،
 والوصايا كثيرة ولكنه بحمد الله أبو عُذرتها ، وابنُ

بجَدَّتْهَا وَجُهَيْنَةَ أَخْبَارَهَا ، وَكَاتَبَ أَسْرَارَهَا ، وَاللَّهُ تَعَالَى
يَمُدُّ فُرُوعَ أُصُولِهِ حَتَّى تَسْتَظِلَّ الْأُمَّةُ بِظِلِّ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ،
وَيَفْتَحُ لَهُ أَبْوَابَ الْخَيْرِ بِأَبِي الْفَتْحِ فَإِنَّ أَبْوَابَ الْعِلْمِ
لَدَيْهِ مُخَرَّرَةٌ ، وَيَدِيمُ عَلَى بَيْوتِ اللَّهِ بِالْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ
نَظْرَهُ ، وَالْإِعْتِمَادُ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ ، حُجَّةٌ بِمَقْتَضَاهُ ،
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الأسلوب الرابع

أَنَّ يَفْتَحُ مَا يَكْتُبُ بِلَفْظِ : أَحَقَّ ، أَوْ : أَوْلَى ،
أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ ، وَبِذَلِكَ كَانَ يُكْتُبُ فِي تَوَاقِيْعِ صِغَارِ
الْوَالِيَّاتِ .

وهذه نسخة ^(١) توقيع من ذلك

كتب به عن الإمام الناصر لدين الله للقاضي محيي الدين
ابن فضلان بتدريس المدرسة النظامية ببغداد ، في سنة
أربع عشرة وستمائة وهي :

أَحَقُّ مِنْ أُفِيضَتْ عَلَيْهِ مَجَاسِدُ النَّعْمِ ، وَجُدِبَ بِضَبْعِهِ
إِلَى مَقَامِ التَّنْوِيهِ وَتَقَدَّمَ الْقَدَمَ ، مِنْ أَسْفَرِ فِي أَقْضِيَّةِ

(١) صبح الأعشى - ١٠ ص ٢٩٢

الفضائل صباحه ، وانتشر في العالم علمه وأزهر مصباحه .
ولما كان الأجل الأوحى العالم ، محي الدين ، حجة
الإسلام ، رئيس الأصحاب ، مفتي الفريقين ، مفيد
العلوم ، أبو عبد الله محمد بن يحيى بن فضالان أدام الله
رفعته ، ممن نظم فرائد المحامد عقده النصيد ، وأوى من العلم
والعمل إلى ركن شديد ، وثبتت قدمه من الديانة على
مُستثبتٍ راسخ وقرار مهيد ، رثى (٢٤٦ ب)
التعويل في تفويض التدريس بالمدرسة النظامية
إليه ، ثقة باضطلاع واستقلاله ، وتبريزه في حلقات
الاستباق على نظرائه وأمثاله ، وأسند إليه أدام الله رفعته
النظر في أوقاف المدرسة المذكورة بأجمعها ، واعتماد
ما شرطه الواقف في مصارفها وسبلها ، سُكونا إلى كفايته ،
وركونا إلى سداه وأمانته .

ورسم له تقديم تقوى الله تعالى التي ما زال مُنتهجاً
لطرائقها ، مستمسكا بعصمها ووثائقها ، وأن يشرح
صدره للمتعلمين ، ولا يأخذه ضجرة من المستفيدين ،
ولا تعدو عيناه عن الطالبين ، ولا يتبرم بالمبالغة في تفهيم
المبتدى ، ولا يغفل عن تذكير المنتهى ، فإنه إذا

احتمال هذه المشقة ، وأعطى كل تلميذ حقه ، كان الله تعالى كفيلاً بمعونته ، بحسب ما يعلمه من حرصه عليهم وإخلاص نيته ، وليكن بسائر المتفهمة مُعْتَمِياً رفيقاً ، وعليهم حديباً شفيقاً ، يُفَرِّعْ لهم من الفقه ما وضح وتسهّل ، ويبين لهم ما التبس من غوامضه وأشكاله ، حتى تستنير قلوبهم بأضواء علوم الدين ، وتنطلق ألسنتهم فيها باللفظ الفصيح المبين ، وتظهر آثار بركاته في مرآشده وتبين ، وتُتَوَقَّرْ همته في عمارة الوقف واستنمائها ، والتوفر على كل ما عاد بتزايدها وزكائها ، بحيث يتضح مكان نظره فيها ، ويبلغ الغاية الموفية على من تقدّم ويوفّيها ، ولا يستعين إلا بمن يُؤدّي الأمانة ويوفّيها ، ويقوم بشرائط الاستحفاظ ويكفيها ، وهو أدام الله رفعتَه يجرى من عوائد المدرّسين والمتولّين على أوفى معهود ، ويرقى (١) فيه إلى أبعاد مُرتقى ومقام محمود ، وأذن له في تناول إيجاب التدريس ، ونظر الوقوف المذكورة أسوة من تقدّمه في التدريس والنظر في الموقوف ، على كل ما شرطه الواقف في كل وِرْدٍ وصَدْرٍ ، واعتماد كل ما حدّ له في ذلك ومثله من غير تجاوز .

(١) في صبح الأعشى : ويسمى به .

(٢٤٧) الأسلوب الخامس

أن يفتح ما يكتب بلفظ : هذا كتاب ، ثم يقال :
أما بعد فالحمد لله ، ويؤتى بخطبة مناسبة للحال ، وربما أتى
فيها بثلاث تحميدات ، ثم أتى على المقصود إلى آخره .
وعلى ذلك كان يكتب لزعماء أهل الزمة من البطارقة
ونحوهم .

وهذه نسخة توقيع من ذلك^(١)

كتب به أمين الدولتين ابن موصلاً عن القائم بأمر
الله لعبد يسوع^(٢) الجاثليق الفطرك^(٣) بمدينة السلام وسائر
البلدان في ربيع الأول سنة سبع وستين وأربع مائة وهي :
هذا كتاب أمر بكتبه عبد الله أبو جعفر عبد الله
الإمام القائم بأمر الله أمير المؤمنين لعبد يسوع الجاثليق
الفطرك .

أما بعد فالحمد لله الواحد بغير ثان ، القديم لا عن
وجود زمان ، الذي قصرت صنيعه الأوهام ، عن إدراكه

(١) صبح الأعشى . ج ١٠ ص ٢٩٤

(٢) كتب في صبح الأعشى : عبد يسوع .

(٣) في كتب اللغة : البطرك

وحرارتُ، وضلّت صنيعة الأفهام، عن بلوغ مدى صفاته
 وحالتُ، المتنزه عن الولد والصاحبة، العاجزة عن إحاطة
 العلم به دلائل العقول الصافية الصائبة، ذى المشيئة
 الحالية بالمضاء، والقدرة الجارية عليها تصارييف القدر
 والقضاء، والعظمة الغنيّة عن العون والظهير، المتعالى
 بها عن الكفء والنظير، والعزة المكتفية عن العُضد
 والنصير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١).
 والحمد لله الذى اختار الإسلام دينا وارتضاه، وشام
 به عَضْب الحق على الباطل وانتضاه، وأرسل محمدا
 صلى الله عليه وسلم منقدا من إشراك الضلالة، وكاشفا عن
 الإيمان ما غمره من الإِشْرَاق وَأَظْلَمَهُ، وبعثه مَاحِياً أَثَر
 الكفر عن القلوب والأسماع، وناحياً فى اتِّبَاع
 ما جَدَّ فى البِدَار (٢٤٧ ب) إليه والإِسْرَاع، وأدلى
 ما حملة أَحْسَن الإِدْلَاء (٢)، وداوى بمعجزة النبوة من
 النفوس مُعْضَل الداء، ولم يزل لأعلام الهدى مبينا،
 ولجباثل الغيِّ حاسما مبينا، إلى أن خَلَصَ الحق وَصَفَا،
 وغدا الدينُ من أَضْداده مُنتَصفا، واتضح للحائر سَنَنُ

(١) سورة الشورى الآية ١١

(٢) هو كذلك فى صبح الأعيى، وصوب: وأدى... الأداء.

الرَّشَدَ ، وانقاد الأبيُّ باللين والأشدَّ ، فصلى الله عليه وعلى آله الطاهرين ، وأصحابه المنتخبين ، وخلفائه الأئمة الراشدين ، وسلّم تسليماً .

والحمد لله الذي استخلص أمير المؤمنين من أزكى الدوحة والأرومة ، وأحلّه من عز الإمامة ذروةً للمجد غير مَرومة ، وأصار إليه من تراث النبوة ما حواه بالاستحقاق والوجوب ، وأصاب به من مرامى الصلاة ما حُميت شمسُه من الأفول والوجوب ، وأولاه من شرف الخلافة ما استقدم به الفخر قلبى ، واستخدم معه الدهر فيما تآبى ، ومنبح أيامه من ظهور العدل فيها وانتشاره ، ولقّاح حوائل (١) الإنصاف فيها ووضع عشاره ، ما فضل به العصور الخالية ، وظلّت السير متضمنة من ذكرها ما كانت من مثله عارية خالية ، وهو يستديمه سبحانه المعونة على ما يُقرب لديه ويُزلفُ عنده ، ويستمدّه التوفيق الذى يغدو لعزائم الميمونة أوفى العُضدِ والعُدّة ، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوسل وإليه ينيب .

وأمير المؤمنين مع ما أوجب الله تعالى عليه من اختصاص

(١) في صبح الأعشى : « حوامل » هذا والحوائل جمع حائل وهى كل أنثى لا تحمل .

رعاياه بأكنافه الذى يمدُّ عليهم رواقها ، ويردُّ بها إلى
أغصان صلاحهم أوراقها ، ويُلقى على أجيادهم عقودها ،
ويقى رياح ائتلافهم ركودها ، يرى أن يولى أولى الاستقامة
من أهل ذمته ضروب الرأفة وصنوفها ، وأقسام العاطفة
الدافعة عنهم حوادث الغيرِ وصروفها ، بمقتضى
عهودهم القويّة القوي ، وذمتهم التي يلزم أن يُحافظ
عليها أهل العدل والتقوى ، ويعتمدون من الصّون (١)
الغامر ، (١٢٤٨) والإجمام المضاهى الآنف منه الغابر ،
بما قنص (٢) يد الضمير وكفه ، ويُفيض عليهم من
الملاحظة كلِّ ما حسم الضير دونهم وكفه (٣) ، وأن
يحتويهم (٤) من الحيطة بما يحرس رسومهم المستمرة من
أسباب الاختلال ، ويُجرّهم فيها على ما سنّه السلف
الصالح معهم من مألوف السجيا والخلال .
ولمّا أنهى إلى حضرة أمير المؤمنين تمييزك عن نظرائك ،
وتحلّيك من السداد بما يستوجب معه أمثالك المبالغنة في
وصفك وإطرائك ، وتخصّصك بالأنحاء التي فتّ فيها

(١) في صبح الأعشى : الضرر .

(٢) في صبح الأعشى : بما يقبض .

(٣) جملة : « ويفيض عليهم ... وكفه » غير موجودة في صبح الأعشى .

(٤) في صبح الأعشى : وأن يجوبهم .

شَأْوَ أَقْرَانِكَ ، وَأَفَدْتَ بِهَا مَا قَصَّرَ مَعَهُ مُسَاجِلُكَ مِنْ أَبْنَاءِ
جِنْسِكَ أَنْ يَعْدِلَكَ فِي مِيزَانِكَ ، وَمَا عَلَيْهِ أَهْلُ نِحْلَتِكَ مِنْ
حَاجَتِهِمْ إِلَى جَائِلِيْقِ كَافِلٍ بِأُمُورِهِمْ ، كَافٍ فِي سِيَاسَةِ
جُمْهُورِهِمْ ، مُسْتَقِلٌّ بِمَا يَلْزِمُ الْقِيَامُ بِهِ ، غَيْرٌ مُقِلٌّ بِمَا
يَتَعَيَّنُ مِثْلُهُ فِي أَدْوَاتِ مَنْصِبِهِ ، وَأَنْ كُلًّا مَنْ يُرْجَعُ إِلَيْهِ
مِنْهُمْ لَمَّا تَصَفَّحَ أَحْوَالَ مُتَقَدِّمِي دِينِهِمْ وَاسْتَشَفَّ ،
وَأَعْمَلَ الْفِكْرَ فِي اخْتِيَارِ الْأَرْجَحِ مِنْهُمْ وَالْأَشَفِّ ،
وَاتَّفَقُوا مِنْ بَعْدِ عَلَى إِجَالَةِ الرَّأْيِ الَّذِي أَفَاضُوا بَيْنَهُمْ
قَدَاحَهُ ، وَرَاضُوا بِهِ زَنْدَ الْاجْتِهَادِ إِلَى أَنْ يُورَى حِينَ رَامُوا
اِقْتِدَاحَهُ ، فَلَمْ يَصَادَفُوا مَنْ هُوَ بِالرِّيَاسَةِ عَلَيْهِمْ أَحَقُّ
وَأَحْرَى ، وَلِلشَّرْطِ الْمَوْجِبَةِ التَّقْدِيمَ فِيهِمْ أَجْمَعِ وَأَخْوَى ،
وَعَنْ أَمْوَالِ وَقُوفِهِمْ أَعْفَ وَأَوْرَعِ ، وَمَنْ نَفْسَهُ لِدَاعِيِ
التَّحَرُّى فِيهَا أَطْوَعِ وَأَتْبَعِ ، مِنْكَ ، اخْتَارُوكَ لَهُمْ رَاعِيَا ،
وَلَمَّا يَشُدُّ نِظَامَهُمْ مَلَاخِظًا مَرَاعِيَا ، وَسَأَلُوا إِمْضَاءَ نَصَبِهِمْ
عَلَيْكَ وَالْإِذْنَ فِيهِ ، وَإِجْرَاءَ الْأَمْرِ فِيمَا يَخْصُكَ أَسَدَّ مَجَارِيهِ ،
وَتَرْتِيْبِكَ فِيمَا أَهْلَتْ لَهُ وَحَمَلَتْ ثِقْلَهُ ، وَاخْتِصَاصِكَ عَلَى مَنْ
تَقَدَّمَكَ مِنَ الْأَضْرَابِ بِمَزِيدٍ مِنَ الْإِرْعَاءِ وَالْإِيْجَابِ ، وَحَمْلِكَ
وَأَهْلَ نِحْلَتِكَ عَلَى الشَّرْطِ الْمَعْتَادَةِ ، وَالرُّسُومِ الَّتِي إِمْضَاءُ الشَّرِيعَةِ
لَهَا أَوْفَى الشَّهَادَةِ ، رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْإِجَابَةَ إِلَى مَا وُجِّهَتْ

إليه فيه الرغبة ، واستخارة الله تعالى (٢٤٨ ب) في كل عزم يُطلق شباهُ ويُمضى غرْبُه ، مقتديا فيما أسداه إليك وأسناه من النعمة (١) لديك ، بأفعال الأئمة الماضين ، والخلفاء الراشدين ، صلوات الله عليهم أجمعين ، مع أمثالك من الجئالقة الذين سبقوا ، وفي مقامك اتسقوا ، وأوعزوا بترتيبك جائلقا لنسطور النصرارى بمدينة السلام وسائر البلاد والأصقاع وزعيما لهم وللروم واليعاقبة طرًا ، ولكل من تحويه ديار الإسلام من هاتين الطائفتين من بها يستقر وإليها يظرا ، وجعل أمرك فيهم ممثلا ، وموضعك من الرياسة عليهم متاثلا ، وأن تنفرد بالتقدم على هذه الطوائف أجمع ، ليكون قولك فيما يجيزه الشرع الشريف فيهم يُقبل وإليك في أحوالهم يُرجع ، وأن تتميز بأهبة الزعامة في مجامع النصرارى ومُصَلِّيَاتِهِمْ عامة ، من غير أن يشركك فيها أو يشاكلك في النسبة الدالة عليها مطران أو أسقف للروم أو اليعاقبة ، لتغدو شواهد ولايتك بالأوامر الإمامية بادية للسامع والناظر ، وآثار قصورهم عن هذه الرتبة التي لم يبلغوها كآفة للمجادل منهم والمناظر ، ومُنَعُوا بِأَسْرِهِمْ عن مساواتك

(١) في صبح الأعشى : أنمه .

في كل أمر هو من شروط الزعامة ورسومها ، والتزيي بما
 هو من علاماتها ورسومها ، إذ لا سبيل لأحدهم أن
 يمد في مباراتك باعه ، ولا أن يخرج عن الموجب عليه
 من الطاعة لك والتباعة ، وحملك في ذلك على ما يدل
 عليه المنشور المنشأ لمن تقدمك ، المضى لك ولكل (١)
 من يأتي بعدك ، المجدد بما حواه ذكر ما نطقت به
 المناشير المقررة في أيام الخلفاء الراشدين ، صلوات الله
 عليهم أجمعين ، لمن تقدمك في مقامك ، وأحرز سبق
 مغزاك ومرامك ، من كون المنسوب في الجئلة إليه الزعامة
 على ما تضمنه ديار الإسلام من هذه الفرق جمعا ، والمنصوص
 عليه في التقديم الذي ليس لغيره من رياضه مرعى ،
 (٢٤٩ ١) وتقدم أمير المؤمنين بحياطتك وأهل نحتك
 في نفوسكم وأموالكم وبيعكم ، ودياركم ومقار
 صلواتكم وحراسة أمواتكم (٢) ، واعتمادكم بأقسام
 الكلاءة على أجمل الرسم معكم ؛ وأن تحموا من
 نقض سنة رضية قررت لكم ، ودحض وتيرة حميدة
 استعملت في فرضكم ، وأن تقبض الجزية من رجالكم

(١) في الأصل ولعل من يأتي .

(٢) في صبح الأعشى : أموالكم .

ذوى القدرة على أدائها بحسب ما جرت به عادتكُم دون
النساء ومن لم يبلغ الحلم دفعة واحدة في السنة ، وتُجروا
في ذلك على السَّجِيَّة التي تناقلها الرواة وتداولتها الألسنة ،
من غير تثنية ولا تكرير ، ولا ترنيق لمنهل المعدلة
عندكم ولا تكدير ، وأن تُحَبِّي بالشَّد دائما وتقوية
يدك على من نَصَبْتَه في أمورهم ناظرا ولشملهم ناظما ،
ويُفَسِّح لك في فصل ما شَجَرَ بينهم على سبيل الوَسَّاطة ،
لتقصد في ذلك ما يَحْسِم دواعي الخُلف وَيَطْوِي بِسَاطِه ،
وَأَنْ تُمْضِيَ تَثْقِيفَك لَهُم وَأَمْرَك فِيهِمْ ، أُسُوءَ ما جرى عليه
الأمر مع من كان قَبْلَكَ يَليهِمْ ، لِتُحَسِّنَ مَعَهُ السَّيْرَةَ العَادِلَةَ (١)
عليهم بِحِفْظِ السَّوَامِ ، المِطَابِقَةَ للشُّرُوطِ السَّائِغَةِ في دِينِ الإِسْلَامِ .
وَأَمْرٍ بِإِنْشَاءِ هَذَا الكِتَابِ مُشْتَمِلًا عَلَى مَا خَصَّصَكَ بِهِ ،
وَأَمْضَى أَنْ تُعَامَلَ بِمُوجِبِهِ ، فَقَابِلُ نِعْمَةٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
عِنْدَكَ بِمَا تَسْتَوْجِبُهُ مِنْ شُكْرٍ تَبْلُغُ فِيهِ المَدَى الأَقْصَى ،
وَبِشْرٍ لَا يُوجِدُ التَّصَفُّحَ لَهُ عِنْدَكَ قُصُورًا وَلَا نَقْصًا ،
وَوَاضِبٍ عَلَى الاعْتِرَافِ بِمَا أُؤَلِّتُهُ مِنْ كُلِّ مَا جَمَلْتَهُ ،
وَصِدْقَ ظَنِّكَ وَأَمْلَكَ ، وَاسْتَزِدَّ الإِنْعَامَ بِطَاعَةِ تَطْوِي عَلَيْهَا
الجَوَانِحَ ، وَأَدْعِيَةَ لآيَامِهِ تُتْبِعُ الغَادِيَ مِنْهَا بِالرَّائِحِ ،

(١) رَضِعَ هَامِشٌ فِي صَبْحِ الأَعْشَى نَصَهُ : لَعَلَّهُ العَائِدَةُ . تَأَمَّلْ .

وتجنَّب التقصير فيما بك عُدِق ،^(١) وإليك وُكِلَّ
وعليك عُلِّق ، واحتفظ بهذا الكتاب جُنَّةً تمنع عنك
رَيْب الدهر وَغَيْرَهُ ، وَحُجَّةً تَحْمِلُ فِيهَا عَلَى مَا يَحْمِي
مَا مُنِحْتَهُ مِنْ كُلِّ مَا شَعْنَهُ وَغَبَّرَهُ ، وَلِيَعْمَلَ بِهَذَا الْمِثَالِ
كافة المطارنة والأساففة والقسيسين ، والنصارى أجمعين ،
وليَعْتَمِدُوا (٢٤٩ ب) من أتباعه كُلِّ مَا يَسْتَحِقُّهُ تَقْدِيمُكَ
على الجماعة ، وَلِيَثِقُوا بما يغمرهم من المعاطف^(٢)
الحامية سِرْبُهُمْ من التفريق والإضاعة ، إن شاء الله تعالى .
تنبية : قد ذكر محمد بن عمر المدائني أنه كان
يكتب للأمرء في قرطاس من نصف طومار وللععمال
والكتَّاب في قرطاس من ثلث طومار ، وللتجار وأشباههم
في قرطاس من ربع طومار ، وللحساب والمُسَّاح في
قرطاس من سدس طومار ، وقد تقدم أن المراد بالطومار
قَطْع البغدادى الكامل ، ولا يخفى أن المناسب لقطع
النصف قلم الثلث الخفيف ، ولقطع الثلث قلم الكوفة ،
ولما دون ذلك قلم الرقاع .

(١) عدق يده : أدخلها في نواحي البئر أو الحوض ونحوهما كأنه يطلب شيئاً . وكأنه يراد
هنا تجنب التقصير فيما طلب أن يكون فيك .

(٢) في صبح الأعشى : العاطفة .

الباب الخامس

فيما كان يكتب عن الخلفاء من الإقطاعات وتحويل
السنين وإلزام أهل الذمة الشرائط اللازمة لهم وفيه [ثلاثة
فصول] .

الفصل الأول

فيما كان يكتب عنهم من الإقطاعات ، وقد كان
عاداتهم فيه أن يكتب : هذا كتاب من عبد الله فلان
الإمام الفلاني . ويأتي على المقصد إلى آخره من إقطاع
استغلال ، وهو الذي يؤخذ فيه خراج الأرض ورقتها
باقية لبيت المال ، أو إقطاع تملك ، وهو أن يملك الأرض
ويقرر عليه قطعة تؤخذ منها لبيت المال ، وتسمى هذه :
المقاطعة .

والأصل في ذلك ما رواه الحافظ بن عساكر في « تاريخ
الشام » بسنده إلى أبي قائد (١) الداري أن النبي صلى الله
عليه وسلم أعطاه أرضاً بفلسطين ، وكتب له بها كتاباً

(١) في صبح الأعشى : بسنده إلى زياد بن فائد عن أبيه فائد عن جده زياد ابن أبي هند عن
أبي هند الداري انظر صبح الأعشى - ٢٣ ص ١١٨

في قطعة من آدم ، وهو ، بعد البسمة : هذا ذكْرُ ما وَهَبَ
محمد رسول الله للدَّارِيِّين إِذَا أَعْطَاهُ اللهُ الأَرْضَ . وَهَبَ لَهُمْ
بَيْتَ عَيْنُونِ وَحَبْرُونَ وَبَيْتَ إِبرَاهِيمَ بَيْنَ فِيهِنَّ لَهُمْ أَبْدًا .
شَهِدَ عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَجُهَيْمٌ ^(١) بَنُ قَيْسٍ وَشُرْحَبِيلُ
ابْنُ حَسَنَةَ . وَكَتَبَ . فَلَمَّا هَاجَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
إِلَى الْمَدِينَةِ كَتَبَ لَهُمْ بِذَلِكَ كِتَابًا .

وَنَسَخْتَهُ ^(٢)

هَذَا مَا أَنْطَى مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَمِيمَ
الدَّارِيَّ وَأَصْحَابَهُ ، إِنْ أَنْطَيْتَكُمْ عَيْنُونَ ^(٣) وَحَبْرُونَ .
(٢٥٠) وَالرُّطُومَ وَبَيْتَ إِبرَاهِيمَ بِرُمَّتِهِمْ وَجَمِيعَ مَا فِيهِمْ ،
نَطِيَّةً بَتًّا وَنَفَذْتُ وَسَلَّمْتُ ذَلِكَ لَهُمْ وَلَأَعْقَابَهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ
أَبَدَ الأَبَدِ ، فَمَنْ آذَاهُمْ فِيهَا آذَاهُ اللهُ .

شَهِدَ أَبُو بَكْرُ بْنُ أَبِي قَحَافَةَ ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ
وَعِثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَمَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي
سَفْيَانَ [وَكَتَبَ] .

(١) في صحيح الأعمش : جهم « وفي الهامش نقلًا عن السيرة الحلبية ص ٣٩٦ - ٣ خزيمية » .

وانظر الإصابة : جهم بن قيس ... أبو خزيمية ويقال له جهم بالتصغير

(٢) صحيح الأعمش - ١٣ ص ١٢٠

(٣) كتب في الأصل : عين .

وفي رواية : إنما كتب أولاً : هذا كتاب من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لثميم بن أوس الداري ، إن له قرية حبرا وبيت عينون (١) قريتها كلها ، سهلها وجبلها ماءها وحرثها (٢) وأنباطها وبقرها ولعقبه من بعده ، لا يُحَاقُّه فيها أحد ، ولا يَلِجُه عليهم أحدٌ بظلم ، فمن طلبهم (٣) أو أخذ من أحدهم شيئا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين [وكتب علي] .

وروى الحافظ ابن منده نحوه (٤) ، فصار ذلك أسلوبا ينسج على منواله .

قلت : ويقال : إن الرقعة موجودة عند التميميين ببلد الخليل (٥) إلى الآن في رقعة آدم .

وهذه نسخة مقاطعة (٦)

كتب بها أبو إسحاق الصابي عن المطيع لله بإقطاع أرضٍ إقطاع تملك وهي :

(١) في الأصل : « عينوا » والتصويب من صبح الأعشى - ١٣ ص ١٢١

(٢) في صبح الأعشى : وحرثها

(٣) في صبح الأعشى : فمن ظلمهم .

(٤) انظر نصه في صبح الأعشى - ١٣ ص ١٢٢

(٥) في صبح الأعشى : خدام حرم الخليل .

(٦) صبح الأعشى - ١٣ ص ١٢٣ - ١٣١

هذا كتاب من عبد الله الفضل الإمام المطيع لله أمير
المؤمنين لفلان بن فلان .

إنك رفعت قصتك تذكر حال ضيعتك المعروفة بكذا
وكذا [من رُستاق كذا وكذا] من طسوج كذا وكذا ، وأنها
أرض رقيقة قد نزل عليها (١) الخراب ، وانغلق أكثرها
بالسدّ والدغل ، وأن مثلها لا [تتسع يد الليالي للإنفاق
عليه وقلب بالاسله (٢) واستخراج سدوده وقفل أرضه
ولا] يرغب الأكرة في ازدراعه والمعاملة فيه ، وإن أمير
المؤمنين مقاطعك (٢) عن هذه الضيعة على كذا وكذا من
الورق المرسل في كل سنة ، على استقبال سنة كذا وكذا
الخراجية ، مقاطعة مؤبّدة ، ماضية مقررة نافذة ، يُستخرج
مالها في أول المحرم من كل سنة ، ولا تُتبع بنقض ولا
يتأول فيها متأول ، ولا تُعترض في مستأنف الأيام ما اجتهدت
في عمارتها وتكلفت الإنفاق عليها (٢٥٠ ب) ، واستخراج
سدودها ، وتنقية (٣) أراضيها واحتفار سواقيها واجتلاب

(١) في صبح الأعشى : قد توالى عليها .

(٢) في الأصل : وإنه يأمر المؤمنين بمقاطعك . .

(٣) في صبح الأعشى : وقفل

الأكرة إليها ، وإطلاق البذور والتقاوى فيها ، وإرغاب
المزارعين بتخفيف طُسُوقها [بحق الرقبة] ومقاسماتها ،
وكان في ذلك توفيرٌ لحق بيت المال وصلاح [ظاهر] لا يخلت .

وسألت أمير المؤمنين الأمرَ بذلك والتقدم به والإسجال
لك به ، وإثباته في ديوان السواد ودواوين الحضرة وديوان
الناحية ، وتصويره ماضياً لك ولعقبك وأعقابهم [ومن لعل
هذه الضيعة أو شيئاً منها ينتقل إليه ببيع أو ميراث
أو صدقة أو غير ذلك من ضروب الانتقال] فإن أمير المؤمنين
بإيثاره الفلاح ^(١) واعتماده أسبابه ، ورغبته فيما عاد
بالتوفير على بيت المال ، والعمارة والترفيه للرعية ،
أمرنا بالنظر فيما ذكرته ، واستقصاء البحث عنه ،
ومعرفة وجه التدبير ، وسبيل الحظ فيه ، والعمل بما يوافق
الرشد في جميعه ، فرُجع إلى الديوان في تعرف ما حكَّيته
من أحوال هذه الضيعة ، فأنفذ منه رجلاً مختاراً ثقةً
مأموناً من أهل الخبرة بأمور السواد وأعمال الخراج ،
قد عرف أمير المؤمنين أمانته وديانته ، وحكمه ^(٢)

(١) في صبح الأعشى : الصلاح .

(٢) في صبح الأعشى : وعلمه .

ومعرفته ، وأمره بالمصير إلى هذه الناحية وجمع (١)
أهلها من الأدلاء والأكرة والمزارعين [وثقات الأمناء]
والمجاورين والوقوف على هذه الأقرحة ، وإيقاع المساحة
عليها وكشف أحوال غامرها وعامرها ، والمسير على
حدودها ، وأخذ أقوالهم وآرائهم في وجه صلاح
وعماره قراح قراح منها ، وما يوجبه صواب التدبير
فيما التمسته من المقاطعة بالمبلغ الذي بذلته ، وذكرت أنه
زائد على الارتفاع ، والكتاب بجميع ذلك إلى الديوان
ليوقف عليه وينهى إلى أمير المؤمنين لينظر فيه ، فما
صبح عنده منه أمضاه ، وما رأى الاستظهار على نظر
الناظر فيه استظهر فيما يرى منه ، حتى يقف على حقيقته ،
ويُرسم بما يُعمل عليه .

فذكر ذلك الناظر أنه وقف على هذه الضيعة ، وعلى
سائر أقرحتها وحدودها ، وطافها (٢) بمشهد من أهل الخبرة
بأحوالها (٢٥١) من ثقات الأدلاء [والمجاورين]
والأكرة والمزارعين [والأمناء] الذين يرجع إلى أقوالهم [ويعمل

(١) في الأصل وجمع .

(٢) في صبح الأعشى : ونطاقها .

عليها [فوجد مساحة بطون الأفرحة المزدرعة من جميعها ،
دون سواقيها وبرورها وتلالها ومُستنقعاتها وما لا يُعتمد
من أرضها ، بالجَزيب الهاشمي الذي تُمسح به الأرض
في هذه الناحية كذا وكذا جَرِيباً ، منها قراح كذا وكذا (١)
وقراح كذا وكذا ، ومنها [الحصن و] البيوت والساحات
[والقراحت] والخزانات ، ووجد حالها في الخراب والانسداد
وتكدّر (٢) العمارة والحاجة إلى عظيم المعرفة ومفرط
النفقة (٣) ، على ما حكيتَه وشكوتَه ، ونظر في مقدار
أصل [هذه الخزانات من] هذه الضيعة وما يجب عليها
وكيفية (٤) الحال في ذلك .

ونظر أمير المؤمنين فيما رفعه هذا المؤمن المُنفذ من
الديوان ، واستظهر فيه بما يراه من الاستظهار ، ووجب
عنده من الاحتياط ، فوجد ما رفعه صحيحاً صحّة عرفها
أمير المؤمنين وعلمها ، وقامت في نفسه وثبتت عنده ،

(١) في صبح الأعشى : منها جميع القراح المعروف بكذا وكذا .

(٢) في صبح الأعشى : وتعدر العمارة .

(٣) في صبح الأعشى عظيم المثونة ومفرط النفقة

(٤) في صبح الأعشى : وكشف الحال .

ورأى إيقاع المقاطعة التي التمسَّتها على حق بيت المال في هذه الضيعة ، فقاطعك عنه في كلِّ سنة هلائية ، على استقبال سنة كذا وكذا الخراجية ، على كذا وكذا ، درهما صحاحا مرسله بغير كسر (١) ، ولا حقَّ حرب ولا جهبذة ، ولا محاسبة ولا زيادة ، ولا شيء من جميع المؤمن وسائر التوابع (٢) والرسوم ، تُؤدَّى في أول المحرم كلِّ سنة حسب ما تُؤدَّى المقاطعة ، مقاطعة ماضية مُؤبَّدة ، نافذة ثابتة ، على مضيِّ الأيام ، وكرور (٣) الأعوام ، لا تُنقض ولا تُفسخ ولا تُتبع ، ولا يتأول فيها ، ولا يُعتبر (٤) ، على أن يكون هذا المال ، وهو من الورق المرسل كذا وكذا في كل سنة ، مُؤدَّى في بيت المال ، ومصححا عند من تُورد عليه في هذه الناحية أموال خراجهم ومقاطعاتهم وجباياتهم ، لا يُعتلُّ فيها بأفة (٥) تلحق الغلات سماوية ولا أرضية ، ولا بتعطل أرض

(١) بعدها في صبح الأعشى كلمة غير واضحة في أصله عليها استفهام وهذه الكلمة لا توجد في كتابنا هذا . وصور تهافيه « ولا كمانه »

(٢) في صبح الاعشى : وسابق التوابع .

(٣) في صبح الأعشى : ولزوم الأعوام .

(٤) في صبح الأعشى : « ولا تغيّر » وهو الأترب للصواب .

(٥) في الأصل : لا تقبل فيها آفة .

ولا بقُصورِ عمارة ، ولا نُقصانِ رَيْع ، ولا بانحطاط
سعر ، ولا بتأخّرِ قَطْر ، ولا تشرُّبِ علة^(١) ، ولا (٢٥١ ب)
حَرَقَ ولا سَرَقَ^(٢) ، ولا بغيرِ ذلك من الآفات بوجه
من الوجوه ، ولا بسبب من الأسباب ، ولا يحتجُّ في
ذلك بحجة يحتج بها [التُّناء و]^(٣) المزارعون وأرباب
الخراج في الالتواء بما عليهم ، وعلى أن لا يدخل عليك
في هذه المقاطعة يدُ ماسِح ولا مُحَمَّن ولا حازِر [ولا مقدَّم
ولا أمين ولا حاظِر] ولا ناظر [ولا] متتبع [ولا متعرف
لحال زراعة وعمارة] ولا كاشف لأمر زرع وغلة ، ماضيا
ذلك لك ولعقبك من بعدك ، وأعقابهم وذريتك وذريتهم^(٣)
أبدا ما تناسلوا ، ولمن عسى أن تنتقل هذه الأقرحة أو شيء
منها إليه بإرث أو بيع أو هبة ، أو نحل أو صدقة
أو وقف أو مُناقلة أو إجازة أو مُهاياة أو تملك أو إقرار ،
أو بغير ذلك من الأسباب التي تنتقل بها الأملاك من
يد إلى يد ولا يُنقَض ذلك ولا شيء منه ، ولا يُغَيَّر

(١) في صبح الأعشى : ولا يشرب غله .

(٢) في صبح الأعشى : شرق .

(٣) زيادة الكلمة من صبح الأعشى وقد وضع عليها علامة استفهام فيه . والتناء هم سكان البلد .

(٤) في صبح الأعشى ورثتك وورثتهم .

ولا يُفسخ ولا يُزال ولا يُبدل ، ولا يُعقب ولا يُعترض
فيه بسبب زيادة عمارة ولا ارتفاع سعر ولا وفور غلة
ولا زكاء ريع ولا إحياء موات ، ولا أعمال^(١) مُعطل
ولا عمارة خراب ، ولا استخراج غامر ، ولا صلاح
سرب^(٢) ولا استحداث غلات لم يجر الرسم باستحداثها
وزراعتها ، ولا يُعد ولا يُمسح ما عسى أن يُغرس بهذه
الأقرحة من النخل وأصناف الشجر المعدود والكروم ،
ولا يتأول عليك فيما لعل أصل المساحة أن تزيد به فيما
تعمره وتستخرجه من [الجباين و]^(٣) المُستنقعات
ومواضع المشارب المستغنى عنها ، إذ كان أمير المؤمنين
قد عرف جميع ذلك ، وجعل ما يجب على كل شيء منه
عند وجوبه داخلا في هذه المقاطعة وجاريا معها^(٤) .

وأمر أمير المؤمنين بإثبات هذا الكتاب في الدواوين ،
وإقراره في يدك حجة لك ولعقبك من بعدك وأعقابهم

(١) في صبح الأعشى ولا اعتمال .

(٢) في صبح الأعشى شرب .

(٣) فسرت الجباين في صبح الأعشى بأنها الصحرى .

(٤) بعد هذا في صبح الأعشى زيادة طويلة مقدارها فيه ثلاث صفحات من ص ١٢٧ - ١٣٠

إلى ص ١٣٠

وورثتك وورثتهم ، وثيقةً في أيديكم ، وفي يد من عسى
أن تنتقل هذه الضيعة أو الأقرحة أو شيء منها إليه بضرب
من ضروب الانتقال التي ذكرت في هذا الكتاب ، والتي
لم تُذكر فيه ، وأن لا يخلفوا إيراداً من بعده (١) ،
ولا يتأول عليكم متأول فيه .

فمن وقف (٢٥٢) على هذا الكتاب أو قرأه أو
قُرئ عليه ، من جميع الأمراء وولاة العهود والوزراء
والكتاب والعمال والمشرفين والمتصرفين والمباشرين (٢)
في أمور الخراج ، وأصحاب السيوف على اختلاف
طبقاتهم ، وتباين منازلهم وأعمالهم ، فليمثل ما أمر به
أمير المؤمنين وليُنفذ لفلان بن فلان ، وورثته وورثتهم ،
وعقبه وأعقابهم ، ولن تنتقل هذه الأقرحة أو شيء
منها إليه ، هذه المقاطعة ، من غير مراجعة فيها ،
ولا استثمار عليها ، ولا تكليف أحد ممن يقوم بأمرها
إيراد حجة بعد هذا الكتاب بها ، وليعمل بمثل ذلك من
وقف على نسخة من نسخ هذا الكتاب في ديوان من

(١) في صبح الأعشى : وأن لا تكلفوا إيراد [حجة] من بعده .

(٢) في صبح الأعشى : والناظرين في الخراج .

دواوين الحضرة وأعمالها أو الناحية ، ولْيُقَرَّ في يد فلان بن فلان ويد من يُورده ويحتجُّ به ، ممن يقوم مقامه ، إن شاء الله تعالى .

تنبيهه - قد تقدم عن محمد بن عمر المدائني أنه كان يكتب للأمراء في قرطاس من نصف طومار ، وأن المراد نصف قطع البغدادى ، ومقتضى ذلك أن إقطاعاتهم كانت تكتب في هذا القطع ، ومَنْ دونهم من الجند كُلُّ منهم بحسب رتبته .

الفصل الثاني

من الباب الخامس

فيما كان (١) يكتب في تحويل السنين الخراجية عن الخلفاء ، وهو أن يكتب بنقل السنة الشمسية إلى السنة الهلالية بالاسم دون الحقيقة ، توفيقاً بينهما ، وإزالةً للشبهة في أمرهما ، وذلك أن أيام السنة الشمسية في المدة التي تقطع الشمسُ الفلكَ فيها مرةً واحدة حسب ما تُوجبه حركتها في ميلها في الجنوب والشمال ثلاثمائة وخمسة

(١) انظر صبح الأعشى ج ١٣ ص ٥٤

وستون يوماً وربع يوم بالتقريب ، وأيام السنة
 الهلالية في المدة التي يقطع القمر الفلك فيها
 اثنتي عشرة دفعة ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً وسدس
 يوم ، فيكون التفاوت بينهما أحد عشر يوماً وسدس
 يوم ، وتكون زيادة السنين الشمسية على السنين الهلالية
 في كل ثلاث سنين شهراً واحداً وثلاثة أيام ونصف يوم
 تقريباً ، وفي كل ثلاث وثلاثين سنة سنة واحدة بالتقريب ،
 فإذا تَمَادَى الزمان زاد تفاوت ما بين السنين حتى يكون
 كل ثلاثمائة سنة (٢٥٢ ب) شمسية ثلاثمائة وتسع
 سنين هلالية ، وعليه حَمَلَ بعضُ المفسرين قوله تعالى
 ﴿ وَكَلَبُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثِ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾ (١)
 وربما كان استحقاق الخراج في أول سنة من السنين العربية ،
 ثم تراخى الحال فيها إلى أن صار استحقاقه في أواخرها ،
 ثم تراخى حتى يصير في السنة الثانية ، فيصير الخراج
 منسوباً للسنة السابقة واستحقاقه في السنة اللاحقة ، فيحتاج
 حينئذ إلى تحويل السنة الخراجية السابقة إلى التي بعدها ،
 حتى انتهت الحال في جباية الخراج سنة إحدى وأربعين

(١) سورة الكهف الآية ٢٥

ومائتين في خلافة المتوكل وخراج كل سنة يجبي في السنة
التي بعدها ، فلما دخلت سنة اثنتين وأربعين ومائتين كان
قد انقضى من السنين التي قبلها ثلاث وثلاثون سنة ،
أولهن سنة ثمان ومائتين من خلافة المأمون . فاجتمع من
[هذا] المتأخر فيها أيام سنة شمسية كاملة وهي ثلاثمائة
 وخمسة وستون يوماً وربع يوم وزيادة الكسر . وتتهيأ
إدراك غلات سنة إحدى وأربعين ومائتين في صدر سنة
اثنتين وأربعين [ومائتين] فأمر المتوكل بإلغاء ذكر سنة
إحدى وأربعين ومائتين إذ كانت قد انقضت ونُسب
الخراج إلى سنة ثنتين وأربعين ومائتين ، وأمر إبراهيم بن
العبّاس فكتب كتاباً عنه بذلك ، وهو أول كتاب كُتب
في هذا المعنى . ولم أقف على نسخته .

وجرى العمل بعد المتوكل على ذلك سنة بعد سنة .
إلى أن انقضت ثلاث وثلاثون سنة . آخرهن انقضاء سنة
أربع وسبعين ومائتين . فجرى فيها خبطٌ بين الكتاب ،
وبقى الأمر إلى سنة ثمان وسبعين ومائتين في خلافة المعتضد .
فعرّف ما كان من فعل المتوكل من نقل سنة إحدى وأربعين
ومائتين إلى سنة اثنتين وأربعين ومائتين . فأمر بنقل

سنة ثمان وسبعين ومائتين إلى سنة تسع وسبعين ومائتين ،
وكان هذا النقل بعد مُضَيِّ أَرْبَع سنين من استحقاقه ،
وكتب بذلك كتاب^(١) عن المعتضد وخُلد في الدواوين .

ونسخته (٢) (٢٥٣) أما بعد ، فإن أَوْلَى ما صرف
إليه أمير المؤمنين عنايته ، وأعمل فيه فكره ورويته ،
وشغل فيه تفقُّده (٣) ورعايته ، أمرُ الفَيء الذي خصه الله
به ، وألزمه جمعه وتوفيره ، وحياطته وتكثيره ، وجعله
عماد الدين وقوام (٤) أمر المسلمين ، وفيما يُصرف منه
أعطيات الأولياء والجنود ، ومن يستعمل به فيه
لتحصين البيضة والذب عن الحريم ، وحج البيت ،
وجهاد العدو ، وسد الثغور ، وأمن السبيل ، وحقق الدماء ،
وصلاح ذات البين ، وأمير المؤمنين يسأل الله راغبا إليه ،
ومتوكلا عليه ، أن يُحسن عونه على ما حمَّله منه ، ويديم
توفيقه [إلى ما أَرْضاه] ، وإرشاده إلى ما يقضى بالخير
عنه وله .

(١) في الأصل : كتابا .

(٢) صبح الأعشى ج ١٣ صفحة ٦٣

(٣) في الأصل : مفتحة .

(٤) في الأصل : وقيام .

وقد نظر أمير المؤمنين فيما كان يجرى عليه أمرُ جباية هذا الفىء في خلافة آباءه الخلفاء الراشدين صلوات الله عليهم ، فوجده على حسب ما كان يُدرك من الغلّات والثمار في كل سنة أولاً على مجارى [شهور] سنَى الشمسِ في النجوم التي يَحِلُّ مالُ كلِّ صنف منها فيها ، ووجد شهور السنة الشمسية تتأخّر عن شهور السنة الهلالية أحد عشر يوماً وربعا وزيادةً عليه ، ويكون إدراك الغلّات والثمار في كلِّ سنة بحسب تأخرها .

فلا تزال السنون تمضى على ذلك سنة بعد سنة ، حتى تنقضى منها ثلاث وثلاثون سنة ، ويكون عدد الأيام المتأخرة منها أيام سنة شمسية كاملة ، وهى ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم وزيادةً عليه ، فحينئذ [يتهيأ] بمشيئة الله وقدرته إدراك الغلّات التي تجرى عليها الضرائب والطسوق في استقبال المحرم من سنَى الأهلّة ، ويجب مع ذلك إلغاء ذكّر السنة الخارجة ، إذ كانت قد انقضت ، ونسبتهأ إلى السنة التي أدركت الغلّات والثمار فيها ، وإنه وجد ذلك قد كان وقع في أيام أمير المؤمنين المتوكل على الله رحمةً الله عليه عند انقضاء ثلاث

وثلاثين سنة (٢٥٣ ب) آخرتهن سنة إحدى وأربعين ومائتين ، فاستغنى عن ذلك ، وأمر بإلغائه ، ونسبه إلى سنة اثنتين وأربعين ومائتين ، فجرت المكاتب والحسابات وسائر الأعمال بعد ذلك سنة بعد سنة ، إلى أن مضت (١) ثلاث وثلاثون سنة آخرتهن انقضاء سنة أربع وسبعين ومائتين [ووجب إنشاء الكتب بإلغاء ذكر سنة أربع وسبعين ومائتين] (٢) ونسبتها إلى سنة خمس وسبعين ومائتين ، فذهب ذلك على كتاب أمير المؤمنين المعتمد على الله ، وتأخر الأمر فيه أربع سنين . إلى أن أمر أمير المؤمنين المعتضد بالله [رحمه الله] في [سنة سبع وسبعين ومائتين بنقل خراج سنة ثمان وسبعين ومائتين إلى] سنة تسع وسبعين ومائتين ، فجرى الأمر على ذلك ، إلى أن انقضت في هذا الوقت ثلاث وثلاثون سنة أولاهن السنة التي كان يجب نقلها فيها ، وهي سنة خمس وسبعين ومائتين ، وآخرتهن انقضاء شهور خراج سنة سبع وثلاثمائة ، ووجب افتتاح [خراج] ما تجرى

(١) في الأصل : بقيت .

(٢) هذه الزيادة أيضا خلا منها أصل صبح الأعيى وزادها محققوه من المقرئى - ١ ص ٢٧٧ وقالوا إنها لازمة لاستقامة الكلام .

عليه الضرائب والطرُوق في أولها . من صواب التدبير
 واستقامة الأعمال واستعمال ما يَخِفُّ على الرعية معامَلَتُها
 به نَقْلُ سنة الخراج لسنة سبع وثلاثمائة إلى سنة ثمان
 وثلاثمائة ، فرأى أمير المؤمنين - لما يُلْزَمُ به نفسه
 ويأخذها (١) به من العناية بهذا الفِء ، وحياطة ،
 أسبابه ، وإجرائها مجاريها ، وسلوك سبيل آبائه الراشدين
 رحمة الله عليهم فيها - أَنْ يُكْتَبَ إِلَيْكَ وَإِلَى سَائِرِ الْعَمَالِ
 بِالنَّوَاحِي بِالْعَمَلِ عَلَى ذَلِكَ ، وَيَكُونُ مَا يَصْدُرُ [إِلَيْكُمْ]
 مِنَ الْكُتُبِ وَتُصَدِّرُونَهُ عَنْكُمْ وَتَجْرِي عَلَيْهِ [أَعْمَالِكُمْ
 وَ] رُفُوعِكُمْ وَحُسْبَانَاتِكُمْ وَسَائِرُ مَنَاطِرَاتِكُمْ عَلَى هَذَا
 النَّقْلِ .

فاعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين ، واعمل به ،
 مستشعرا فيه وفي كل ما تمضي به تقوى الله وطاعته ، ومستعملا
 ثِقَاتِ الْأَعْوَانِ وَكِفَاتِهِمْ (٢) مُشْرِفًا عَلَيْهِمْ وَمَقُومًا لَهُمْ ،
 وَاكْتَبَ بِمَا يَكُونُ مِنْكَ فِي ذَلِكَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ولم يزل الأمر جاريا على ذلك في كل ثلاث وثلاثين

(١) في صبح الأعشى : لما يلزمه نفسه ويؤاخذها به .

(٢) في الأصل : ثقات أعوان كفاتهم .

سنةً تُنقلُ سنةً . إلى آخر الدولة العباسية بالعراق .
قلت : أما الديار المصرية فقد ذكر صاحب « المنهاج
(١٢٥٤) في صنعة الخراج « أن أول نقل (١) السنين
فيه كان في سنة تسع وتسعين وأربعمائة الهلالية .
وكتب فيها كتاب من إنشاء القاضي الفاضل (٢) ،
وهي مستمرة على النقل في كل ثلاث وثلاثين سنة إلى
زماننا هذا يكتب بها عن السلطان .

الفصل الثالث

من الباب الخامس

فيما كان يكتب عن الخلفاء في إلزام أهل الذمة
ما يلزمهم بشريطة عقد الذمة وأخذهم بذلك .
وأول ما كتب بذلك في خلافة المتوكل على الله بن
[المعتصم بن] هارون الرشيد وذلك (٣) أنه حج فسمع رجلا
يدعو عليه ، فهمم بقتله ، فقال له الرجل : والله يا أمير المؤمنين

(١) صبح الأعشى - ١٣ ص ٦٠

(٢) انظر صبح الأعشى - ١٣ ص ٧١

(٣) صبح الأعشى - ١٣ ص ٣٦٦

ما قلتُ ما قلتُ إلاَّ وقد أيقنتُ بالقتل ، فاسمع مقالى ثم
مُرُّ بقتلى ، فقال : قل . فشكَّا إليه استطالةَ كُتَّابِ
أهل الذمة على المسلمين ، فى كلام طويل ، فخرج أمرُ
أمير المؤمنين المتوكل بأن يلبس النصارى واليهود ثياب
العسليِّ وأن لا يُمكنُوا من لبس البياض كى لا يتشبهوا
بالمسلمين ، وأن تكون رُكْبُهُم خَشَبًا ، وأن تهدم بيْعُهُم
المُستجدَّة وأن تُطلَق عليهم الجزية ، ولا يُفَسَّح لهم فى دخول
حمامات [خدمها من] المسلمين ، وأن تفرد لهم حمامات
[خدمها] من أهل الذمة ، وأن لا يستخدموا مسلما فى
حوائجهم ، وأفردهم بِمَنْ يَحْتَسِب عليهم . وأمر أن
يُكتب بذلك كله كتابا فُكِّت .

وهذه نسخته (١)

أما بعد فإن الله تعالى اصطفى الإسلام ديننا ، فشرَّفه
وكرَّمه ، وأناره ونصَّره وأظهره ، وفضله ، وأكمله
فهو الدين الذى لا يقبل غيره ، قال الله تعالى ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ
غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ
الَّذِينَ خَسِرُوا ﴾

(١) صبح الأعمى - ١٣ ص ٢٦٧

(٢٥٤ ب) الخَاسِرِينَ ﴿ (١) بعث به صِفِيه وخيرته من خلقه محمدا صلى الله عليه وسلم ، جعله خاتم النبيين ، وإمام المتقين ، وسيد المرسلين ﴿ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿ (٢) وأنزل كتابا عزيزا ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿ (٣) أسعد به أمته وجعلهم خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله ﴿ ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ﴿ (٤) وأهان الشرك وأهله ووضعهم وصغرهم ، وقمعهم وخذلهم وتبرأ منهم ، وضرب عليهم الذلة والمسكنة وقال ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿ (٥) واطَّلَعَ ﴿ (٦)

(١) سورة آل عمران الآية ٨٥

(٢) سورة يس الآية ٧٠

(٣) سورة فصلت الآية ٤٢

(٤) سورة آل عمران الآية ١١٠

(٥) سورة التوبة الآية ٢٩

(٦) في الأصل : وطبع .

على قلوبهم وخبث سرائرهم وضمائرهم ، فنهى عن
 ائتمانهم والثقة بهم ، لعداوتهم للمسلمين ، وغشهم
 وبغضائهم فقال ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةَ
 مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ
 الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفَى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا
 لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (١) وقال [تعالى]
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ
 الْمُؤْمِنِينَ [أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا ﴾ (٢)
 وقال تعالى ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ
 الْمُؤْمِنِينَ [وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ
 تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾ (٣) وقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
 لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ
 وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
 الظَّالِمِينَ ﴾ (٤)

(١) سورة آل عمران الآية ١١٨

(٢) سورة النساء الآية ١٤٤

(٣) سورة آل عمران الآية ٢٨

(٤) سورة المائدة الآية ٥١

وقد انتهى إلى أمير المؤمنين أن أناسا لا رأى لهم ولا روية يستعينون بأهل الذمة في أفعالهم ، ويتخذونهم بطانة من دون المسلمين ، ويسلّطونهم على الرعية فيعسفونهم ويَبْسُطون أيديهم إلى ظلمهم وغشهم والعدوان عليهم ، فأعظم أمير المؤمنين ذلك ، وأنكره وأكبره ، وتبرأ منه ، وأحب التقرب إلى الله تعالى بحسبه والنهي عنه ، ورأى أن يكتب إلى عماله (٢٥٥) على الكور والأمصار ، وولاية الثغور والأجناد ، في ترك استعمالهم [لأهل] الذمة في شئ من أعمالهم وأمورهم ، والإشراك لهم في أمورهم (١) وأماناتهم ، وما قلدهم أمير المؤمنين واستحفظهم إياه ، إذ جعل في المسلمين الثقة في الدين ، والأمانة على إخوانهم المؤمنين ، وحسن الرعاية لما استرعاهم ، والكفاية لما استكفوا ، والقيام بما حملوا . بما أغنى عن الاستعانة من (٢) المشركين بالله ، المكذبين برسله ، الجاحدين لآياته ، الجاعلين معه إلها آخر لا إله إلا هو وحده لا شريك له .

ورجاء أمير المؤمنين - بما ألهمه الله من ذلك وقذف في

(١) لا توجد هذه اللفظة في صبح الأعشى .

(٢) كذا هي أيضا في أصل صبح الأعشى وزاد المحققون : [بأحد] من المشركين .

قلبه - جزييل الثواب ، وكريم المآب ، والله تعالى يعين
أمير المؤمنين على نيته على تعزيز الإسلام وأهله ، وإذلال
الشرك وحزبه .

فَلتَعَلَّمْ هذا من رأى أمير المؤمنين ولا تستعن^(١) بأحد من
المشركين وأنزل أهل الذمة منازلهم التي أنزلهم الله بها ؛
واقراً كتاب أمير المؤمنين على أهل أعمالك وأشعه فيهم
ولا يعلم أمير المؤمنين أنك استعنت ولا أحد من عمالك
وأعوانك بأحد من أهل الذمة فى عمل الإسلام .

قلت : ثم لم يزل الخلفاء بعد المتوكل يتداولون كتابة
مثل ذلك فى كل زمن ويشددون فيه حتى أن المقتدر بالله
فى سنة خمس وتسعين ومائتين عزل كتاب النصارى
وعمالهم ، وأمر بأن لا يستعان بأحد من أهل الذمة ،
وقتل بعض النصارى وكتب إلى عماله بها .

نسخته (٢)

عوائد الله عند أمير المؤمنين تومى على عادة^(٣) رضاه ،

(١) فى صبح الأعشى : فلتعلم هذا ولا تستعن .

(٢) صبح الأعشى - ١٣ ص ٣٦٨ - ٣٦٩

(٣) فى صبح الأعشى : على غاية رضاه .

ونهاية أمانيه ، وليس أحدٌ يُظْهِرُ عصيانه إِلَّا جعله اللهُ
عِظَةً لِلْأَنَامِ ، وبَادَرَهُ بِعَاجِلِ الاِصْطِلاَمِ ، واللهُ عزيز
ذو انتقام ، فمن نَكَثَ وطغى وبغى ، وخالف أمير
المؤمنين ، وخالف محمداً صلى اللهُ عليه وسلم ، وسَعَى
فِي إِفْسَادِ دَوْلَةِ (٢٥٥ ب) أمير المؤمنين ، عَاجَلَهُ أميرُ
المؤمنين بسطوته ، وطَهَّرَ من رجسه دَوْلَتَهُ ، وَالْعَاقِبَةُ
لِلْمُتَّقِينَ .

وقد أمر أمير المؤمنين بترك الاستعانة بأحد من أهل
الذمة ، فليحذر العمال تجاوز أمر أمير المؤمنين ونواهيته .

وكذلك^(١) وقع في زمن الأمر الفاطمي بالديار المصرية ،
أمر بِكِتَابِ كِتَابٍ عَنْهُ بِالْبَاسِ أَهْلَ الذِمَّةِ الْغِيَارِ وَإِنْزَالِهِمُ
بِالْمَنْزِلَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَنْزِلُوا بِهَا مِنَ الذَّلِّ وَالصَّغَارِ ،
وَأَمَرَ أَنْ لَا يُؤَلَّوْا شَيْئاً مِنْ أَعْمَالِ الْإِسْلَامِ ، وَأَنْ يَنْشَأَ فِي
ذَلِكَ كِتَابٌ يَقِفُ عَلَيْهِ الْخَاصُّ وَالْعَامُّ ، فَكُتِبَ .

وأوله : الحمد لله المعبود في أرضه وسمائه ، والمُجِيبُ
دَعَاءَ مَنْ يَدْعُوهُ بِأَسْمَائِهِ .

(١) صبح الأعشى - ١٣ ص ٣٦٩

وهو كتاب طويل^(١) قص عليهم فيه كل نكال .
وعلى ذلك جرى ملوك الديار المصرية ، إلى أن كان آخر
ما كُتِبَ بمثل ذلك عن الملك الصالح صالح بن السلطان
الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة خمس وخمسين
وسبع مائة^(٢) .

(١) انظره في صبح الأعشى > ١٣ ص ٣٧٠
(٢) في الأصل : وخمسةائة والتصويب من صبح الأعشى > ١٣ ص ٣٧٨ وانظر فيه نص
الخطاب .

الباب السادس

في الكتب الصادرة عن الخلفاء وولاية العهد بالخلافة ،
والكتب الصادرة إلى الخلفاء وولاية العهد من الملوك
ونحوهم ، وفيه فصلان :

الفصل الأول

في الكتب الصادرة عن الخلفاء وولاية العهد .
أما الكتب الصادرة عن الخلفاء
فلكتاب في المكاتبات العامة فيها أربعة مذاهب :

(٢٥٦) المذهب الأول

أن يفتح الكتاب بلفظ : أما بعد ، وربما أتى فيه
بعد البعدية بالتحميد ، إذا كان الكتاب مما يدل على
نعمة ظاهرة من فتح أو غيره ، وقد ينتهي التحميد
إلى ثلثه ، وقد يُقصر فيه على تحميدة واحدة ، وربما
أهمل التحميد ووقع الافتتاح بأما بعد فإن أمير المؤمنين .
والأصل في ذلك أن النبي صلى الله عليهم وسلم كان

يفتتح كتبه بأما بعد ، كما كتب صلى الله عليه وسلم
إلى نصارى نجران (١)

[بسم الله الرحمن الرحيم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب]
أما بعد ، فإنى أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد ،
وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد ، فإن أبيتم
فالعجزية ، فإن أبيتم (٢) فقد آذنتكم بحرب الإسلام (٣) .

وعلى ذلك

كتب (٤) أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه
حين حُصِرَ في داره إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
رضى الله عنه .

أما بعد فقد بلغ السيل الزبى والحزام (٥) الطُّبَيِّين
وطمع في كل من كان يضعف عن نفسه (٦) ، ولم
يغلبك مثل مغلب . فاقبل إلى صديقا كنت أم عدوا

(١) صبح الأعشى - ٦ ص ٢٨١

(٢) في الأصل : فبالجزية فان أبيتكم .

(٣) هي كذلك أيضا في صبح الأعشى وعلق عليها بأن المناسب لها : بحرب والسلام .

(٤) صبح الأعشى - ٦ ص ٣٨٨

(٥) هي كذلك أيضا في أصل صبح الأعشى وأضيف إليه [وجاوز] الحزام .

(٦) زيد على أصل صبح الأعشى [عن الدفع] عن نفسه .

فَإِنْ كُنْتُ مَا كُؤَلًا فَكُنْ خَيْرَ آكَلٍ

وَالْأَى فَاذْرِكْنِي وَلَمَّا أَمَزَّقِ

وعلى مثل ذلك كتب (١) يزيد بن معاوية إلى أهل

المدينة وقد خرجوا عن طاعته :

أما بعد ، فإن ﴿الله﴾ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا
مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ
وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿٢﴾ وإني والله قد لبستكم
فَأَخْلَقْتُكُمْ ، ورفعتكم على رأسي ، ثم على عيني ،
ثم على فمي ، ثم على بطني ، وأيم الله لئن وضعتكم
تحت قدمي لأطأننكم وطأة أقلُّ بها عددكم ، وأترركم
بها أحاديث (٢٥٦ ب) تُنسخ منها أخباركم كأخبار
عاد وثمود .

وعلى هذا الأسلوب

كتب عن المعتصم بالله إلى ملوك الآفاق من المسلمين عند

(١) صبح الأعشى - ٦ ص ٣٩٠

(٢) سورة الرعد الآية ١١

قبض الأفشين على بابك ملك الروم . وهو من الفتوح
العظيمة في الإسلام .

وهذه نسخته (١)

أما بعد ، فالحمد لله الذى جعل العاقبة لدينه ، والعصمة
لأوليائه ، والعز لمن نصره ، والفليح لمن أطاعه ، والحق لمن
عرف حقه ، وجعل دائرة السوء على من عصاه وصدف عنه ،
ورغب عن ربوبيته ، وابتغى إلها غيره ، لا إله إلا الله وحده (٢)
لا شريك له ، يحمده أمير المؤمنين حمداً من لا يعبد غيره ،
ولا يتوكل إلا عليه ، ولا يفوض أمره إلا إليه ، ولا يرجو
الخير إلا من عنده ، والمزيد إلا من سعة فضله ، ولا يستعين
في أحواله كلها إلا به ، ويسأله أن يصلى على محمد عبده
ورسوله ، وصفوته من عباده ، الذى ارتضاه لنبوته ،
وابتعثه بوحيه ، واختصه بكرامته ، فأرسله بالحق شاهداً
ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً .
والحمد لله الذى توجه لأمير المؤمنين بصنعه ، فيسّر له

(١) صحیح الأعشى - ٦ ص ٤٠٠

(٢) في صحیح الأعشى : لا إله إلا هو وحده . . .

أمره ، وصدق له ظنه ، وأنجح له طلبته وأنفذ له
 حيلته ، وبلّغ له بغيته (١) وأدرك المسلمون بثأرهم
 على يده . وقتل عدوهم ، وأسكن روعهم ، ورحم
 فاقتهم . وآنس وحشتهم ، فأصبحوا آمنين مطمئنين
 مقيمين في ديارهم ، متمكنين من أوطانهم . بعد القتل
 والحرق (٢) والتشريد وطول العناء ، وتتابع البلاء ،
 منّا من الله عز وجل على أمير المؤمنين بما خصه به ، وصنعا
 له فيما وفقه لطلبه ، وكرامة زادها فيما أجرى على يده .
 فالحمد لله كثيرا كما هو أهله ، ويرغب إلى الله في تمام
 نعمه ودوام صنعه ، وسعة (٢٥٧) ما عنده بمنه ولطفه .
 ولا يعلم أمير المؤمنين - مع كثرة أعداء المسلمين
 وتكثفهم إياه من أقطاره ، والضغائن التي في قلوبهم
 على أهله ، وما يترصدونه من العداوة ، وينطوون عليه
 من المكيدة . إذ كان هو الظاهر عليهم ، والآخذ منهم -
 عدوًّا كان أعظم بلية ، ولا أجل خطبًا ، ولا أشد طلبًا (٣)
 ولا أبلغ مكيدة ، ولا أرمى بمكروه ، من هؤلاء

(١) في صبح الأعشى : وبلغ له محبته .

(٢) في صبح الأعشى : الخوف

(٣) في صبح الأعشى : ولا أشد كلبًا .

الكفرة الذين يغزوهم المسلمون ، فيستعلون عليهم ،
ويضعون أيديهم حيث شاءوا منهم ، ولا يقبلون لهم
صلحاً ، ولا يميلون معهم إلى موادة ، وإن كانت لهم
على طول الأيام وتصرف الحالات وبعض ما لا يزال يكون
من فترات ولاة الثغور أدنى دولة من دولات الظفر وخُلُسة
من خُلُس الحرب ، كان مالهم (١) من خوف العاقبة في
ذلك مُنْعَصاً لما تعجلوا من سروره ، وما يتوقعون [من]
الدوائر بَعْدُ تَكْدُراً (٢) لما وصل إليهم من فرحة .

فأما اللعين بابك وكفرته ، فإنهم كانوا يَغزُونَ أكثر
مما يُغزَوْنَ ، وينالون أكثر مما يُنال منهم ، وهم المنحرفون
عن الموادة ، المتوحشون عن المراسلة ، ومن أدبوا من
تتابع الدول ، ولم يتجافوا (٣) عاقبة تدر كهم ، ولادائرة
تدور عليهم ، وكان مما وطأ ذلك ومكنه لهم أنهم قوم
ابتدئوا أمرهم على حالٍ تشاغلٍ من السلطان ، وتتابع من
الفتن ، واضطراب من الحبل ، فاستقبلوا أمرهم بعزة من
أنفسهم ، وضعف واستشارة (٤) ممن باراهم ، فأجلوا من

(١) في صبح الأعشى : كان بما لهم ... (٢) في صبح الأعشى : مكذرا لما وصل

(٣) في صبح الأعشى : ولم يخافوا (٤) في صبح الأعشى : واستشارة

حولهم لتخلص البلاد لهم ، [ثم أخرجوا البلاد] ليعزّ مطلبهم
وتشتد المؤونة وتعظم الكلفة ، ويقوؤوا في ذات أيديهم ،
فلم يتواف (١) إليهم قواد السلطان إلا وقد توافت إليهم
القوة من كل جانب ، فاستفحل أمرهم ، وعظمت
شوكتهم ، واشتدت ضراوتهم ، واستجمع لهم كيدهم ،
وكثر عددهم واعتدادهم ، وتمكنت المصيبة (٢) في
صدر الناس منهم ، وتحقق في نفوسهم أن كل ما يعدهم
الكافر ويمنيهم أخذ باليد (٢٥٧ ب) [وكان الذي بقى
عندهم منه كالذي مضى ، وبدون هذا ما يُخندع الأريب]
ويستزل العاقل ويُعتقل الفطن ، فكيف من لا فكرة
له ، ولا روية عنده ؟

هذا مع كل ما يقوم في قلوبهم من حسد أهل النعم
ومنافستهم على ما في أيديهم ، وتقطّعهم حسرات في إثر
ما خُصوا به ، وأنهم إلا يكونوا يرون أنفسهم أحق بذلك ،
فإنهم يرون أنفسهم فيه سواء .

ولم يزل أمير المؤمنين قبل أن تُفضيَ إليه الخلافة

(١) في الأصل : فلم يتوافق . . .

(٢) في صبح الأعشى : وتمكنت الهيبة . . .

مادًّا عنقه ، موجِّها همته إلى أن يوَلِّيه اللهُ أمر هؤلاء الكفرة
ويملكه حربهم ، ويجعله المقارع (١) لهم عن دينه
والمناجز لهم عن حقه ، فلم يكن يألو في ذلك حرصا
وطلبًا واحتفالا (٢) ، فكان أمير المؤمنين رضى اللهُ عنه
يأبى ذلك لضننه به ، وصيانتته بقربه ، مع الأمر الذى
أَعَدَهُ اللهُ وآثره به ، ورأى أن شيئًا لا يَفِي بِقِوَامِ الدين
وصلاح الأمر .

فلما أَفْضَى اللهُ إلى أمير المؤمنين بخلافته ، وأطلق الأمر
في يده ، لم يكن شيء أحبَّ إليه ولا آخَذَ بقلبه من
المعاجلة للكافر وكفرته ، فأعزه اللهُ وأعانهُ اللهُ ، فله
الحمد على ذلك وتيسُّره ، فأعد من أمواله أحصرها (٣) ،
ومن قواد جيشه أعلمهم بالحرب وأنهضهم بالمعضلات ،
ومن أوليائه وأبناء دعوته ودعوة آبائه - صلوات اللهُ عليهم -
أحسنهم طاعة ، وأشدهم نكاية ، وأكثرهم عدة ، ثم
أتبع الأموال بالأموال ، والرجال بالرجال ، من خاصة
مواليه وعدد غلمانته ، وقبل ذلك ما اتَّكَلَّ عليه من صنع

(١) في الأصل : القارع .

(٢) في صيغ الأعمى : حرصا وطلبًا واحتفالا .

(٣) في صيغ الأعمى : فأعد من أمواله أخطرها .

الله جل وعز ، ووجه إليه من رغبته (١) فكيف رأى الكافر اللعين وأصحابه الملائعِين؟ ألم يكذب الله ظنونهم ، ويشف صدور أوليائه منهم ، فقتلوهم كيف شاءوا في كل موطن ومعتك ، ما دامت عند أنفسهم مقاومة .

فلما نونا وقلوا (٢) وكرهوا الموت ، صاروا لا يتراءون إلا في رؤوس الجبال ومضايق الطرق وخلف الأودية ومن وراء الأنهار ، وحيث لا تنالهم الخيل ، حبا للمطاوله (٣) وانتظارا للدوائر ، فكادهم الله عند ذلك وهو خير (٢٥٨) الكائدين ، واستدرجهم حتى جمعهم إلى حصنهم معتصمين فيه عند أنفسهم ، فجعلوا اعتصامهم لِحَيْنٍ لهم ، وصنع لأوليائه وإحاطة منه به تبارك وتعالى ، فجمعهم وحصرهم كي لا تبقى منهم بقية ، ولا يُترجى لهم عاقبة ، ولا يكون الدين إلا لله ، ولا العاقبة إلا لأوليائه ، ولا التَّعْسُ والنَّكْسُ إلا لمن خذله .

فلما حصرهم الله تعالى وحبسهم (٤) ودانتهم مصارعهم :

(١) في صبح الأعشى : ووجه إليه من رغبته .

(٢) في صبح الأعشى : فلما زلوا وقلوا .

(٣) في صبح الأعشى : حصنا للمطاوله . . .

(٤) في صبح الأعشى : وحبسهم عليهم .

سلطهم الله عليهم كيدٍ واحدة ، يختطفونهم بسيوفهم ،
وينتظمونهم برماحهم ، فلا يجدون ملجأً ولا مهرباً ، ثم
أمكنهم من أهاليهم وأولادهم ونسائهم وخدمهم^(١) وصير
الدار دارهم والمحلّة محلّتهم ، والأموال قسماً بينهم ،
والأهل إماء وعبيدا لهم ، وفوق ذلك كله ما فعل بهؤلاء
وأعطاهم من الرحمة والثواب ، وما أعد لأولئك من الخزي
والعقاب ، وصار الكافر بابك لا في من قُتل فيسلم من ذل
الغلبة ، ولا فيمن نجا فعائين في الحياة بعض العوض ،
ولا فيمن أُصيب فيشتغل بنفسه عن المصيبة بما سواه ،
ولكنه سبحانه وتعالى أطلقه وسدّ مذاهبه ، وتركه مُلَدِّدًا
بين الذل والخوف ، والغصّة والحسرة ، حتى إذا ذاق
طعم ذلك كله وفهمه ، وعرف بموقع المصيبة ، وظن مع
ذلك كله أنه على طريق من النجاة ، فأضرب الله وجهه ،
وأعمى بصره ، وسد سبيله ، وأخذ بسمعه وبصره ، وحازه
إلى من لا يرقّ له ، ولا يرثى لمصرعه ، فامتثل ما أمر به
الأفشين (حيدر بن طاووس) مولى أمير المؤمنين في أمره
فبثّ له الجبائل ، ووضع عليه الأرصاء ، ونصب له

(١) في صبح الأعشى : وخدمهم

الأشراك حتى أظفره الله به أسيره ذليلاً مُوثقاً في الحديد ،
يراه في تلك الحالة من كاد يراه ربّاً ، ويرى الدائرة عليه
مَنْ كان يظنُّ أنها ستكون له .

فالحمد لله الذي أعز دينه ، وأظهر حجته ، ونصر أوليائه
وأهلك أعداءه ، حمداً يُقضى به الحق وتتم به النعمة ،
(٢٥٨ ب) وتتصل به الزيادة .

والحمد لله الذي فتح على أمير المؤمنين وحقّق ظنه وأنجح
سعيه ، وحاز له هذا الفتح ودُخره وشرفه ، وجعله خالصاً
لتمامه ، وكمله بأكمل الصنع وأحسن الكفاية ، ولم ير
يوماً^(١) فيه يقضى عينه ، ولا خلا من سرور يراه ، وبشارة
تتجدد له عنه ، فما يدرى أمير المؤمنين ما مُتّع فيه من
الأمّل ، أو ما ختم له من الظفر ، فالحمد لله أولاً ، والحمد
لله على عطاياه التي لا تُحصى ، ونعمه التي لا تنسى^(٢) .

المذهب الثاني

فيما يكتب عن الخلفاء من الكتب أن يفتتح الكتاب
بلفظ : من فلان إلى فلان .

(١) في صبح الأعشى : ولم ير يوماً فيه ما يقضى عينه .

(٢) زاد في صبح الأعشى بعده : « إن شاء الله تعالى » .

والأصل في ذلك أن معظم كتب النبي صلى الله عليه وسلم
الصادرة عنه كانت على هذا النمط .

كما كتب (١) عنه صلى الله عليه وسلم إلى هرقل ملك
الروم : من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ،
سلام على من اتبع الهدى .

أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أَسْلِمَ تَسْلِمَ ، أَسْلِمَ
يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ
وَإِذَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا
بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا
مُسْلِمُونَ ﴿٢﴾ .

وكان أبو بكر رضى الله عنه في خلافته يُكْتَبُ عنه :
من أبي بكر خليفة رسول الله ، ثم الباقي من نِسْبَةِ ما يُكْتَبُ
عن النبي صلى الله عليه وسلم .

ثم كُتِبَ عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه في أول

(١) صبح الأعشى ج ٦ ص ٣٧٦

(٢) سورة آل عمران الآية ٦٤

خلافته : من عمر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
إلى أن لُقِّبَ بأمير المؤمنين فكتب (٢٥٩) من عمر أمير
المؤمنين ، فلزمها من بعده من الخلفاء إلى أن كانت خلافة
المأمون ، فزاد بعد التحميد : وأسأله أن يصلى على محمد عبده
ورسوله ، فتبعه من بعده من الخلفاء على ذلك ، ثم يؤتى بالبعديّة
ويدعى للخليفة مثل : أطال الله بقاءك ، ونحوه ، ثم يؤتى على
المقصود ، وكان صلى الله عليه وسلم يكتب في كتبه إلى أصحابه
بعد من محمد رسول الله : سلامٌ عليك فإني أحمد إليك
الله الذي لا إله إلا هو .

وهذه نسخة كتاب كُتِبَ به عن أبي بكر الصديق (١)
رضي الله عنه الى أهل الردة حين ارتدوا عن الإسلام بعد
وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي :

من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
من بلغه كتابي هذا من عامة وخاصة ، أقام على الإسلام
أو رجع عنه :

سلام على من اتبع الهدى ، ولم يرجع بعد الهدى
إلى الضلالة والعمى ، فإني أحمد إليك الله الذي لا

(١) صبح الأعشى - ٦ ص ٢٨٤

إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأُقْرَبُ بِمَا جَاءَ بِهِ [وَأُكْفَرُ مِنْ أَبِي
وَأُجَاهِدُهُ] (١) .

أما بعد ، فَإِنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِهِ إِلَى
خَلْقِهِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ،
﴿ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقِّ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (٢) يَهْدِي
اللَّهُ لِلْحَقِّ مَنْ أَجَابَ إِلَيْهِ ، وَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ بِإِذْنِهِ مِنْ أَدْبَرِ عُنُقِهِ ، حَتَّى صَارَ إِلَى الْإِسْلَامِ طَوْعًا وَكَرْهًا ،
ثُمَّ تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ نَفَّذَ لِأَمْرِ اللَّهِ ،
وَنَصَحَ لِأُمَّتِهِ ، وَقَضَى الَّذِي عَلَيْهِ ، وَكَانَ اللَّهُ قَدْ بَيَّنَّ لَهُ ذَلِكَ
وَلَأَهْلَ الْإِسْلَامِ فِي الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَهُ فَقَالَ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ
وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ (٣) وَقَالَ ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ
أَفَأَنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴾ (٤) وَقَالَ لِلْمُؤْمِنِينَ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ
إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ (٢٥٩ ب) قَبْلِهِ الرُّسُلُ
أَفَأَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى

(١) الزيادة في صحيح الأعمش نقلًا عن «المبر» أما أصله فلا توجد فيه .

(٢) سورة يس الآية ٧٠ .

(٣) سورة الزمر الآية ٣٠ .

(٤) سورة الأنبياء الآية ٣٤ .

عَقَبِيهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١﴾
 فمن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات . ومن كان
 يعبد الله وحده لا شريك له فإن الله بالمرصاد . حتى قيوم
 لا يموت ولا تأخذه سنة ولا نوم ، حافظ لأمره ، منتقم من
 عدوه بحزبه . وإني أوصيكم بتقوى الله وحظكم
 ونصيبيكم من الله . وما جاء به نبيكم . وأن تهتدوا
 بهديه . وأن تعتصموا بدِين الله . فإنه من لم يهده الله
 ضل . ومن لم يعافه مبتلى . وكل من لم ينصره مخذول .
 فمن هداه الله كان مهدياً ، ومن أضله كان ضالاً :
 ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّمْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً
 مُرْشِداً ﴾ (٢) ولم يقبل منه في الدنيا عمل حتى يُقَرَّ به ، ولم
 يقبل له في الآخرة صرف ولا عدل .

وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر
 بالإسلام وعمل به . اغترارا بالله وجهالة بأمره ، وإجابة
 للشيطان . وقال الله جل ثناؤه : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ
 اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ

(١) سورة آل عمران الآية ١٤٤

(٢) سورة الكهف الآية ١٧

عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفْتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ
عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿١﴾ . وقال : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ
عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ
السَّعِيرِ ﴾ ، وإني أنفذتُ إليكم فلانا في جيش من المهاجرين
والأنصار والتابعين بإحسان ، وأمرته ألا يُعاجلَ أحدا ولا
يقتله (٣) حتى يدعوه إلى ما عند الله (٤) . فمن استجاب له وأقر
وكفَّ وعمل صالحا قَبِلَ منه وأعانه عليه . ومن أبى أمرته
أن يقاتله على ذلك ، ولا يُبقيَ على أحد منهم قَدَرَ عليه .
وأن يُحرقَهم بالنيران ، ويقتلهم كل قِتلة ، ويسبى النساء
والذراري ، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام ، فمن آمن فهو
خير له ، ومن تركه فلن يُعجزَ الله ، وقد أمرتُ رسولي
أن يقرأ كتابي في كل مجمع لكم ، والداعية الأذان ،
(٢٦٠) فإن أذن المسلمون فأذّنوا كُفُّوا عنهم ، وإن لم
يؤذّنوا سلّوهم (٥) عمّا عليهم ، فإن أبوا عاجلوهم ، وإن أقرّوا
قَبِلَ منهم وحملهم على ما ينبغي لهم .

(١) سورة الكهف الآية ٥٠

(٢) سورة فاطر الآية ٦

(٣) في صبح الأعشى : وألا يقاتل أحدا ولا يقتله .

(٤) في صبح الأعشى : حتى يدعوه إلى داعية الله .

(٥) زاد محققو صبح الأعشى نقلا عن الطبري : وإن لم يؤذّنوا [عاجلوهم وإن أذّنوا] سلّوهم .

وهذه نسخة كتاب (١)

كتب به عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى عمرو بن العاص وقد بلغه فاشية مال فشت له وهو يومئذ أمير مصر وهى :

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص ، سلام عليك .

أما بعد فإنه قد بلغنى أنه فشت لك فاشية من خيل وإبل وبقر وعبيد ، وعهدى بك قبل ذلك ولا مال لك ، فاكتب إلى من أين أصل هذا المال .

وهذه نسخة كتاب من ذلك (٢)

كتب به عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف وقد بلغه أنه تعرض لأنس بن مالك رضى الله عنه وهى :

من عبد الله عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف :
أما بعد فإنك عبد قد علت بك الأمور فطغيت ، وعلوت فيها حتى جزت حد قدرك ، وعدوت طورك ، وأيم الله

(١) صبح الأعشى ٦ ص ٣٨٦

(٢) صبح الأعشى ٦ ص ٣٨٩

لَأَعْمِرَنَّكَ كَبَعُضَ عَمَزَاتِ اللَّيْوْثِ الثَّعَالِبِ ، وَلَا أَرْكُضَنَّكَ
 رَكْضَةَ تَدْخُلُ مِنْهَا فِي وَجَعَاءِ أُمَّكَ ، اذْكَرَ مَكَاسِبَ آبَائِكَ
 فِي الطَّائِفِ ، إِذْ كَانُوا يَنْقَلِبُونَ الْحِجَارَةَ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ ،
 وَيَحْفَرُونَ الْآبَارَ وَالْمَنَاهِرَ بِأَيْدِيهِمْ ، قَدْ نَسِيتَ مَا كُنْتَ
 عَلَيْهِ أَنْتَ وَآبَاؤُكَ مِنَ الدَّنَاءَةِ وَاللُّؤْمِ وَالضَّرَاعَةِ . وَقَدْ
 بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ اسْتِطَالَتِكَ عَلَى ^(١) أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ ، جُرْأَةً
 مِنْكَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَغِرَّةً بِمَعْرِفَةِ غَيْرِهِ وَنَقِمَاتِهِ وَسَطَوَاتِهِ
 عَلَى مَنْ خَالَفَ سَبِيلَهُ وَعَمِدَ إِلَى غَيْرِ مَحَجَّتِهِ ، وَنَزَلَ عِنْدَ
 سَخَطِهِ ^(٢) وَأَظْنَكَ أَرَدْتَ أَنْ تَرُوزَهُ بِهَا فَتَعْلَمَ مَا عِنْدَهُ
 (٢٦٠ ب) مِنْ التَّغْيِيرِ وَالتَّنْكِيرِ فِيهَا ، فَإِنْ سَوَّغْتَهَا
 نَصَبْتِ ^(٣) قَدُماً ، وَإِنْ غُصِّصْتَهَا ^(٤) وَلَّيْتَ دُبْرًا ، أَيُّهَا الْعَبْدُ
 الْأَخْفَشُ الْعَيْنِينَ ، الْأَصْكُ الرَّجْلِينَ ، الْمَسُوحُ الْجَاعِرَتَيْنِ ،
 وَلَنْ يَخْفَى عَلَى أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ ^(٥) نَبُوءُكَ ، وَكُلُّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ[۞]
 وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿ ^(٦)

(١) فِي صَبْحِ الْأَعْشَى : مِنْ اسْتِطَالَةِ مَنْكَ .

(٢) فِي صَبْحِ الْأَعْشَى : عِنْدَ سَخَطِهِ .

(٣) فِي صَبْحِ الْأَعْشَى : مَضَيْتِ قَدُماً .

(٤) فِي صَبْحِ الْأَعْشَى : غُصِّصَتْ بِهَا .

(٥) كَذَا فِي فِي الْأَصْلِ فِي صَبْحِ الْأَعْشَى : : عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

(٦) سُورَةُ الْأَنْعَامِ آيَةُ ٦٧

وهذه نسخة كتاب علي هذه الطريقة (١)

كتب به أبو إسحاق الصابي عن الطائع إلى صمصام الدولة بن عضد الدولة بن بويه ، عند قبضه على كردويه الكردي . شاكرا همته في ذلك ، في ربيع الأول سنة خمس وسبعين وثلاثمائة ، وهي :

من عبد الله عبد الكريم الإمام الطائع لله أمير المؤمنين إلى صمصام الدولة وشمس الملة أبي كاليجار ابن عضد الدولة وتاج الملة مولى أمير المؤمنين .

سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .

أما بعد - أطال الله بقاءك - فإن أمير المؤمنين وإن كان قد بوأك المنزلة العليا ، وأنالك من أثرته الغاية القصوى ، وجعل لك ما كان لأبيك عضد الدولة وتاج الملة رحمة الله عليه من القدر والمحل ، والموضع الأرفع الأجل ، فإنه يوجب لك عند ذلك (٢) أثرا يكون لك في الخدمة ،

(١) صبح الأعشى - ٦ ص ٢٩٦

(٢) في صبح الأعشى : فإنه يوجب لك عند ذلك

ومقاماً حميداً (١) تقومه في حماية البيضة ، إنعاماً بتظاهره ، وإكراماً بتتابعه وتواتره (٢) ، والله يؤيدك من توفيقه وتسديده ، ويمدك بمعونته وتأييده ، ويخير لأمير المؤمنين فيما رأىه مستمر عليه من مزيدك وتمكينك ، والإبقاء بك وتعظيمك ، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه يُنيب .

وقد عرفتَ - أدام الله عزك - ما كان من أمر كردويه كافر نعمة أمير المؤمنين ونعمتك ، وجاحد صنعه وصنيعك ، في الوثبة التي وثبها ، والكبيرة التي ارتكبتها ، وتقديره (٣) (١٢٦١) أن ينتهز الفرصة التي لم يمكنه الله منها ، بل كان [من] وراء [ذلك] دفعه وورده عنها ، ومعاجلتك إياه الحرب التي أصلاه الله نارها ، وأتبعه عارها وشنارها ، حتى انهزم والأوغاد الذين شركوه في إثارة الفتنة على أقبح أحوال الذلة والقلة ، بعد القتل الذريع ، والإثخان الوجيع .
فالحمد لله على هذه النعمة التي جلّ موقعها ، وبان على الخاصة والعامة أثرها ، ولزم أمير المؤمنين خصوصاً

(١) في صبح الأعشى : ومقام حمده تقومه

(٢) في صبح الأعشى : إنعاماً يظاهرة ، وإكراماً يتابعه ويواتره .

(٣) في صبح الأعشى : وتقديره .

والمسلمين عموماً نشرها ، والحديث بها ، وهو المسؤل
عن إقامتها وإدامتها برحمته .

وقد رأى أمير المؤمنين أن يجازيك عن هذا الفتح العظيم ،
والمقام المجيد الكريم ، بخلع تامة ، ودابتين ومركبين ذهباً
من مراكبه ، وسيف وطوق وسوار مرصع ، فتلق ذلك بالشكر
عليه والاعتداد بنعمته فيه ، والبس خلع أمير المؤمنين
وتكريمته ، وسر من بابه على حملاته ، وأظهر ما حباك به
لأهل حضرته ، ليُعزَّ الله بذلك وليه ووليك ، ويذل عدوه
وعدوك [إن شاء الله تعالى] والسلام عليك ورحمة الله
وبركاته .

وعلى نحو من هذه الطريقة (١)

كُتب عن الإمام المستكفي بالله أبي الربيع سليمان بن
الحاكم بأمر الله ثاني خلفاء بني العباس بالديار المصرية
إلى الملك المؤيد هزبر الدين داود بن الملك المظفر يوسف
صاحب اليمن من ملوك بني رسول في الدولة الناصرية محمد
ابن قلاوون في سنة سبع وسبعمائة حين منع صاحب اليمن

(١) صبح الأعشى، ج ٦ ص ٤٢١

الهدية التي جرت العادة بحملها من ملوك اليمن إلى ملوك
الديار المصرية ، يهدده فيه ، ويطلبه بالقيام معه في المساعدة له
على التتار بما ل يبعث به إليه ، مصدرا بآية من القرآن متبعا
للتصدير بخطبة ، وهي : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا
اللَّهَ (٢٦١ ب) وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ (١) .

من عبد الله ووليه أبي الربيع سليمان .

أما بعدَ حَمْدِ اللَّهِ مانحِ القلوبِ السليمةِ هداها ، ومرشدِ
العقولِ إلى أمرِ مَعادِها ومَبْدِها ، وموفِّقِ من اختاره إلى
محجةِ صوابٍ لا يضلُّ سالِكها ، ولا تُظَلِّمُ عندَ اختلافِ
الأُمورِ العظامِ مسالِكها ، وملهمِ من اصطفاه لابتغاء (٢) آثارِ
السننِ النبويةِ ، والعملِ بموجباتِ القواعدِ الشرعيةِ ،
والانتظامِ في سلكِ من طوَّقتهِ الخلافةُ عقودَها ، وأفاضتِ
على سُدَّتِهِ الجليلةِ بُرودَها ، وملَكْتَهُ أَقاصِيَ البلادِ ، وَأَناطتهِ (٣)
بأحكامِهِ السديدةِ أُمورِ العبادِ ، وسارتِ تحتِ خوافِقِ (٤)
أعلامِهِ أعلامِ الملوكِ والأَكاسرةِ ، وشيَّدتِ بأحكامِهِ مناجحِ الدنيا

(١) سورة النساء الآية ٥٩

(٢) في صبح الأعي : وملهم من اصطفاه لاقتفاء

(٣) في صبح الأعي : وأناطت بأحكامه

(٤) في الأصل : خواص .

ومصالح الآخرة ، وتبخر كل منبر من ذكره في ثوب من
السيادة مُعَلِّم ، وتهللت من ألقابه الشريفة أسارير كل دينار
ودرهم .

يحمده أمير المؤمنين على أن جعل أمور الخلافة ببنى
العباس منوطة ، وجعلها كلمة باقية في عقبه إلى يوم القيامة
مَحْوطة . ويصلى على ابن عمه محمد الذي أحمده الله
بمبعثه ما ثار من الفتن ، وأطفأ برسالته ما اضطرم من نار
الإحْنِ ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين حموا حمى
الخلافة وذادوا عن مواردنا ، وعمدوا إلى تشييد^(١) المعالم
الدينية فأقاموها على قواعدنا ، صلاةً دائمة العُدُوِّ والرواح ،
متصلاً أولها بطرة الليل وآخرها بجبين الصباح ، هذا
وإن الدين الذي فرض الله على الكافة الانضمام إلى شعبه ،
وأطلع فيه شمس هداية تشرق من مشرقه ولا تغرب في
غربه ، جعل الله حكمه بأمرنا منوطاً ، وفي سلك أحكامنا
مخروطاً ، وقلدنا من أمر الخلافة المعظمة سيفاً طال نجاهه ،
وكثر أعوانه وأنجاهه ، وفوض إلينا أمر الممالك الإسلامية
فإلى حرمنا تُجَبَى ثمراتها ، ويرجع^(٢) إلى ديواننا العزيز

(١) في صبح الأعشى : وعمدوا إلى تمهيد المعالم

(٢) في صبح الأعشى : ويرفع إلى ديواننا العزيز

(٢٦٢) نفيها وإثباتها ، يخلف الأسد في غابه إن مضى
شبهه ، ويُلقَى في الخُبْرِ والخَبْرِ مله .

ولما أفاض الله تعالى علينا حُلةَ الخلافة ، وجعل محلنا
الشريف محل الرحمة والرافة ، وأقعدنا على سُدةِ خلافة
طالما أشرقت بالخلائف من آبائنا ، وابتهجت بالسادة
الغطاريف من أسلافنا ، وألبسنا خلعة من سواد السؤدد
مصبوغة ، ومن سواد العيون وسويداء القلوب مصبوغة ،
أمضينا على سدتنا الشريفة أمر الخاص والعام ، وقلدنا
كل إقليم من أعمالنا من يصلح لسياسته على الدوام ،
واستكفينا بالكُفاة من عمالنا على أعمالنا ، واتخذنا مصر دار
مُقامنا ، وبها سُدةُ مقامنا ، لما كانت في هذا العصر قبةَ الإسلام
وفيةَ الإمام ، وثانية دار السلام ، تعين علينا أن نتصفح
جرائد أعمالنا ، ونشأمل نظام عمالنا ، مكانا مكانا ، وزمانا
زمانا ، فتصفحناها فوجدنا قطر اليمن خاليا من ولايتنا في
هذا الزمن ، عرفنا هذا الأمر من اتخذناه للممالك الإسلامية
عينا وقلبا ، وصدرا ولُبًّا ، وفوضنا إليه أمر الممالك الإسلامية
فقام فيها مقاما أقعد الأضداد ، وأحسن في ترتيب ممالكها
نهاية الإصدار وغاية الإيراد ، وهو السلطان الأجل ، السيد

الملك الناصر المجل ، لازالت أسباب المصالح على يديه
جارية ، وسحابة الإحسان من أفق راحته سارية ، فلم يُعَدَّ
جوابا لما ذكرناه ، ولا عذرا عما أبديناه ، إلا بتجهيز
شردمة من جحافل المشهورة ، وتعيين أناس من فوارسه
المذكورة ، يقتحمون الأهوال ، ولا يعبأون بتغييرات
الأحوال ، يرون الموت مغنما إن صادفوه ، وشبا المُرَهف
مكتسبا إن صافحوه ، لا يشربون سوى الدماء مدامة (١) ، ولا
يلبسون غير السراويل (٢) عمامة ، ولا يعرفون طربا إلا ما
أصدره صليل الحسام من (٢٦٢ ب) غنا ، ولا ينزلون
قفرا إلا ونبت ساعة نزولهم من قنا . ولما وثقنا منه
بإنفاذهم راجعنا رأينا الشريف ، فاقتضى أن يكاتب من
بسط يده في ممالكها ، واحتاط على جميع مسالكها ، واتخذ
أهلها خوفا ، وأبدي في خلال ديارها من عدم سياسة خلا ،
برز مرسومنا الشريف النبوي أن يكاتب من قعد على تخت
مملكته ، وتصرف في جميع أمور دولتها ، فطولع بأنه ولد
السلطان الملك المظفر يوسف بن عمر الذي له شبهة تمسك
بأذيال المواقف المستعصمية ، وهو مستصحب الحال على زعمه ،

(١) في صبح الأعشى : لا يشربون سوى الدماء مدامة (والمدام : المطر الدائم) .

(٢) في صبح الأعشى : ولا يلبسون غير الترانك عمامة .

أَوَ ما علم الفرق بين الأحياء والأموات؟ أَوَ ما تحقق الحال التي بين النفي والإثبات؟ ، أصدرناها إلى الرحاب التعزّية ، والمعالم اليمينية ، تشعر من تولى عنها فاستبدّ ، وتولّى كبره فلم يعرج على أحد ، أن أمر اليمن ما برحت نوابنا تحكم فيه بالولاية الصحيحة^(١) ، والتفويضات التي هي غير جريحة ، وما زالت تحمل إلى بيت المال المعمور ما تمشى به الجمال رويدا^(٢) ، وتقذفه بطون الجوارى إلى ظهور اليعملات وليدا ، ويظالنا بأمر مصالحه ومفاسده ، وبحال دياره ومعاهده ، ولك أسوة بوالدك فلان ، هلا اقتفيت ما سنه من آثاره ، ونقلت ما دونته أيدي الزمن من أخباره .

واتصل بمواقفنا الشريفة أمور صدرت منك .

منها - وهي العظمى التي ترتب عليها ما ترتب - قطع الميرة عن البيت الحرام ، وقد علمت أنه واد غير ذى زرع ، ولا يحل لأحد أن يتطرق إليه بمنع .

ومنها انصبابك إلى تفريغ مال بيت المال في شيرى^(٣)

(١) في صبح الأعشى : تحكم فيه بالآية الصحيحة .

(٢) في صبح الأعشى : تمشى به الجمال مشيا وثيدا .

(٣) في صبح الأعشى : في شراء لحو الحديث . . .

لهو الحديث ، ونقض العهود القديمة بما تبديده من حديث .
 ومنها تعطيل أجياد المنابر من عقود اسمنا ، وخلو تلك
 الأماكن من أمور عقدنا وحلنا ، ولو أوضحنا لك ما اتصل
 بنا من أمرك لطال ، ولاتسعت فيه دائرة المقال ، (٢٦٣)
 رسمنا بها والسيف يود لو سبق القلم حده ، والعلم المنصور
 يود لو فات العلم واهتز بتلك الروابي قده ، والكتائب
 المنصورة تختار لو بدرت عنوان الكتاب ، وأهل العزم
 والحزم يودون إليك إعمال الركاب ، والجواري المنشآت
 قد تكونت من ليل ونهار ، وبرزت كصور الأفيلة لكنها
 على وجه الماء كالأطيوار ، وما عمدنا إلى مكاتبك إلا
 للإنذار ، ولا احتجنا إلى مخاطبتك إلا للإعذار ، فأقلع عما
 أنت بصدده من الخيلاء والإعجاب ، وانتظم في سلك من
 استخلفناه فأخذ بيمينه ما أعطى من كتاب ، وصن بالطاعة
 من زعمت أنهم مقيمون تحت لواء علمك ، ومنتظمون في
 سلك أوامر كلمك ، وداخلون تحت طاعة قلمك ، فلسنا
 نشن الغارات على من نطق بالشهادتين لسائه وقلبه ، وامثل
 أوامر الله المطاعة عقله ولبه ، ودان بما يجب من الديانة ،
 وتقلد عقود الصلاح والتحف مطارف الأمانة ، ولسنا ممن

يأمر بتجريد سيف إلا على من علمنا أنه خرج عن طاعتنا ،
ورفض كتاب الله ونزع عن مبايعتنا ، فأصدرنا مرسومنا
هذا إليه يقص عليه من أنباء حلمنا ما أطال مدة
دولته ، وشيّد قواعد صولته ، ونستدعى منه رسولا إلى
مواقفنا الشريفة ، ورحاب ممالكنا المنيفة ، لينوب عنه في
قبول الولاية مناب نفسه ، وليجن بعد ذلك ثمار شفقاتنا
إن غرسَ شجرَ طاعتها - ومن سعادة المرء أن يجني ثمار غرسه -
بعد أن يُصحبه من ذخائر الأموال ما كثرَ قيمةً وخفَّ
حَمَلا ، وتعالى رتبةً وحسنَ مثلاً ، واشترط على نفسك في
كل سنة قطيعة ترفعها إلى بيت المال ، وإياك ثم إياك أن
تكون عن هذا الأمر ممن مال ، ورتب جيشا مقيما تحت علم
السلطان الأجل الملك الناصر للقاء العدو المخذول التتار ،
ألحق الله أولهم بالهلاك وآخريهم بالبوار ، وقد علمت
(٢٦٣ ب) تفاصيل أحوالهم المشهورة ، وتواريخ سيرهم
المذكورة ، فاحرص على أن يُخصك من هذا المشرب السائغ
أوفر نصيب ، وأن تكون ممن جهز جيشا في سبيل الله
فرمى بسهم فله أجرٌ مُصيباً كان أو غيرَ مُصيب ، ليعود
رسولك من دار الخلافة بتقاليدها وتشاريفها حاملا أعلامنا (١)

(١) في صبح الأعشى : حاملا أهلة أعلامنا .

المنصورة ، شاكراً برّ مواقفنا المبرورة ، وإن آل حالك إلى (١) أن استمررت على غيبك ، واستمررت مرعى بغيك ، فقد منعناك التصرف في البلاد ، والنظر في أحكام العباد ، حتى تطأ خيلنا العتاق مُشمخراتِ حصونك ، وتُعجل حينئذ ساعة منونك ، وما أعلمناك غير ما علمه قلبك ، ولا فهمناك غير ما حدسه لبك ، ولا تمن كالصغير يزيد كثره التحريك نوماً ، ولا ممن غره الإمهال يوماً فيوماً . أعلمناك ذلك فاعمل بمقتضاه ، موفقاً إن شاء الله تعالى .

وعلى نحو من هذه الطريقة في الابتداء

كان يكتب عن الإمام المستعين بالله أبي الفضل العباس ابن المتوكل على الله حين استقل بالخلافة والسلطنة ، مع زيادة في ألقاب الخليفة ، وإثبات ألقاب المكتوب إليه التي يكتب إليه بها في المكاتبات السلطانية . فكان يكتب عنه لمن رتبته المقرّ الكريم : من عبد الله ووليه الإمام المستعين بالله أبي الفضل أمير المؤمنين ، وإمام المسلمين ، وخليفة رب العالمين ، المفترض طاعته على سائر الخلائق أجمعين ، أعزّ الله ببقائه الدين ، وأمتع به الإسلام .

(١) في صبح الأعشى : وإن أبى حالك إلا أن .

والمسلمين ، إلى المَقَرِّ الكَرِيم ، أو : إلى الجناب الكريم ،
أو الجناب العالی ، أو : المجلس العالی ، أو : المجلس السامی
أو : مجلس الأمير ، بالألقاب التي يُكتب بها عن السلطان
من ديوان الإنشاء الآن ، وكذلك في سائر الرتب .

(١٢٦٤) المذهب الثالث

مما يكتب عن الخلفاء أن يفتح الكتاب بخطبة ، ثم
يوثى ببَعْدِيَّة
و (١) ، منها إلى مقصد الكتاب .

وعلى ذلك كُتِبَ عن الإمام الحاكم بأمر الله
أبي العباس أحمد بن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان
إلى السلطان الملك الناصر أحمد بن السلطان الملك الناصر
محمد بن قلاوون مُسْتَدْعَى من الكرك إلى الديار المصرية
لتقليده السلطنة ، بعد خلع أخيه الأشرف كُجُك بن الناصر
محمد بن قلاوون ، وإمساك الأمير قُوصُون ومن معه من
الأُمراء ، من إنشاء المَقَرِّ الشهابي بن فضل الله تغمده
الله برحمته .

(١) هنا فراغ صغير لعله أيضا : و [يخلص] منها .

وهذه نسخته (١) مصدرية بآية من القرآن

﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ
يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (٢)

فالحمد لله الذي أسبغ نِعْمه الظاهرة والباطنة ، وألف
قلوب أوليائه المتفهمة والمتبائنة ، وأخذ بنواصي أعدائه
الكاذبة المائنة (٣) ، وأعلى جدَّ هذه الدولة القاهرة ، وأطلع في
أَسَنَّة العوالم نُجُومها الزاهرة ، وحرَّك لها العزائم فملكتم
والأمور - بحمد الله - ساكنة . والبلاد واطنة لله آمنة (٤) ،
والرعايا في مظانِّها (١) قاطنة ، والسيوف في أغمادها مثل
النيران في قلوب حُسادها كامنة ، وأقام أهل الطاعة بالفرض ،
واستوفى منهم القرض (٦) ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا
وَعَدَّهُ وَأَوْرَثَنَا ﴾ (٢٦٤ ب) الأرض ﴿ (٧) وأعز أنصار المقام

(١) صبح الأعشى ج ٦ ص ٢٦٤

(٢) سورة لقمان الآية ٢٠

(٣) في صبح الأعشى . أعدائه المراجعة والباطنة .

(٤) في صبح الأعشى : والبلاد - والمينة لله - آمنة . وهو أحسن

(٥) في صبح الأعشى : في مكانها .

(٦) في صبح الأعشى : واستوفى بهم القرض .

(٧) سورة الزمر الآية ٧٤

العالى وأعز نصره ، وأعد لعدوه حصره ، وأقى بدولته
 الغراء تسمو شموسها ، وتثمر غروسها [وتظهر فى حلال
 الصباح المشرق عروسها] (١) وتجىء منه بخير راع للرعية
 يسوسها ، وبشره بالملك والدوام ، [وسره بما اجتمع له من
 طاعة الأنام ، وأقدمه على كرسى ملكه تظله الغمام] (٢)
 وأراه يوم أعدائه وكان لا يظن أن يرى فى المنام ،
 ولا يزال مؤيد الهمم ، مؤكد الذمم ، مجدد البيعة على
 رقاب الأمم ، ولا برحت أيامه المقبلة مقبلة بالنعيم ، خضر
 الأكفاف على رغم من كاد وغيظ من رغم ، ولا فتئت
 عهود سلفه الشريفة تنشأ له كما كانت ، ورعاياه تدين
 له بما دانت ، وجنوده تفديه من النفوس بأعز ما ذخرت
 وما صانت ، وسعادة سلطانه تكشف الغمم ، وتنشر الرمم (٣) ،
 وتعيد إلى أنوف أهل الأنفة الشمم ، وتحفظ على ما بقى (٤)
 لأوليائه من بياض الوجوه وسواد اللمم .

سَطَّرَها وَأَصْدَرَهَا وَقَدْ حُقِّقَتْ بِعَوَائِدِ اللَّهِ الظنون ،

(١) الزيادة من صبح الأعشى .

(٢) الزيادة من صبح الأعشى .

(٣) فى صبح الأعشى وتنشر الذمم .

(٤) فى صبح الأعشى : وتحفظ مابقى

وَصَدَّقَتِ الْخَوَاطِرَ الْعَيُونَ ، وَأَنْجَزَ اللَّهُ وَعْدَهُ ، وَأَتَمَّ سَعْدَهُ ،
 وَجَمَعَ عَلَى مَقَامِهِ الْكَرِيمِ قُلُوبَ أَوْلِيَائِهِ ، وَفَرَّقَ فِرْقَ عَدُوهِ
 بِإِجَابَةِ نِدَائِهِ (١) ، وَوَطَّدَ لِرَقِيهِ الْمَنَابِرَ ، وَرَجَّلَ لِتَلْقِيهِ (٢) الْعَسَاكِرَ ،
 وَهَيَّأَ لِمُقَاتِلِ أَعْدَائِهِ فِي أَيِّدِي أَوْلِيَائِهِ السِّيُوفَ الْبَوَاتِرَ ،
 وَأَخْفَقَ (٣) قَوْصُونَ وَأُمْسَكَ ، وَنُهَبَ مَالَهُ وَاسْتَهْلَكَ ، وَهَدَمَتْ
 أَبْنِيَّتَهُ ، وَخُرَّبَتْ دِيَارَهُ ، وَقَلَعَتْ آثَارَهُ ، وَأَخْلَيْتْ خَزَائِنَهُ ،
 [وَأَخْرَجَتْ مِنْ بَطُونِ الْأَرْضِ دَفَائِنَهُ ، وَمَا مَنَعَتْ عَنْهُ
 تِلْكَ الرَّبَائِبِ] (٤) الَّتِي ظَنُّهَا قَسَاوِرُ ، وَلَا نَاضَلَتْ تِلْكَ الْقَسَى
 الَّتِي طَبَعَهَا أَسَاوِرُ ، وَلَا أَغْنَى عَنْهُ ذَلِكَ الْمَالُ الَّذِي ذَهَبَ ،
 وَلَا ذَلِكَ الْجَوْهَرُ الَّذِي كَانَ عَرَضًا لِمَنْ نَهَبَ ، وَأُعِيدَ إِلَى
 الْمَهْدِ ذَلِكَ الطِّفْلُ الَّذِي أَكَلَ الدُّنْيَا بِاسْمِهِ ، وَقَهَرَ أَبْنَاءَهَا
 بِحُكْمِهِ ، وَمَوَّهَ بِهِ عَلَى النَّاسِ ، وَأَخْلَى لَهُ الْغَابَ وَمَا خَرَجَ مِنْ
 الْكِنَاسِ ، وَغَالَبَ بِهِ الْعَلْبَ حَتَّى وَطِئَ الرِّقَابَ ، وَدَاسَ
 الْأَعْقَابَ ، وَخَادَعَ وَدَلَّهُ الشَّيْطَانُ بِغُرُورِهِ ، وَدَلَسَ عَلَيْهِ
 عَاقِبَةَ أُمُورِهِ ، فَاعْتَدَّ بِعِتَادِهِ ، وَاعْتَرَّ بِعِنَادِهِ (٥) وَاعْتَرَبَانَ الْأَرْضِ

(١) فِي صَبْحِ الْأَعَشَى : وَأَبَاتَهُ بِدَائِهِ .

(٢) فِي صَبْحِ الْأَعَشَى : وَرَجَّلَ لِتَرْقِيهِ الْعَسَاكِرَ

(٣) فِي صَبْحِ الْأَعَشَى وَأَخَذَ قَوْصُونَ

(٤) الرِّيَادَةُ مِنْ صَبْحِ الْأَعَشَى .

(٥) فِي صَبْحِ الْأَعَشَى : وَاعْتَرَّ بِعِيَادِهِ .

له وما علم أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ،
فَأَمْسَكَ وَمَعَهُ رُؤُوسٌ مِنْ أَشْيَاعِهِ ، وَحَصِرَتْ بِالْخَوْفِ
(١٢٦٥) نَفُوسٌ أَتْبَاعِهِ ، وَمِنْهُمْ الطَّنْبِغَا ، وَقَدْ أَحَاطَ بِهِ
الْعِلْمُ الشَّرِيفُ بِكَيْفِيَّةِ وَصُولِهِ وَحَقِيقَةِ الْخَبْرِ ، وَمَا قَاسَاهُ
فِي طَرِيقِهِ مِنَ الْعَبِيرِ ، وَدَاسَ عَلَيْهِ حَتَّى وَصَلَ مِنْ وَخْزِ الْإِبْرِ ،
وَكَذَلِكَ مِنْ جَاءَ مَعَهُ ، وَخَلَّفَ وَرَاءَهُ الْحَقَّ وَتَبِعَهُ ، بَعْدَ
الْهَزِيمَةِ الَّتِي أَلْجَأَهُمْ إِلَيْهَا خَوْفُ الْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ الَّتِي
قَعَدَتْ لَهُمْ عَلَى الطَّرِيقِ ، وَأَخَذَتْ عَلَيْهِمْ بِمَدَارِجِ أَنْفُسِهِمْ
فِي فَمِ الْمَضِيقِ ، وَعُبِّئَتْ لَهُمْ صَفُوفُ الرِّجَالِ ، وَأَعَدَّتْ لَهُمْ
حَتُوفَ الْآجَالِ ، وَحَيْرَتَهُمْ فِي سَعَةِ الْفَجَاجِ ، وَأَرْتَهُمْ
بِوَارِقِ الْمَوْتِ فِي سَحْبِ الْعَجَاجِ ، ثُمَّ لَمْ يَصِلُوا إِلَّا وَهُمْ
أَشْلَاءُ مَمْزُوقَةٌ ، وَأَعْضَاءُ مَفْرُوقَةٌ ، قَدْ فَنَى تَحْتَهُمُ الظُّهْرُ ،
وَفَنَى (١) بِيَوْمِهِمُ الدَّهْرُ ، وَسَاقَتْهُمْ سَعَادَةُ سُلْطَانِ الْمَقَامِ الْعَالِيِ
إِلَى شِقَاوَتِهِمْ وَهُمْ رَقُودٌ ، وَعُبِّئَتْ لَهُمُ الْخَيْلُ وَالْخَلْعُ إِلَّا
أَنَّهَا مَلَابِسُ الذَّلِّ وَهِيَ الْقَيْوُودُ ، فَأَخَذُوا جَمِيعًا هَمٌّ وَمِنْ
كَانُوا عَلَى مَوَالَاتِهِ ، وَفَارَقُوا الْجَمَاعَةَ لِمَوَاتَاتِهِ ، وَحُمِلُوا إِلَى
الْمَجْلِسِ (٢) النَّائِي الْمَكَانِ ، وَأُودِعُوا أَحْيَاءً فِي مَلْحَدَةٍ إِلَّا أَنَّهِمْ

(١) فِي صَبْحِ الْأَعْشَى : وَفَنَى بِيَوْمِهِمُ الدَّهْرُ .

(٢) فِي صَبْحِ الْأَعْشَى : وَحُمِلُوا إِلَى الْمَجْلِسِ النَّائِي . . .

كالأموات ، وقد فاتوا (١) المقصد إلا أنهم ما أمنوا الفوات ،
ووكّل بحفظهم إلى أن يُشرف سرير الملك بقعود مقامه
وعقود أيامه الحوالى ، وسعود زمانه التى أزهرت بطلوعها
الليالى (٢) .

وهذا النصر إنما تهيأت - ولله الحمد - أسبابه ، وهذا
الفتح إنما فتحت بمشيئة الله أبوابه ، بِمِنَّةِ الله تعالى ونية المقام
العالى لا بمنة أحد ، ولا بشدة بأس من أقر (٣) ، ولا يأس من
جحد (٤) ، وما قضى الله تعالى به من سعادة هذه الأيام . ومضى
به القدر السابق وعلى الله التمام ، وبمظفرة الجناب الكريم
السيفى ، قطلوبغا الفخرى الساقى الناصرى ، أدام الله
نصرته بهذه العصابة المؤيدة ، وبمضاء عزائمه التى ما ونت ،
وقضاء قواضيه التى ما انثنت ، وبمؤازرة من التفّ عليه من
أكابر الأمراء ، وبمأجمعوا عليه من مظافرة الآراء ،
ونزولهم على التيه لا يضر بهم من خذلهم (٥) ، ولا يهينهم
من بذلهم ، ولا يبالون (٢٦٥ ب) بعساكر دمشق المقيمة

(١) فى صبح الأعشى : وقد نالوا المقصد . . .

(٢) فى صبح الأعشى : وسعود زمانه الذى لا يحتم بالنجوم إلا خدم الليالى .

(٣) فى صبح الأعشى : ولا بمنة بأس من أقر .

(٤) فى صبح الأعشى : ولا يأس من حجر .

(٥) فى الأعشى : على النية لا يضرهم

على حلب ومن مال إليهم ، وتملاً معهم عليهم ، ومن انضاف
إليهم من جنود البلاد ، وجيوش العناد ، ولا لواهم ما
كان يبعث إليهم ذلك الخائن من وعيده ، ولا ولأهم
ما كاد يخطف أبصارهم من تهديده ، ولا بالوا بما تآلب^(١)
به عليهم جند الشام من كل أوب ، وصب عليهم سيوله
من كل صوب ، وخادعهم بالرسائل التي ما تزيدهم
عليه إلا إباء ، ولا تشككهم أن السيف أصدق منه إنباء ،
حتى ولى لا تنفعه الخدع ، ولا تنصره البدع ، فما أسعدته
تلك الجموع التي جمعها ، ولا أجابته تلك الخيول^(٢) التي
سار عليها إلى مكمن أجله ، ولا وقته تلك السيوف التي لم
يظهر له من بوارقها إلا حمرة خجله ، حتى أخذ مع طاغيته
بل طاغوته بمصر ذلك الأخذ الوبيل ، وقذف به إلى مهوى
هلكه سئل ذلك السبيل ، وقام من بالديار المصرية قيام
رجل واحد ، وتظافروا على إزالة ذلك الكافر النعمة الجاحد ،
ولم يبق من الأمراء إلا من بذل الجهد ، وجمع قلوب الرعية
والجند ، وفعل في الخدمة الشريفة ما لم يكن منه بد ، حتى
حمد الأمر ، وحمد الجمر ، وتواترت الكتب بما عمت به

(١) في صبح الأعشى : ولا بالوا بما ألب عليهم من جند

(٢) في صبح الأعشى : الجنود

البشرى ، من إقامة البيعة باسمه الكريم ، وأنه لم يبق إلا من أعطى اليمين وأعطى الثمين (١) ، وأتم الحليف إتماماً لا يغدر معه يمين (٢) ، وأقيمت له السكّة والخطبة ورفع على المنابر اسمه وتهلل به وجه النقود ، وظهر على أسارير الوجود ، وضربت البشائر ، ونهبت المسرات السرائر ، وتشوقت أولياء هذه الدولة القاهرة - أدام الله سلطانها - إلى حضور ملكها ، وسفور الصباح لإذهاب ما أبقته عقائب (٣) تلك الليلة من حلكها ، والمقام العالى ما يزداد علماً ، ولا يزداد عزماً ، وهو أدري بما فى التأخير ، وبما فى بعده من الضرر (٢٦٦) الكثير ، ومثله لا يُعلم ، ومنه يُتعلّم ، فهو أعلم بما يجب من مسابقة قدومه للبشير ، وما يتعين من معالجته لامتطاء جواده ظهر الحصان (٤) وبطن السرير ، فالله الله . فى تعجيل حفظ هذا السوام المشرد ، وضم هذا الشمل المشتت ونظم هذا العقد المبدد ، وجمع كلمة الإسلام التى طالما افرقت ، وانتجاع عارض هذه النعمة

(١) فى صبح الأعشى وأنه لم يبق منهم إلا من أعطى اليمين وأعطى اليمين .

(٢) فى صبح الأعشى : لا يقدر معه يمين .

(٣) فى صبح الأعشى : عقابيل تلك الليلة

(٤) فى صبح الأعشى : وما سيعن من معالجته لامتطاء جواده ظهر الخمال

التي أبرقت ، وسرعة المسير فإن صبيحة اليوم المبارك الذي يُعرف من أوله قد أشرقت ، فما بقي ما به يعتذر^(١) ، ولا سوى مقدمه السعيد ينتظر .

وقد كتبناها ويدنا ممدودة لمبايعته ، وقلوب الخلق [كلها] مستعدة لمتابعته ، وكرسى الملك قد أزلف إليه مقعده ، وموئل الظفر قد أنجز له موعده ، والدهر مطاوعه والزمان مُسَعِدُه ، وطوائف أوليائه ليوم لقائه ترصده ، [والعهد له قد كُتِبَ] ولواء الملك عليه قد نُصِبَ ، والمنبر باسمه عليه قد حُطِبَ ، والدينار والدرهم هذا وهذا له قد ضُربَ ، ولم يبق إلا أن يَقْتَرِبَ ، وترى العيون منه ما تَرْتَقِبُ ، ويجلس على السرير ، وَيُزْمَعُ الْمُبَشِّرُ وَيَعْزَمُ عَلَى الْمَسِيرِ ، وتتنزين الأقاليم ، ويتبين لتسيير شهابه ما كان يقرأ له في التقاديم^(٢) . لازال جيب ملكه على الأقطار مزرورا ، وذيل فخاره على السماء مجرورا ، وجدُّ وَلِيَّه مُقْبِلًا^(٣) وقلبه مسرورا ، ومقدمه يحوز له من إرث آبائه نعمًا جمّة ومُلْكا كبيرا ، إن شاء الله تعالى .

(١) في صبح الأعشى : فما بقي ما به يعتذر .

(٢) في صبح الأعشى : التقاديم .

(٣) في صبح الأعشى : وحبل وليه متصلا .

المذهب الرابع

مما يكتب به عن الخلفاء أن يفتح الكتاب بالسلام ،
بأن يكتب : سلام الله تعالى ورحمته وبركاته يَخُصُّ :
المَقَرَّ الكَرِيم ، أو : الجنا ب الكَرِيم ، أو غير ذلك من
الألقاب (٢٦٦ ب) التي يكتب بها عن السلطان ، ويؤتى
على تلك الألقاب إلى آخرها ، ثم يقال : ويُبدي لعلمه ،
أو : يوضح لعلمه ، على حسب ما تقتضيه تلك المكاتبة في
السلطانيات .

وعلى ذلك كانت كُتِب الإمام المتوكل على الله أبي
عبد الله محمد بن الإمام المعتضد بالله أبي الفتح أبي بكر بن
المستكفي بالله أبي الربيع سليمان وولده الإمام المستعين بالله
في أول ولايته ، ولم يكن فيه من المكاتبات الجليلة ما
يُدَوِّن فأذكره .

وأما الكتب الصادرة عن ولاة العهد بالخلافة

فقد قال أبو جعفر النحاس في كتابه « صِنَاعَةُ الْكِتَابِ »
يُصَدُّ أَنْ ذَكَرَ أَنَّ صُورَةَ مَا يَكْتُبُ بِهِ عَنِ الْخَلِيفَةِ : مِنْ
عَبْدِ اللَّهِ أَبِي فُلَانٍ فُلَانٍ الْإِمَامِ الْفُلَانِيِّ إِلَى فُلَانٍ ، أَتْبَعَ ذَلِكَ

بأن قال : وليس أحد من الرؤساء يكاتب عنه بالتصدير
إلا الإمام وولى العهد ، ولم يزد على ذلك .

والتصدير على ما فسره ابن حاجب النعمان في كتابه ،
« ذخيرة الكتاب » ، هو : من عبد الله أبي فلان فلان . إلى آخره
على ما تقدم ، وقد قال النحاس في الكلام على العنوان :
إنه يُحذف من الكتاب عن ولى العهد لفظ أمير المؤمنين ،
ويقال فيه : ولى العهد ، ومقتضى ذلك أن المكاتبه عن ولى
العهد كالمكاتبه عن الخليفة إلا أنه لا يقال فيه : ولى
العهد الإمام ، ويقام لفظ ولى العهد فيه مقام أمير المؤمنين .

فيكتب فيه : من عبد الله ابن فلان فلان الواثق بالله
مثلا - ولى عهد المسلمين ، سلام عليك فإني أحمد
إليك الله الذى لا إله إلا هو ، وأسأله أن يُصلى على محمد
عبده ورسوله ، أما بعد ، فإن كذا ، ويؤتى على المقصد
إلى آخر الكتاب ، على نحو ما تقدم في الكتابة عن الخليفة .

تنبيه : قد تقدم عن محمد بن عمر المدائنى أنه كان
يُكتب عن الخلفاء للإمراء في قرطاس نصف طومار وللعمال
والكتاب في قرطاس من ثلث طومار ، وللتجار وأشباههم

في قرطاس من ربع طومار ، وللهُساب والمُساح في قرطاس
من سدس طومار ، وتقدم بيان أن المراد بالطومار قطع
البغدادى الكامل .

أما الذى استقر عليه الحال فيما يكتب به عن خلفاء
بنى العباس بالديار المصرية إلى ملوكها فقد ذكر صاحب
« الدر الملتقط » ، عن المقرّ الشهابى بن فضل الله أنه كتب
الكتاب الصادر عن الإمام الحاكم بأمر الله أبى العباس
أحمد بن المستكفى بالله أبى الربيع سليمان إلى الملك الناصر
أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون عند استدعائه للسلطنة
من الكرك على ما تقدم ذكره في هذا الفصل ، كُتب
في قطع البغدادى الكامل ، فايجر الأمر على ذلك .

(١٢٦٧) الفصل الثانى

من الباب السادس

فى الكتب الصادرة عن الملوك ومن فى معناهم إلى الخلفاء
وولاية العهد بالخلافة .

أما الكتب الصادرة إلى الخلفاء

فلكاتب فيها (١) ستة أساليب

الأسلوب الأول وهو أقدمها اصطلاحاً أن يفتتح الكتاب
بلفظ : لفلان من فلان ، ثم يصدر بالسلام والتحميد وسؤال
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم يقال : أما
بعد ، فإن كذا ، ويختم بالسلام ونحوه ، على نحو ما
تقدم فى المكاتبات عن الخلفاء ، لا يختلف ذلك فى شىء
إلا فى تقديم اسم المكتوب إليه على المكتوب عنه .

والأصل فى ذلك أن الصحابة رضى الله عنهم كانوا
يكتبون فى غالب كتبهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم :
لمحمد رسول الله .

(١) فى الأصل : فيه .

كما كتب^(١) إليه خالد بن الوليد رضي الله عنه
بإسلام بني الحارث بن كعب حين وجهه إليهم :
لمحمد النبي صلى الله عليه وسلم [رسول الله] من خالد
ابن الوليد .

السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، فإنني
أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو .

أما بعد يا رسول الله ، صلى الله عليك ، فإنك بعثتني
إلى بني الحارث بن كعب ، وأمرتني إذا أتيتهم أن لا أقاتلهم
ثلاثة أيام ، وأن أدعوهم إلى الإسلام ، فإن أسلموا قبلت منهم
وعلمتهم معالم (٢٦٧ ب) الإسلام ثلاثة أيام وكتاب
الله وسنة نبيه ، وإن لم يسلموا قاتلتهم ، وإني قدمت إليهم
فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام ، كما أمر رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، وبعثت فيهم ركبانا :^(٢) يا بني الحارث
أسلموا تسلموا ، فأسلموا ولم يقاتلوا ، وأنا مقيم بين
أظهريهم ، أمرهم بما أمرهم الله به ، وأنهاهم عما نهاهم

(١) صحيح الأعمش - ج ٦ ص ٤٦٥

(٢) في صحيح الأعمش : « كتابا » وبالهامش نقلا عن « مفتاح الأفكار » ص ٦٦ : وبعثت فيهم
ركبانا قالوا : يا بني الحارث .

اللَّهُ عَنْهُ ، وَأَعْلَمَهُمْ مَعَالِمَ الْإِسْلَامِ ، وَسُنَّةَ النَّبِيِّ ، حَتَّى يَكْتُبَ
إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ
اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

وعلى نحو من ذلك كتب إليه صلى الله عليه وسلم
النجاشيُّ ملكُ الحبشة والمُقوقس صاحب مصر أيضا
في رواية ذكرها ابنُ عبد الحكم ، وقد ذكرت كتابيهما
في « صبح الأعشى في كتابة الإنشا » (١) .

ثم لما كانت خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولُقِّبَ
أمير المؤمنين ، وزاد في أول كتبه الصادرة عنه لفظ
عبد الله ، قبل اسمه ، فكان يكتب : من عبد الله عمر أمير
المؤمنين ، على ما تقدم ذكره في المكاتبات الصادرة عن
الخلفاء ، اعتمدوا مثل ذلك في المكاتبة إليه أيضا .

كما كتب (٢) عمرو بن العاص لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب
رضى الله عنه في جواب الكتاب الوارد من أمير المؤمنين عليه
يذكر فيه بأنه بلغه فاشيةٌ مالٍ فشت له .

(١) انظر الجزء السادس ص ٤٦٦ ، ٤٦٧ من صبح الأعشى .

(٢) صبح الأعشى - ٦ ص ٤٧٧

لعبد الله عمر أمير المؤمنين . سلام عليك ، فإنني أحمد
إليك الله الذي لا إله إلا هو .

أما بعد ، فإنه أتاني كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه
فاشيةً مال فشئتُ لي ، وأنه يعرفني قبل ذلك ولا مال لي ، وإني
أعلم أمير المؤمنين أنني ببلدٍ السَّعْرُ فيه رخيص ، وأني أعالج
من الزراعة ما يعالجه الناس ، وفي رزق (٢٦٨) أمير
المؤمنين سعة ، والله لو رأيت خيانتك حلالاً ما خُنتك .
في كلام آخر^(١) . وجرى الناس بعد ذلك على هذا الأسلوب
في الدولة الأموية وأول الدولة العباسية .

كما كتب الحجاج بن يوسف إلى عبد الملك بن مروان^(٢)
في جواب كتابه إليه بتوبيخه له بسبب تعرضه لأنس بن
مالك رضى الله عنه ، على ما تقدم ذكره :

لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين ، فإنني أحمد^(٣) إليه الله الذي
لا إله إلا هو .

(١) بعده في صبح الأعشى : فاقصر أيها الرجل فإن لنا أحساباً هي خير من العمل لك إن رجعنا
إليها عشنا بها . ولعمري إن عندك من لا يدم معيشة ولا تدم له ، فإن كان ذلك فلم
يفتح قلبك ولم يشركك في عملك .

(٢) صبح الأعشى - ٦ ص ٤٧٨

(٣) جملة « فإنني أحمد أما بعد أصلح الله » ساقطة من صبح الأعشى .

أما بعد أصلح الله أمير المؤمنين وأبقاه ، وشلا
 حظه (١) وحاطه ولا أعدمناه ، فقد وصلني كتاب أمير
 المؤمنين أطال الله بقاه ، وجعلني من كل مكروه فِداه ،
 يذكر شتمى وتوبيخى بآبائى ، وتغييرى بما كان قبل
 نزول النعمة بى من عند أمير المؤمنين ، أتمَّ الله نعمته عليه
 وإحسانه إليه ، ويذكر أمير المؤمنين استطالة منى على
 أنس بن مالك ، وأمير المؤمنين أحقُّ من أقال عثرتى ، وعفا
 عن ذنبى ، وأمهلنى ولم يُعجلنى عند هفوتى ، للذى جُبل
 عليه من كريم طباعه ، وما قلده الله من أمور عباده ،
 فرأى أمير المؤمنين أصلحه الله فى تسكين روعى وإفراج
 كربتى ، فقد ملئت رعبا وفرقا من سطواته ، وقحمت
 نِقَماته ، وأمير المؤمنين - أقاله الله العثراتِ ، وتجاوز له
 عن السيئات ، وضاعف له الحسنات ، وأعلى له الدرجات -
 أحقُّ من صفح وعفا وتغمَّد وأبقى ، ولم يُشمت بى عدوا
 مُكِبًا ، ولا حسودا مُضِيبًا ، ولم يُجرِّعنى غُصصا ، والذى
 وصف أمير المؤمنين من صنيعته إلى ، وتقويمه (٢) بما أسند من
 عمله إلى ، وأوطأنى رقاب رعيته ، فصادق فيه مجزئ عليه

(١) فى الأصل : وسلا بحظه وفى صبح الأعشى : وسهل حظه . هذا : وشلاه رفعه .

(٢) فى صبح الأعشى . وتنويهه بما أسند .

بالشكر . والتوسلُ منى إليه بالولاية ، والتقربُ له بالكفاية ،
(٢٦٨ ب) وقد حضعت عند كتاب أمير المؤمنين ، فإن
رأى - طوّفى الله شكره ، وأعاننى على تأدية حقه ، وبلغنى
إلى ما فيه موافقة مرضاته ، ومدّ في أجله - أن يأمر بالكتاب
إلى من رضاه ، وسلامة صدره . ما يؤمننى به من سفك
دمى ، ويردّ ما شردّ من نومى ، ويطمئنّ به قلبى ، فعل ،
فقد ورد على أمر جليل خطبه ، عظيم أمره ، شديد كربه ،
أسأل الله أن لا يسخط أمير المؤمنين على ، وأن ينيله فى
حزمه وعزمه ، وسياسته وفراسته ، ومواليه وحشمه ، وعماله
وصنائعه ، ما يُحمدُ به حسنُ رأيه ، إنه ولىّ أمير المؤمنين ،
والذابُّ عن سلطانه ، والصانعُ له فى أمره ، والسلام .

ولما زاد المأمون فى الكتب المصادرة عنه بعد التحميد :
وأسأله أن يصلّى على محمد عبده ورسوله ، ألحقت فى
الكتب المكتوبة إلى الخليفة أيضا ، ويؤتى بعد البعديّة
بالدعاء للخليفة بما يناسبه من طول البقاء ونحوه .

والذى (١) استقرّ عليه الحال بعد ذلك فى الدولة العباسية
فى العراق على ما ذكره قدامة فى كتاب « الخراج » أن يكتب :

(١) انظر صبح الأعشى - ٦ ص ٤٨١

لعبدِ اللهِ فلانِ أبى فلانٍ - باسمه وكنيته ونعته ، ثم
يقال : - أمير المؤمنين ، سلامٌ على أمير المؤمنين ، فإنى
أحمد إليه الله الذى لا إله إلا هو ، وأسأله أن يصلى على
محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .

أما بعدُ ، أطال الله بقاء أمير المؤمنين ، وأدام عزه
وتأييده . وكرامته وحراسته ، وأتمَّ نعمته عليه ، وزاد
فى إحسانه إليه ، وفضله عنده ، وجميل بلائه لديه ،
وجزيل عطائه له .

قال فى « صناعة الكتاب » ثم يقال : أما بعد ، فإن كذا
وكذا ، حتى يأتى على المعانى التى يحتاج إليها ، وتكون المكاتبة :
وقد فعل عبدُ أمير المؤمنين كذا [فإذا زادت حاله لم يقل
عبدُ أمير المؤمنين] فإذا بلغ إلى الدعاء ترك فضاءً وكتب :
أتم الله على أمير المؤمنين نعمته ، وهنأه كرامته (١) ، وألبسه
عفوه وعافيته (٢) ، وأمنه وسلامته (١٢٦٩) والسلام على أمير
المؤمنين ورحمة الله وبركاته . واعلم أنه إن كان الكتاب
فى معنى حدوثِ نعمة من فتح أو غيره أتى بعد البعدية

(١) فى صبح الأعشى : نعمته وهنأه وكرامته .

(٢) فى الأصل : وعاقبته .

بخطبة مفتوحة بالحمد ، وربما زيد على ذلك إلى ثلاث
تحميدات ، ويكون خطاب الخليفة : بأمر المؤمنين ،
وتعبير المكتوب عنه عن نفسه بلفظ الأفراد ، ويختم
الكتاب بالإنهاء وما في معناه .

وهذه نسخة (١) كتاب كتب به أبو إسحاق الصابي

عن عز الدولة بن معز الدولة بن بويه الديلمي ، إلى
المطيع لله عند وصوله الموصل وانهزام أبي تغلب بن حمدان
عنها في سنة ثلاث وستين وثلاثمائة يوضح لك هذه الطريقة
ويبين سبلها . وهو

لعبد الله الفضل [الإمام] (٢) المطيع لله أمير
المؤمنين ، من عبده وصنيعته عز الدولة بن معز الدولة
مولى أمير المؤمنين ، سلام على أمير المؤمنين ورحمة الله
فإني أحمد إلى أمير المؤمنين الله الذي لا إله إلا هو ، وأسأله
أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله
وسلم .

(١) صبح الأعشى - ٦ ص ٤٨٢

(٢) الزيادة من صبح الأعشى نقلا عن مختارات الصابي .

أما بعد أطل الله بقاء أمير المؤمنين وأدام له العز والتأييد والتوفيق والتسديد ، والعلو والقدرة ، والظهور والنصرة .
والحمد لله العلى العظيم ، الأزلى القديم ، المنفرد بالكبرياء والملكوت ، المتوحد بالعظمة والجبروت ، الذى لا تحده الصفات ، ولا تحوزه الجهات ، ولا تحصره قرارة مكان ، ولا يغيره مرور زمان ، ولا تتمثله العيون بنواظرها ، ولا تتخيله القلوب بخواطرها ، فاطر السموات وما تُظَلُّ ، وخالق الأرض وما تُقِلُّ ، الذى دل بلطف صنعته ، على جميل^(١) حكمته ، وبين بجلى برهانه ، على خفى وحدانيته^(٢) ، واستغنى بالقدرة عن الأعوان ، واستقل بالغزة على الأقران^(٣) ، البعيد عن كل معادل ومضارع ، الممتنع عن كل مطاول ومقارع ، الدائم الذى لا يزول ولا يحول ، العادل الذى لا يظلم ولا يعجور ، الكريم الذى لا يظن ولا يبخل ، الحليم الذى لا (٢٦٩ ب) يعجل ولا يجهل ، ذلكم الله ربكم ﴿ لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين ﴾^(٤) ، مُنْزَل الرحمة على كل ولى توكل عليه ، وفوض إليه ، واثمر

(١) في صبح الأعشى : على جليل حكمته .

(٢) في صبح الأعشى : عن خفى وجدانه .

(٣) في صبح الأعشى : واستعمل بالغزة عن الأقران .

(٤) سورة غافر الآية ٦٥ .

بأوامره ، وازدجر بزواجره ، ومُجِلَّ النعمة بكل عدو صد
عن سبيله وَسَنِّه ، وصدف عن فرائضه وَسَنِّه ، وحاد
في مكسب يده ومسعاة قدمه ، وخائنة عينه وخافية صدره ،
وهو راتع رتعة النَّعْمِ السائمة ، في أَكْلاءِ النعم السابغة ،
وجاهل جهلها بشكر آلائها ، ذاهل ذهولها عن طرق
استيفائها ، فلا يلبث أن يُنزعَ سرايلها صاغرا ، ويُتعرَّى
منها حاسرا ، ويجعل الله كيده في تضليل ، ويورده شر
المورد الوبيل ، إن الله لا يصلح عمل المفسدين ، ولا
يَهْدِي كيد الخائنين .

والحمد لله الذي اصطفى للنبوَّة أحق عباده بحمل أعبائها ،
وارتداء ردائها ، محمدا صلى الله عليه وعلى آله وسلم ،
وعظَّم خطره وكرم ، فصدع بالرسالة ، وبالغ في الدلالة ،
ودعى إلى الهداية ، ونَجَّى من الغواية ، ونقل الناس عن
طاعة الشيطان الرجيم ، إلى طاعة الرحمن الرحيم ، وأعلقهم
بحبال خالقهم ورازقهم ، وعصمة محييهم ومميتهم ، بعد
انتحال الأكاذيب والأباطيل ، واستشعار المحالات
والأضاليل ، والتهوُّك في الاعتقادات الذابَّة^(١) عن النعم ، إلى

(١) في صبح الأعي : الذائنة عن النعم .

العذاب الأليم ، فصلى الله عليه من ناطقٍ بالحق ، ومنقذ
للخلق ، وناصح للرب ، ومُؤدِّ للفرص ، صلاة زاكية
نامية ، رائحة غادية ، تزيد على اختلاف الليل والنهار ،
وتعاقب الأعوام والأدوار .

والحمد لله الذى انتخب^(١) أمير المؤمنين [أطال الله بقاءه] ^(٢)
من ذلك السنخ الشريف ، والعنصر المنيف ، والعترة الثابت
أصلها ، الممتد ظلها ، الطيب جناها ، المنوع حماها ،
وحاز له مواريث آبائه الطاهرين ، صلوات الله عليهم
أجمعين ، واختصه من بينهم بتناول أمد الخلافة ،
واستحصال (٢٧٠) حبلا في يده ، ووفقه لإصابة
الغرض من كل مرمى يرميه ، ومقصد ينتحيه ، وهو -
جل ثناؤه - التحقيق بإتمام ذلك عليه ، والزيادة فيه لديه .
وأحمده سبحانه حمدا أبتيه ثم أعيده ، وأكرره وأستزيده ،
على أن أهل ركن الدولة أبا على ، وعضد الدولة أبا شجاع ،
موليا أمير المؤمنين ، وأهلى للأثرة عنده التى نددنا فيها
الأكفاء^(٣) ، وفُتْنَا فيها القُرناء ، وتقطعت دونها أنفاس

(١) في صبح الأعشى : انتخب أمير المؤمنين .

(٢) الزيادة من صبح الأعشى نقلا عن مختارات الصابي .

(٣) في صبح الأعشى : التى بددنا فيها الأكفاء .

المنافسين . وتضرمت عليها أحشاء الحاسدين ، وإن أولانى
 فى كل مَعزَى فى خدمة أمير المؤمنين أغزوه ، وَمَنْحَى أَنحوه
 وشَأى أَرأبه . وشَعث أَلَمّه [وعلدو أُرغمه] ، وزائغ أُقومه ،
 أفضل ما أولاه عباده السليمة غُيوبهم . النقية جيوبهم ،
 المأمونة ضمائرهم . المشحوذة بصائرهم . من تمكين يده .
 وتشبيت قدمه . ونصرة رأيه . وإعلاء كلمته . وتقريب
 بغبته . وإنالة أمنيته . وكذلك يكون مَنْ إلى ولاء أمير
 المؤمنين اعتزأوه . وبشعاره اعتزازه . وعن زناده قدحه .
 وفى طاعته كدحه . والله ولى [بإدامة] ما خولنيهِ من هذه
 المنقبة . وسوغنيهِ من هذه الموهبة ، وأن يتوحد (١) أمير
 المؤمنين فى جميع خدمه الذابيين لعن حوزته ، المنتمين إلى
 دعوته . بيمن الطائر . وسعادة الطالع . ونجاح المطلب ،
 وإدراك الأرب . وفى أعدائه الغامطين لنعمته ، الناقضين
 موثيق بيعته . بإضرع الخد ، وإتعاس الجد ، وإخفاق
 الأمل ، وإحباط العمل ، بقدرته .

ولم يزل مولانا أمير المؤمنين [أطال الله بقاءه] (٢) ينكر

(١) فى صبح الأعشى : وأن يتوجه أمير المؤمنين

(٢) الزيادة فى صبح الأعشى عن المختارات .

قديمًا من فضل الله بن ناصر الدولة أحوالًا حقيقيًا مثلها
بالإنكار ، ومستحقًا من ارتكبتها الإعراض . وأنا أذهب
في حفظ غيبه ، وإجمال محضره . وتمحل حجته وتلفيقها
وتأليف معاذيره وتنميقها . مذهبي الذي أعمر^(١) به كل
من جرى [مجراه] من ناشئ في دولته . ومغتد^(٢٧٠) ب)
بنعمته ، ومنتسب إلى ولايته ، ومشهور بصنيعته ، وأقدر
أن أستصلحه لأمير المؤمنين ، [أطال الله بقاءه] وأصلحه
لنفسه بالتوقيف على مسالك الرشاد ، ومناهج السداد ، وهو
يريني أن قد قبل وارعوى ، وأبصر واهتدى ، حتى رغبت
إلى أمير المؤمنين فيما شفّعني متفضلًا فيه ، من تقليده
أعمال أبيه ، والقناعة منه في الضمان بميسور بذله ، وإيثاره
به على من هو فوقه من كبراء إخوته وأهله .

فلما بلغ هذه الحال ، أَلَطَّ بالمال ، وخاس بالعهد ،
وطرّق لفسخ العقد ، وأجرى إلى أمور^(٢) كرهتها ، ونفد
الصبر مني عليها ، وخفت أن أستمّر على الإغضاء عنها
والمسامحة فيها ، فيطلع الله مني على إضاعه الاحتياط في
أمر قلدي أمير المؤمنين زمامه ، وضمني دركه ، وإرخاء

(١) في صبح الأعشى : مذهبي الذي أَرَعُمُ به .

(٢) في صبح الأعشى : إلى أموراً

لبس رجل قبل في الاعتماد عليه رأيي ، وعول في أخذه بما يازمه على نظري واستيفائي - فتناولته بأطراف العدل مُلَوِّحاً ، ثم بأثباجه مفصصها مصرحاً .

ورسستُ لعبد أمير المؤمنين الناصح أبي طاهر أن يحل (١) به وبوسطائه وسفرائه في حال ، ويدخل عليهم من طريق المشورة والرفق في أخرى ، وينتقل معه بين الخشونة التي يقيمونها فيها أخرى ، واللين الذي لا يجوز أن يحسه مني ، وتقديراً لانثائه ، وزوال التوائه ، ففعل ذلك على رسمه في التآني لكل فاسد حتى يصلح ، ولكل آبٍ حتى يسمع ، ولم يدع التناهي في رعه ، والتمادي في نصحه ، وتعريفه سوء عاقبة اللجاج ، ومغبة الإحراج ، وهو يزيد طمعاً في الأموال وشرها ، وعمى في الرأي وعمها ، إلى أن كاد أمرنا معه يخرج عن حد الانتظار ، إلى حد الرضى بالإصرار ، فاستألفت أذراع الحزم ، وامتطاء العزم ، ونهضت إلى أعمال الموصيل وعندى أنه يغنيني عن الإتمام ، ويتلقاني بالإعتاب وينقاد إلى المراد ، ويتجنب طرق العناد .

(١) في صبح الأعشى : أن يُجيدَ به .

فحين عرف (٢٧١) خبر مسيري ، وجدى فيه
وتشميري ، برز بروز المخالف ، المكاشف ، وتجرد تجرد
المواقع المواقف ، وهو مع ذلك إذا ازددت منه قربا ازداد
منى رعبا ، وإذا دلفت إليه ذراعا ، نكص عنى باعا .

وتوافت إلى حضرتى وجوه القبائل من عقيل وشيبان
وغيرهما فى الجمع الكثيف من [صعاليكهما ، والعدد
الكثير من] صناديدهما ، داخلين فى الطاعة ، متصرفين فى
عوارض الخدمة .

فلما شارفتُ الحديثة انتقضت عزائم صبره ، وتقوضت
دعائم أمره ، وبطلت أمانيه ووساوسه ، واضمحلت خواطره
وهواجسه ، واضطرب عليه من ثقاته وغلمانه من كان بهم
يعتضد ، وعليهم يعتمد ، وبدأوا بخذلانه والأخذ لنفوسهم ،
ومفارقتة والطلب لحظوظهم ، وحصل منهم بحضرتى إلى
هذه الغاية زهاء خمسمائة رجل ذوى خيل مختارة ، وأسلحة
شاكية ، فصادفوا عندى ما أملوا من فائض الإحسان ،
وغامر الامتنان ، وذكروا عمن وراءهم من نظرائهم التنزى
إلى الانجذاب ، والحرص على الاستئمان ، وأنهم يردون
ولا يتأخرون ، ويبادرون ولا يتلومون .

ولما رأى ذلك لم يملك نفسه أن مضى هاربا على طريق
سنجار ، منكشفاً عن هذه الديار ، قانعا من تلك الآمال
الخائبة ، والظنون الكاذبة ، بسلامة حُشاشة هي رهينة
غيها ، وصريعة بغيها .

وكان انهزامه بعد أن فعل الفعل السخيف ، وكاد
بالكيد الضعيف^(١) ، بأن أغرق سفن الموصل وعُرُوبها^(٢) ،
وأحرق جسرهما ، واستندم^(٣) إلى أهلها ، وتزود منهم اللعن
المُطيف به أين يَمِّم ، الكائن معه حيث خيم .

ودخلتها يومى هذا - أيد الله أمير المؤمنين - دخول
الغانم الظافر ، المستعلى الظاهر ، فسكنت من نفوس سكانها ،
وشرحت صدور قُطانها ، وأعلمتهم ما أمرنى به أمير المؤمنين -
[أدام الله عزه] ، وأعلى الله أمره - من (٢٧١ ب) تأنيس
وحشتهم : ونظم ألفتهم ، وضم نسرهم ، ولم شعثهم ،
وإجمال السيرة فيهم في ضروب معاملاتهم وعلقهم ،
وصنوف متصرفاتهم ومعايشهم ، وكثر منهم الثناء

(١) في صبح الأعشى : و نادنا الكيد الضعيف .

(٢) العروب نوع من السفن الرواكد كان في دجلة « هامش صبح الأعشى » .

(٣) استندم : فعل ما يُدْمُ عليه . « هامش صبح الأعشى » .

والدعاء ، والله سامع مارفعوا ومجيب ما سألوا ، وأجلتُ حالُ
هذا الجاهل - (١) أيد الله أمير المؤمنين - عن أقبح هزيمة ،
وأذل هزيمة ، وأسوأ رأى . وأنكر إخساء (٢) ، لأنه لم
يلتقى لقاءً الباطع بالطاعة ، المعتذر من سالف التفريط
والإضاعة ، ولا لقاء المصدق لدعواه في الاستقلال بالمقارعة ،
المحقق لزعمه في الثبات للمدافعة ، ولا كان في هذين
الأميرين بالبر التقي ، ولا الفاجر الغوي (٣) ، بل جمع بين
نقيصة شقاشقه وغدره ، وفضيحة جنبه وخوره ، متنكبا
للصلاح ، عادلا عن الصواب ، قد ذهب عنه الرشاد ،
وضربت بينه وبينه الأسداد ، وأنزله الله منزلة مثله ممن
أساء حفظ الوديعة ، وجوار الصنيعة ، واستوجب نزعهما
منه ، وتحويلهما عنه ، وتأملت - أيد الله مولانا أمير
المؤمنين - أمره على التجريب ، وتصفحته بالتقليب (٤) ،
فإذا هو الرجل الذي أطاع أبوه فيه هوى أمه ، وعصى
دواعي رأيه وحزمه ، وقدمه من ولده على من هو آانس

(١) في الأصل : وأجلت حال هذا الحال .

(٢) في صبح الأعشى : وأسوأ رأى ، وأنكر اختيار .

(٣) في الأصل الفاجر القوي .

(٤) في الأصل : أمره بالتجريب ، وتصفحته على التقليب .

رشداً ، وأكبر سناً ، وأثبت جأشاً ، وأجرأ جناحاً ، وأشجع قلباً ، وأوسع صدراً ، وأجدر بمخايل النجابة ، وشمائل اللبابة ، فلما اجتمعت له أسباب القدرة والثروة ، وأمكنته مناhez الغرّة والفرصة ، وثب عليه وثبة السرحان ، في ثلة الضان ، وجزاه جزاء أم عامر بمجيرها ، إذ فرّته بأنيابها وأظافرها ، واجتمع وأخوه من الأم ، المرتضع معه لبان الإثم ، المكني أبا البركات - وليس باب لها ، ولا جرى^(١) لشيء منها - على أن نشزاه عنه وعقاه ، وقبضاً عليه وأوثقاه ، وأقرّاه من قلعتهما بحيث تُقرّ العتاة ، وتُعاقب الجناة ، ثم أتبعنا ذلك باستحلال دمه ، وإفاضة مهجته ، غير راعيين^(٢) فيه حق (٢٧٢) الأبوة ، ولا حانئين عليه حنو البنوة ، ولا متذممين من الإقدام على مثله ممن تقدمت عند سلطانه قدّمه ، وتوكدت أواصره وعصمه ، ولا راحمين له من ضعف شيخوخته ، ووهل كبره^(٣) ولا مصغيين إلى وصية الله إياهما به ، التي نصّها في محكم كتابه ، وكررها في آية وبيناته إذ يقول ﴿ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴾^(٤) وإذ يقول

(١) في صبح الأعشى : ولا جرى بشيء

(٢) في الأصل : غير راعين فيه ولا حانين .

(٣) في صبح الأعشى : وذهل كبرته .

(٤) سورة لقمان الآية ١٤

﴿ وَفَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا
 يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ
 وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا . وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ
 الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ۝ (١)

فبأى وجه يلقى الله قاتل والد حدب قد أمر ألا ينهره ؟
 وبأى لسان ينطق يوم يسأل عما استجاره فيه وفعله ؟
 وتالله لو أن بمكانه عدوا لهما قد قارضهما الذحول (٢) ، وقارعهما
 عن النفوس ، لقبح بهما أن يلوئما ذلك اللؤم عند الظفر
 به ، وأن يركبا تلك الخطة الشنعاء في الأخذ بناصيته ، ولم
 يرض « فضل الله » بما أتاه إليه حتى استوفى حدود قطع الرحم ،
 بأن تتبع أكابر إخوته السالكين خلاف سبيله ، المستبرئين
 إلى الله من عظيم ما اكتسب ، ووخيم ما احتقب ، لما غضبوا
 لأبيهم ، وامتعضوا من المستحل فيه وفيهم ، فقبض على
 محمد بن ناصر الدولة حيلة وغيلة ، وغدرا ومكيدة ،
 ونابد حمدان بن ناصر الدولة منابذة خار الله له فيها ،
 بأن أصاره من فناء أمير المؤمنين إلى الجانب العزيز ،

(١) سورة الإسراء الآيتان ٢٣ ، ٢٤ ،

(٢) في الأصل : قارضهما الذحول .

والجزز الحريز ، وأن أجرى الله على يده الحرب الواقعة
بينه وبين المعروف بكنيته أبي البركات ، التي لقاء الله
فيها نحسه ، وأتلف نفسه ، وصرعه بعقوقه وبغيه . وقنعه
بعاره وخزيه ، ومع ذلك لا يتعظ . ولا ينزع ولا يقلع
ولا يزدجر ، إصرارا على الجرائر التي الله عنها حسبه ،
وبها طليبه ، والدنيا والآخرة (٢٧٢ ب) مرصدتان له
بالجزاء المحقوق عليه ، والعقاب المسبوق^(١) إليه ، وأعظم من
هذا كله - أيد الله أمير المؤمنين - خطبا ، وأوعر مسلكا
ولحبا ، أن من شرائط العهد الذي كان عهد إليه ، والعقد
الذي عقده ، والضمان المخفف مبلغه عنه ، المأخوذ عفوه منه
أن يتناهى في ضبط الثغور وجهاد الروم ، وحفظ الأطراف ،
ورم الأكناف ، فما وفى بشيء من ذلك ، بل عدل عنه إلى
الاستئثار بالأموال واقتطافها ، وإحرازها في مكانها
وقلاعها ، والضمن بها دون الإخراج في وجوهها ، والوضع
لها في حقوقها ، وأن تراخى في أمر عظيم الروم مهملًا ،
واطرح الفكر فيه مغفلا ، حتى هجم في الديار ، وأثر
الآثار ، ونكى القلوب ، وأبكى العيون ، وصدع الأكباد

(١) في صبح الأعشى : والعقاب المسوق إليه .

وأحرَّ الصدور ، فما كان عنده فيه ما يكون عند المسلم
القارئ لكتاب الله إذ يقول ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآنَ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ
وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ
الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١) بل صدف عن
ذكر الله لاهيا ، وعدل عن كتابه ساهيا ، واستفسخه
ذلك البيع والعقد ، وتنجزه الوعيد لا الوعد ، ولاطف
طاغية الروم وهاداه ، وأماره (٢) وأعطاه ، وصانعه بمال المسلمين
الذين يلزمه ، إن سلم دينه وصح يقينه ، أن ينفقه في
مرايضهم (٣) ، ويذب به عن حريمهم ، لا أن يعكسه عن جهته ،
ويلفته عن وجهه ، بالنقل إلى عدوهم ، وإدخال الوهن
بذلك عليهم ، وقاد إليه من الخيل العتاق ما هو الآن عون
للكفر على الإيمان ، ونجدة للطاغية على السلطان ،
وكان فيما أتخفه به الخمر التي حَظَرَ اللهُ عليه أن يشربها

(١) سورة التوبة الآية ١١١

(٢) في صبح الأعشى : وماره ، هذا وماره وأماره بمعنى واحد هو تقديم الميرة .

(٣) في صبح الأعشى : أن ينفقه في مرايضهم .

ويستقيها ، وتعيده بأن يجتنبها (٢٧٣) ويجتويها ،
وصلبان ذهب صاغها له وتقرّب بها إليه تقرّبا قد باعده
الله فيه عن الإصابة والأصالة ، وأدناه من الجهالة والضلالة .
حتى كأنه عامل من عماله ، أو بطريق من بطارقه .

فأما فشله عن مكافحته ، ولهجه بملاطفته ، ففسد الذي
أمره الله به في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ
يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ
الْمُتَّقِينَ ﴾ (١) . وأما ما نقله من الخيل عن ديار المسلمين إلى
ديار أعدائهم . فنقيض قوله عز وجل ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا
اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ وَعَدُوَّ اللَّهِ
وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (٢) .

وأما إهداؤه الخمر والصلبان . فخلاف عليه تبارك اسمه
إذ يقول ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ
مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٣) كل ذلك
عنادا لرب العالمين ، وطمسا لأعلام الدين ، وضننا بما

(١) سورة التوبة الآية ١٢٣

(٢) سورة الأنفال الآية ٦٠

(٣) سورة المائدة ٩٠

تحمى عليه من ذلك الحطام ، المجموع من الحرام ،
المُثَمَّر من الآثام ، المقتطع من فئ الإسلام ، [وقد فعل الآن
بى وبالعسكر التى معى ومن نضمُّ من أولياء أمير المؤمنين] (١)
الذين هم إخوته وصحبه ، إن كان مؤمنا ، وأنصاره
وحزبه إن كان موقنا ، من توعير المسالك وتفريق (٢) الغروب ،
وتضييق الأوقات ، واستهلاك الأزواد ، ليوصل إلينا الضر ،
ويأحق بنا الجهد ، فَعَلَ العدو المبين ، المخالف فى الدين ،
فهل يجتمع فى [أحد من المساوى - أيد الله أمير المؤمنين -
ما اجتمع فى] (٣) هذا الناد العائد ، والشاذ الشارد ؟ وهل يُطمع
من مثله فى حق يقضيه ، أو فرض يؤديه ، أو عهد يرعاه ،
أو ذمام يحفظه ، وهو لله عاص . وإمامه مخالف ،
ولوالده قاتل ، ولرحمه قاطع ؟ كلا والله ! بل هو التحقيق
بأن تثنى إليه الأعنة ، وتشرع نحوه الأسنة ، وتنصب
له الأرصاء ، وتشحذ له السيوف الحداد ، ليقطع الله بها
دابره ، ويجب غاربه ، ويصرعه مصرع (٤) الأثيم المليم ، المستحق

(١) الزيادة من صبح الأعشى .

(٢) فى صبح الأعشى : وتفريق الغروب .

(٣) الزيادة فى صبح الأعشى نقلت عن مختارات رسائل الصابى أما فى الأصل فساقطة وترك
لهافيه فراغ صغير وكذلك كانت غير موجودة فى أصول صبح الأعشى .

(٤) فى الأصل : ويصرعه المصرع الأثيم .

للعذاب الأليم ، أو يفيء إلى الحق ، إفاعة الداخل فيه بعد
(٢٧٣ ب) خروجه ، العائد إليه بعد مرقه ، التائب
المنيب ، النازل المستقيل ، فيكون حكمه شبيهاً بحكم
الراجع عن الردة ، المحمول على ظاهر الشريعة ، والله يهدى
من يشاء إلى صراط مستقيم .

والحمد لله الذي هدانا لمرشدنا ، ووقف بنا على السبل
المنجية لنا ، والمقاصد المفضية إلى رضاه ، المعينة (١)
من سطاه .

والحمد لله الذي أعز أمير المؤمنين بالنصر ، وأعطاه
لواء القهر ، وجعل أوليائه العالين الطاهرين ، وأعداءه
السافلين الهابطين ، وهنأه الله هذا الفتح ولا أخلاه من
أشكال له تقفوه وتتبعه ، وأمثال تتلوه وتشفعه ، وأصيلاً
فيها إلى ما وصل فيه إليه من حيازته مهناً ، لم يسفك فيه
دم ، ولم ينتهك فيه محرم ، ولم ينل جهد ، ولم يمسس
نصب .

أنهيت إلى أمير المؤمنين ذلك ليضيف صنع الله [له]
فيه ، إلى السالف من عوارفه عنده وأياديه ، وليجدد من

(١) في صبح الأعشى : البعثة .

شكره جل و علا ما يكون داعيا إلى الإدامة والمزيد ، مقتضيا
للعون والتأييد ، إن شاء الله تعالى .

الأسلوب الثاني

مما يكتب به إلى الخلفاء أن يفتح الكتاب بخطبة
مفتوحة بالحمد لله ، وربما كرر الحمد إلى ثلاث ، ويقع
ذلك في الكتب التي تظهر فيها النعمة كالفتوح ونحوها

وهذه نسخة من ذلك (١)

كتب بها العماد الأصفهاني عن السلطان صلاح الدين
يوسف بن أيوب إلى الإمام الناصر لدين الله بفتح طبرية
وعكاً وما معها من سواحل الشام ، مصدره بآية من كتاب
الله تعالى ، وهي : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ
أَنَّ الْأَرْضَ يَرثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ (٢) .

(٢٧٤ |) الحمد لله على ما أنجز من هذا الوعد ، على
نصرة هذا الدين الحنيف من قبل ومن بعد ، وعلى أن
أجرى هذه الحسنة التي ما اشتمل على مثلها كرائم

(١) صحح الأعمى - ٦ ص ٥١٧

(٢) سورة الأنبياء الآية ١٠٥

الصحائف ، ولم يجادل عن مثلها في المواقف . في الأيام
الإمامية الناصرية زادها الله غررا وأوضاحا ، ووالى البشائر
إليها (١) بالفتوح غُدُوًّا ورواحا ، ومكن سيوفها في كل مَازِق ،
من كلِّ كافر ومارق ، ولا أخلاها من سيرة سَرِيَّةٍ تجمع
بين مصلحة مخلوق وطاعة خالق ، وأطال أيدي أوليائها
لتحمي بالحقيقة حِمَى الحقائق ، وأنجزها الحقَّ وقذف
بها على الباطل الزاهق ، وملكها هوادى المغرب ومرامى
المشارق ، ولا زالت آراؤها في الظلمات مصابيح ، وسيوفها
للبلاد مفاتيح ، وأطراف أسنتها لدماء الأعداء نوازح .

والحمد لله الذى نصر [سلطان] الديوان العزيز وأيده ،
وأظفر جنده الغالب وأنجده ، وجلا به جلايب الظلماء
وجدد جده ، وجعل بعد عسر يسرا ، وقد أحدث الله بعد
ذلك أمرا ، وهون الأمر الذى ما كان الإسلام يستطيع
عليه صبرا ، وخوطف الدين بقوله ﴿ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ
مَرَّةً أُخْرَى ﴾ (٢) فالأولى في عصر النبي والصحابة ، والأخرى
هذه التى عتق فيها من رق الكآبة ، فهو قد أصبح حُرًّا ،

(١) في صبح الأعشى : ووالى البشائر فيها

(٢) سورة طه الآية ٣٧

فالزمان كهيئته استدار ، والحق ببهجته قد استنار .
والكفر رد ما كان عنده من المستعار ، وُعْسل ثوب الليل
بما فجرّ الفجر منها أنهار النهار ، وأنى الله بنيان الكفر من
القواعد ، وشفى غليل صدور المؤمنين برقراق الموارد ذات
البوارد^(١) ، أنزل ملائكة لم تظهر للعيون اللاحظة : ولم
تخف عن القلوب الحافظة ، عَزَّتْ غُزَاةُ الإِسْلَامِ بِمَسْمُومِيهَا^(٢)
وترادف نصره بِمُرْدَفِيهَا ، وأخذت القرى وهي ظالمة فترى
مترفياً كأنه لم تُرْ^(٣) فيها ، فكم أقدم بها حيزوم ، وركض
فأتبعه (٢٧٤ ب) سحبٌ عجاجٍ مَرَكُومٍ ، وضرب
فإذا ضربه كتابٌ جراحٍ مرقوم ، وإلا فإن الحروب إنما
عقدت سجالا ، وإنما جمعت رجالا ، وإنما دعت خفافا
وثقالا ، فإما سيوف تقاتل سيوفا ، أو زحوف تقاتل
زحوفا ، فيكون حد الحديد بيد مذكرا ويد مؤنثا ، وهو
أن السيف في اليد الموحدة ، يغني بالضربة الموحدة ، وفي
اليد المثلثة لا يُغني بالضرب مثلثا ، وذلك أنه في فئتين
التقتا ، وعدوتين لغير مودة اعتنقتا ، وإن هذه النصرة

(١) في صبح الأعشى : برقراق ماء المورديات البوارد .

(٢) في صبح الأعشى : عزت سببا الإسلام بمسومها .

(٣) في صبح الأعشى : فترى مترفيا كأن لم تزور فيها .

إن رويت عن ملائكة الله فما جحدت كراماتهم ، وإن رويت عن البشر فقد عرفت قبلها مقاماتهم ، فما كان سيف يتقيظ من جفنه قبل أن ينبه الصريخ . ولا كان ضرب يُطير الهام قبل ضرب يراه الناظر ويسمع المُصيخ ، فكُم ضربة (١) كأنها هجره الموت وبها التاريخ ، وكم طعنة تخر لها هضاب الحديد وهي (٢) شماريخ .

والحمد لله الذي أعاد الإسلام جديداً ثوبه ، حديداً حبله ، مبيضاً نصره . مخضراً نصله ، متسعاً فضله . مجتمعاً شمله . والخادم يشرح من نبيل هذا الفتح العظيم ، والنصر الكريم ، ما يشرح صدور المؤمنين ، ويمنح الحبور لكافة المسلمين ، ويكرر البشرى بما أنعم الله به - من يوم الخميس الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر إلى يوم الخميس منسلخه - وتلك سبع ليالٍ وثمانية أيام حُسُوما سخرها الله على الكفار ﴿ فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَانَهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ (٣) ورايتها إلى الإسلام ضاحكة كما كانت من الكفر باكية ، فيوم الخميس الأول فتحت

(١) في صبح الأعشى : نكم قرية كأنها

(٢) في صبح الأعشى : ولها شماريخ . وفي الأصل وكم طعنة تجر .

(٣) سورة الحاقة الآية ٧

طبرية وفاض رى النصر من بحيرتها ، ووقفت على
جسرها الفرنج بقلقها وخيرتها^(١) ، وفي يوم الجمعة والسبت
كسبر الفرنج الكسرة التي مالهم بعدها قائمة ، وأخذ الله
أعداءه بأيدي أوليائه أخذ القرى وهي ظالمة ، وفي الخميس
منسلخ الشهر فتحت عكا بالأمان ، وأقيمت بها أعلام
الإيمان ، (٢٧٥) وهي أم البلاد ، وأخت إرم ذات
العماد ، وأصبحت كأن لم تغن بالكفر ولم تفتقر من
الإسلام ، إذ بلغ المسلمون من أعدائهم المراد^(٢) .
وقد أصدر هذه المطالعة وصيلب الصلْبوت مأسور ،
وقلب ملك الكفر الأسير جيشه المكسور مكسور ، والحديد
الكافر الذى كان فى يد الكفر يضرب وجه الإسلام ، قد
صار حديداً مسلماً يفرق خطوات الكفر عن الإقدام ، وأنصار
الصلبوت وكباره ، وكل من المعمودية عمده والدير
داره ، قد أحاطت به يد القبضة ، وأخذ رهنا فلا تقبل
فيه القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، وطبرية قد
رُفعت أعلام الإسلام عليها ، ونكصت من عكا ملّة الكفر
على عقبها ، وعمرت إلى أن شهدت يوم الإسلام وهو خير

(١) فى صبح الأعشى : وقفت على جسرها الفرنج فقضت نجها بحيرتها .

(٢) جملة : « إذ بلغ ... » ليست فى صبح الأعشى

يوميها ، بل ليس من أيام الكفر يوم فيه خير ، وقد غُسل من بلاد الإسلام بدماءِ الشرك ما كان يتخلَّلها فلا ضرر ولا ضير ، وقد صارت البيع مساجد^(١) بها من آمن بالله ، واليوم الآخر ، وصارت المناجر مواقف لخطباء المنابر ، واهتزت أرضها لوقوف المسلمين فيها وطالما ارتجت لموقف الكافر ، والبأس الإمامي الناصريّ قد أمضى فتكاته على يد الخادم حتى بالدمى^(٢) في الكنائس ، وإن عزَّ أول الإسلام بِحِطِّ تاج فارس^(٣) ، فكم حطت سيوفه في هذا اليوم من تاج فارس .

فأما القتلى والأسارى فإنها تزيد على ثلاثين ألفا .

وأما فرسان الداوية^(٤) والاستبارية فقد أمضى حكم الله فيهم وقطع بهم سيوف نار الجحيم ، ووصل الراحل منهم إلى الشقاء المقيم ، وقتل بابر نس كافر الكفار^(٥) [ومشيد النار ، من يده في الإسلام كما كانت يد الكليم ،]^(٦)

(١) في صبح الأعشى : مساجدهم بها .

(٢) في صبح الأعشى : قد أمضى مشكاته على يد الخادم حتى بالداني في الكنائس .

(٣) في صبح الأعشى : بحط تاريخ فارس .

(٤) في صبح الأعشى : ر أما فرسان الداوية .

(٥) في صبح الأعشى : وقتك بفرنس كافر الكفار .

(٦) الزيادة من صبح الأعشى .

وعجل بجسده إلى السيف . وبروحه الخبيثة إلى النار (١)
وافترت النصره عن ثغر عكا بحمد الله الذي يسر فتحها .
وتسلمنها الملة الإسلامية بالأمان وعرفت في هذه الصنفمة
ربحها . وأما طبرية فاقتسرتها (٢) يد الحرب فأنهزت
الحرب جرحها .

فالحمد لله حمدا لا تُضرب عليه (٢٧٥ ب) الحدود ،
ولا تُزكى بأزكى منه العقود ، وكأنه بالبيت المقدس وقد
دنا الأقصى من أقصاه ، وبلغ الله فيه الأمل الذي علم أن
لن يُحصيه وأحاط بأجله وأقصاه (٣) : لكل أجل كتاب ،
وأجل العدو هذه الكتائب الجامعة : ولكل عمل ثواب ،
وثواب من جزى بطاعته (٤) جنات نعيمه الواسعة ، والله المشكور
على ما وهب ، والمسئول في إدامة ما استيقظ من حد الإسلام
وهب .

وقد توجه من جانبه الأمير رشيد الدين دام تأييده
في إهداء هذه البشرية نيابة عن الخادم ، ووصف ما يسره

(١) جملة « وعجل بجسده إلى النار » غير موجودة في صبح الأعشى .

(٢) في صبح الأعشى : فاقترتها .

(٣) في صبح الأعشى : الذي علم أن يحصيه .

(٤) في صبح الأعشى : وثواب من هدى بطاعته

الله لأوليائه من العزائم (١) ، والبلاد والمعقل التي فُتحت هي :
« طَبْرِيَّة ، عكا ، الناصرة ، صَفُّورِيَّة ، قَيْسَارِيَّة ، نابُلُس ،
حَيْفَا ، مَعْلِيَا ، القزلة ، الطُّور ، الشَّقِيف » وقلاعٌ بين هذه
كثيرة . والولدُ المظفَّرُ تقيُّ الدين بصُورٍ وحِصنٍ تَبْنِينٍ .
والأخ العادل سيفُ الدين نصره الله قد أركب بالوصول (٢)
مَنْ عنده من العساكر ، فنزل في طريقه على عَزَّة وَعَسْقَلان ،
ويُجهِّزُ مرابك الأَصطُول المنصور فيكثر عددها ، ويُسَيِّرُها
إلى ثغر عكا المحروس ويشحنها بالرجال ، ويوفر سلاحها
وعُددها ، والنهوض إلى القدس فهذا أوان فتحه ، ولقد
دام عليه ليل الضلال ، وقد آن أن يستقر فيه الهدى
مشكور الإحسان ، إن شاء الله تعالى .

الأسلوب الثالث ، مما يكتب للخلفاء أن يفتح الكتاب
بالتصليية على الخليفة على مذهب من يُجوز من الفقهاء
الصلاة على غير الأنبياء عليهم السلام إلا بطريق التبعية .

(١) في الأصل ووصف بالنصرة لأوليائه

(٢) في صبح الأعشى : قد أوفت (؟) بالوصول من عنده من عندي من العساكر .

وهذه نسخة كتاب من ذلك (١)

كتب به القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني عن
السلطان صلاح الدين (١٢٧٦) يوسف بن أيوب أيضا
في البشرى بفتح بلد من بلاد النوبة وانهزام ملكها بعساكره
وهي :

صلوات الله التي أعدها لأوليائه ودخرها ، وتحياته
التي قذف بشهبها شياطين أعدائه ودخرها ، وبركاته التي
دعا بها كل موحد فأجاب ، وانقشع بها غمام الغم وظلام
الظلم فأنجاب عن أنجاب ، وزكاته (٢) التي هي للمؤمنين
سكن ، وسلامه الذي لا يعترى الموقنين في ترديده حصراً
ولاً لكن ، على مولانا أمير المؤمنين عاقد ألوية الإيمان ،
وصاحب دور الزمان ، وساحب ذيل الإحسان ، وغالب
حزب الشيطان ، الذي زلزلت إمامته قدم الباطل ، وحلت
خلافته ترائب الدهر العاقل ، واقتضت سيوفه ديون الدين
من كل غريم ماطل ، وأمضت غرب كل عزم للحق مفلول
وأطلعت غارب (٣) كل نجم آفل ، وشفعت يقظات استغفاره

(١) صح الأعشى ٦٠ ص ٥١٢

(٢) في الأصل وبركاته .

(٣) في الأصل : وأطلقت غارب كل هدى .

إلى غافر ذنب كل غافل ، وعلى آبائه الغاية والمنزوع .
والملاذ في وقت الفرع ، والقائمين بحقوق الله إذ قعد الناس ،
والحاكمين بعدل الله إذ عُدِم القِسْطاس ، والمستضيئين
بأنوار الإلهام المؤرثة من الوحي إذا عجز الاقتباس ،
والصابرين في البأساء والضراء وحين الباس ، نُزَّانِ الحِكم
وحفاظها ، ومعاني النعم وألفاظها ، وأعلام العلوم المنشورة
إلى يوم القيامة ، وكالئى السروح المنتشرة من كلاءته
بيد الإمامة ، ومن لا ينفدُ سهم عمل إلا إذا شُحِن^(١) بمولاتهم ،
ولا يتألق صبح هداية إلا إذا استصبح السارى بدلالاتهم .

المملوك يقبل الأرض بمطالع الشرف ومنازله ، ومرابع
المجد ومعاقله ، ومحابس الجود ، ومحال السجود ، ومختلف
أنبياء الرحمة المنزلة ، ومرسى أطواد البسيطة المنزلة ،
ومفتر مباسم الإمامة ، ومجرّ مساحب الكرامة ، ومكان
جنوح أجنحة الملائك ، ومُشْتَجِر مناسك المناسك ،
حيث يدخلون (٢٧٦ ب) من كل باب مُسَلِّمين ، وتتبعهم
ملوك^(٣) الأرض مُستسلمين ، ومشاهد الإسلام كيوم أنزل فيه :

(١) في صبح الأعشى : شحذ .

(٢) في صبح الأعشى : ومجالس .

(٣) في الأصل : ملائكة .

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (١) . وينعقد على الولاية فأما غيره فله قوله ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ﴾ (٢) ويناجيها بلسان جلّى الإخلاص الصادق عقيدته ، ونشط الولاء السابق عقيلته ، وأرهدف الإيمان الناصح مضاربه ، وفسح المعتقد الناصح مذاهبه ، فأعرب عن خاطر لم يخطر فيه لغير الولاء خطرة ، وقلب أعانه على ورد الولاء صفاء (٣) المصافاة فيه فطرة ، ويخبر [أنه ما وهن] عما أوجبه آلاؤه ولا وهى ، ولا انثنى عزمه عن أن يقف حيث أظلت سدرة المنتهى ووضحت الآيات لأولى النهى ، والله سبحانه يزيل عنه فى شرف المثول عوائق القدر وموانعه ، ويكشف له عن قناع الأنوار التى ليست همته مما دون نظرها قانعة ، وكان توجه منصورا بجيش دعائه ، قبل جيش لوائه ، وبعسكر إقباله ، قبل عسكر قتاله ، وبنصال سلطانه ، قبل نصال أجفانه ، لا جرم أن كتائب الرعب سارت أمام الكتائب ، وقواضب الحذر غمضت فى جفونها عيون القواضب ، وسار أولياء أمير المؤمنين الذين تجمعوا من كل أمة ، وتداعوا بلسان النعمة ، وتصرفوا بيد الخدمة ، وصالوا بسيف العزمة ،

(١) سورة المائدة الآية ٣

(٢) سورة التوبة الآية ١٢٣

(٣) أضيف فى صبح الأعشى من المحققين : الولاء [أن] صفاء .

متواخية نياتهم في الإقدام ، متألّفة طوياتهم في طاعة
الإمام . كالبنيان المرصوص انتظاما ، وكالغاب المُشجِر
أعلاما ، وكانهار الساطع حديدا وهّاجا . وكالليل السابل (١)
عجاجا عجّاجا . وكانهر المتدافع أصحابا ، وكالمُشط
المُطرّد اصطحابا ، والأرض ترحل برحلهم لما ترفعه الحوافر
من غيومها ، والسماء تنزل بنزولهم لما تضعه الدوابل من
نجومها . فما انتشرت رياضها المزهرة . وغياضها المُشجرة ،
إلا دلّت على أن السحاب الذي سقاهم كريم ، والإنعام
الذي غمّهم عظيم ، والدنيا التي وسعتهم من عزمته
تُظعن وتُقيم . (١٢٧٧) ولما علم العدو أن الخطب المظنون
قد صرّح خطابه . والأمل المخدوع قد صفر وطابه ، راسل
ورأى سلّ السيوف يُغمّده ، وما كَرَّ وما كَرَّ لعلمه أن الحتف
يغمّده ، واندفع هاربا هائبا ، وخضع كائبا كاذبا ، فمضى
المملوك قُدّما ، وحمله ظلّمه ﴿ وقد خاب من حمل ظلّما ﴾ (٣)
وأجابه بأنّه إن وطئ البساط برجله وإلا وطئه برأسه ، وإن
قدم على المملوك بأمله وإلا أقدمه ببأسه ، وإن لم يُظهر أثر
التوبة وإلا أقام عليه الحدّ بسكرة الموت من كأسه ، فلم

(١) في صبح الأعشى : الشامل .

(٢) في الأصل : أقدّر .

(٣) سورة طه الآية ١١١

يخرج من مراوغة تحتها مُعاورة ، ومُكاسرة وراءها
مكاشرة فاستخار الله في طلبه ، وانتهاز فيه فرصة شغل قلبه
بِرِيَّيه ، ولم يَغُرَّهُ ما أُمِّلِي له في البلاد من تَقَلُّبه ، وسار
ولم يزل مُقتحما ، وتقدمَّ أول العسكر مُحتما ، وإذا الدار
قد ترحل منها أهلها فبانوا ، وطمعوا من ساحتها فكأنهم
ما كانوا ، ولم يبق إلا مواقد نيران رحلت قلوبهم بضرامها
[وَأَثَانِي دُهُمَ أَعْجَلتِ المَهَابَةُ ما رَدَّ سَغَبَهُم عن طَعَامِها]
وغربان بَيْنِ كَأَنَّها في الديار ما قُطِع من رؤوس بني حَامِها ،
وعوافي طيرٍ كانت تنتظر من أَشلائهم فِطْر صِيَامِها ،
وعادت الرسل المُنْقَذَةُ لاقتفاء آثارهم وأداء أخبارهم ،
ذاكرة أَنهم لَبِسوا الليل حِدَادا على النعمة التي
خُلِعَت ، وغَسَلُوا بماء الصبح أَطْماع نفس كانت قد تطلَّعت ،
وَأَنهم طلَعوا الأوعارَ أوعالا ، والعِقَابَ عِقْبانا ، وكانوا
لمَهَابِط الأودية سيولا ولأعلى الشجر قضبانا .

فرأى المملوك أن الكتاب فيهم قد بلغ أجله ، والعزم منهم قد
نال أمله ، والفتك بهم قد أعمل مُنصِّله ، وأن سيوف عساكر
أمير المؤمنين منزَّهة عن أن تُريقَ إلا دماء أكفائها من الأبطال ،
وأن تَلْقَى إلا وجوهَ أنظارها من الرجال ، وأن المذكورين

نَمْلُ حَطْمِهِ سَلِيمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَجُنُودُهُ ، وَرَمْلُ أَطَارِهِ
 الْعَاصِفُ الَّذِي يُسْحِفُهُ^(١) وَيَقُودُهُ ، وَأَصْدَرُهُ هَذِهِ الْخِدْمَةُ وَالْبِلَادُ
 مِنْ بَعُوْتِهِمْ^(٢) عَارِيَةٌ ، وَالْكَلِمَةُ بِانْخِفَاضِهِمْ [غَالِيَةٌ] عَالِيَةٌ ،
 وَيَدُ اللَّهِ عَلَى أَعْدَائِهِ عَادِيَةٌ ، وَأَنْفُسُ الْمَخَازِيلِ فِي وَثَاقٍ
 (٢٧٧ ب) مَهَابَتِهِ الْعَالِيَةِ عَانِيَةٌ ، وَرَأَى الْمَمْلُوكُ أَنْ يَرْتَبَّ
 بَعْدَهُ الْأَمِيرَ فَلَانًا لِيَبْدُلَ الْأَمَانَاتِ لِسُوقَةِ أَهْلِ الْبِلَادِ وَمَزَارِعِيهَا ،
 وَيَقْضِي الْمَحَاكِمَاتِ بَيْنَ مَتَابِعِي السُّلْطَنَةِ وَمَطَاوِعِيهَا ،
 وَيُقَسِّحُ مَجَالَ الْإِحْسَانِ لِمَعَاوِدِي الْمَوَاطِنِ^(٣) وَمُرَاجِعِيهَا ، فَيَعْمُرُ
 مِنَ الْبِلَادِ مَا قَدْ شَعَرَ ، وَيَشْعُرُ بِالْأَمْنَةِ مَنْ لَا شَعَرَ ، فَإِنَّ
 مَقَامَ الْمَمْلُوكِ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ عَسَاكِرِ تَمْنَعِ الشَّمْسِ مِنْ مَطْلَعِهَا ،
 وَتَرْدُ جَرِيَةِ الْبَحْرِ عَنْ مَوْقِعِهَا ، مِمَّا يَضُرُّ بِالْغَلَالِ وَيَنْسِفُهَا ،
 وَيُجْحِفُ بِالرَّعَايَا وَيَعْسِفُهَا .

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ النِّصْرَ لَأَيِّدًا بِأَعْطَافِ اعْتِرَازِهِ ،
 وَأَنَامِلِ الرَّعْبِ السَّائِرِ إِلَى الْأَعْدَاءِ مُحَرِّكَةً عَدَبَاتِ أَعْلَامِهِ ،
 وَالْعَسَاكِرِ الْمُنَاضِلَةِ بِسِلَاحِ وِلَائِهِ ، تَغْنِي بِأَسْمَائِهَا عَنِ

(١) يسحفه يذهب به : أسحفت الريح السحاب وسحفته ذهبت به ، وفي الأصل : يستحفه .

(٢) في صبح الأعشى : معرفتهم .

(٣) في الأصل : الوطن .

مرهفاتها ، والكتاب المقاتلة بشعار علائه (١) ، تقرأ كتب
النصر من حماتها . إن شاء الله تعالى (٢) .

الأسلوب الرابع

مما يكتب به إلى الخلفاء أن يفتح الكتاب بالسلام
على الخليفة ، قال ابن شيت في « معالم الكتابة » وعليه
العمل في زماننا ، وكان في أواخر الدولة الأيوبية .

وهذه نسخة كتاب من ذلك (٣)

كتب به القاضي الفاضل عن السلطان صلاح الدين
إلى الخليفة ببغداد يعتذر فيه عن تأخير الكتب ، ويذكر
خبر صاحب قسطنطينية وصاحب صقلية من ملوك
النصرانية من الروم والفرنج وهي :

سلام الله الأطيب ، وبركاته التي يستدرّها الحُضْر والغُيب ،
وزكواته التي ترفع أوليائه إلى الدرَج ، ونعمه التي لم تجعل على
أهل الطاعة في الدين من حَرَج ، على مولانا سيد الخلق ، وسادِّ

(١) في الأصل : أعلامه .

(٢) هذه الجملة غير موجودة في صبح الأعشى .

(٣) صبح الأعشى ج ٦ : ٥١٥

الحَرْقُ ، ومُسَدَّدُ أَهْلِ الحَقِّ ، ولبس الشعار الأَطهر سوادا ،
 ومستحق الطاعة التي أسعد الله (٢٧٨ |) من خصمه بها
 [بَدْعًا ومعادا] ، ومولى الأُمَّة الذي تشابهه يوم نداءه وبأسه
 إن ركض جُودًا أو جوادا ، وواحد الدهر الذي لا يُشْنَى ،
 وإليه القلوب تُثْنَى ، ولا يقبل الله جمعا لا يكون بولائه
 جمع سلامة لا جمع تكسير ، ولا استقبال قبلة ممن لا تكون
 محبته في قلبه تقيم واسمه في عمله إلى الله يسير ، مولانا
 أمير المؤمنين ، وعلى آباءه المائى الأرض عدلا ، الملاء
 أهلا (١) فضلا ، والضاربين فيصلا والقائلين فضلا ، ومن
 تقول الجنة لأهلها بهم أهلا ، المخصوصين بالعبادة الإلهية ،
 الحاكمين فكلُّ أمة بطاعتهم مأمورة وعن معصيتهم منهيّة ،
 والمشرقي الأسارى على أسيرة الشرف فكم ملأت البهوَ مناظرهم
 البهيّة .

المملوك يخدم الحرم الشريف باحترامه ، والفناء الكريم
 بإعظامه ، والبساط المُقبَّل بطول استلامه ، والستر الذى
 أسبله الله على العباد بتحيته وسلامه . ويُنهى أنه آخر
 الخدم عن أن ينتظم الأوقات المتجددة ، ويقتضب الحالات

(١) في الأصل : الملبى أهلها .

المتجرّدة ، والرسل عن أن تتوارد درًا كما ، وتتوالى وشاكا ،
والإنهاءات عن أن تثبت بالمقامات الشريفة النبوية ،
ومجالس العرّض العلية ، ما انتهت إليه الأقدار ، وما أفضى
إليه من كثير المناجح وقليل الأعذار ؛ فإن أدب الأمسك^(١)
عن المطالعة كالصوم لا يُفرض ختامه ، ولا يُحلُّ نظامه ،
إلا بُعيدَ يطلّع هلاله مُبشّرًا ، ويُبثُّ خبره في الآفاق مُعطرًا ،
فلو أن متكلّفنا أفطر قبل مواعده ، وورد الماء قبل مورده ،
لكان مُفسدا لعقده ، ناكثا لعهدده .

كذلك المملوك أمسك حين كانت الأخبار بجانبه مُشبهة ؛
والحقائق لديه غير مُتوجّهة ، فإنّ طاغيتي الكفر بقُسطنطينية
وصِقليّة كانا قد أوقدا للحرب نارا ، ورفعنا لها أوزارا ،
واتخذنا لها أسطولا جاريا وعسكرا جرّارا ، وتباريا ولم يزد
الله الظالمين إلاّ تبارا ، وكتبنا إلى الفرنج بعد انهزامهم
بالنجدة والنُصرة ، وتضمّنا لهم الخروج والكرّة ، ويصفان
(٢٧٨ ب) ما استعدّا به بمالا يعبرُ إلاّ بالكثرة ، واستطارت
الشناعة وتداولتها الألسن ، وخرجت من الأفواه حتى لقد
كادت تدخل فيما رآته الأعين ، وورد إلى المملوك رسول

(١) في صبح الأعشى : أدب الأمل .

من طاغية القسطنطينية وهو أقدم ملوك النصرانية قَدَمَا ،
وأكثرهم مالاً مُنْتَمَى ، يعرض عليه مُوَادَعَة يكون بها
عسكره مُودَعَا ، ويكون له بها مَفْرَعَا ، ولصاحب صِقْلِيَّةِ
الذى زعم أنه أَصْلُ للشرِّ يكون الشرُّ منه مُفْرَعَا ، فلم يَهِنْ
ولم يُجب إلى السلم ، ولم يَزَعْهُ أَنْ عسكره خذله اللهُ مُبَاراً
في البِرِّ وفي اليَمِّ . إن شاء اللهُ تعالى .

الأسلوب الخامس

مما يكتب به إلى الخلفاء أن تُفْتَحَ المكاتبة بالدعاء
بشيء من متعلقات الخلافة في الجملة .

وهذه نسخة (١) كتاب من ذلك

كُتِبَ به إلى ديوان الخلافة ببغداد عن بعض ملوك بني
أيوب (٢) اعتذارا عن التقصير في وصف إنعام صدر له
عن الخليفة ، وهو :

أَسْعَدَ اللهُ عِظْمَاءَ الْأَمْلَآكِ بِالْإِنْتِسَابِ إِلَى الْخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ
النَّبَوِيَّةِ ، وَأَوْزَعَهُمْ مَا أَمْرَهُمْ بِهِ مِنْ طَاعَتِهَا . وَخَلَّدَ مُلْكُ

(١) صبح الأعشى - ٦ ص ٥٠٤

(٢) في صبح الأعشى : كتب به القاضي الفاضل عن الملك الناصر صلاح الدين .

الديوان العزيز النبوي ما دامت الأفلاك قائمة . والنجوم
ناجمة ، ونقع بغمائمها غليل الآمال الحائمة ، وفسر بمكارمها
حلم الأماني الحاملة ، ورتق بتدبيراتها المعصومة فتوق
النوب المتعاطمة ، وأظهر على أيدي أوليائها معجزات
نصرها ، وصرف الأيام والليالي بين المرضيين لله نهيتها
وأمرها ، وأودع بركات السماء والأرض بمودعها ومستقرها .

المملوك وإن كان قد يسر الله له - مذ أطلقت عذبة
لسانه - خدمة الدولة العباسية ، فتفسح في وسيع مآثرها ،
وتخير من بديع جواهرها ، وامتاح من تميم زواجرها ،
فإنه لا يعتذر عن الحصر الذي اعتراه في وصف المنعم
عليه به من الخطاب الشريف ، الذي (٢٧٩ ا) لولا أن
عصمة الموالاته تثبت قلبه (١) الخافق ، وتسد لسانه الناطق ،
لما تعاطى وصف ما أعطاه من كتابه المرقوم ، وسبق إليه
من سحابه المركوم ، فإنه مما يشف عنه الأمل ناكصا وهو
كسير ، وينقلب دونه البصر خاسئا وهو حسير ، إلا أن
الإنعام الشريف يبدأ الأولياء بما لو وكلهم إلى أمانهم
لتهيب أن تتعاطى خطبته ، ولو فوضه إلى طلبتهم لنكلت

(١) في الأصل : ولاء .

عن أن تترقى هَضْبَتَهُ (١) ، ولا غرو أن للسحاب أن يصفاح
قطره الثرى ، وللفجر أن يشرق على غير (٢) الكرى والسرى .
فالحمد لله الذى قرَّبَ على المملوك منال الآمال ، وثبت
قوى (٣) فؤاده لما لا تستقلُّ بحمله صُمُّ الجبال ، ويستنيب
عن جهر الشكر بسرِّ الأدعية ، ويقتصر على ما يُفضى به
إلى المحاريب وإن لم يقصر عما يفيضه (٤) فى الأندية ،
ويطالع بأن مملوك الخدمة وابن مملوكها أخذ الكتاب بقوة ،
وشمرَّ لخدمته تشمير خلافة لا تشهير بنوة (٥) ، وتلقاه تلقى
أبيه الأوَّلِ الكلمات ، ورأى إطلاع الله لأمير المؤمنين
على ما فى ضميره من طاعته إحدى المعجزات والكرامات ،
وسمع المشافهة خاشعا متصدعا ، واشتمل عليها بفهمه ساميا
طرفه متطلعا .

ولقد أشبه هذا الكتاب الكريم بيعة أخذت عليه ، مد
لها يده آخذا بكلتا يديه (٦) .

(١) فى صبح الأعشى : ... أنت تمناعلى حظيته ، ولو فوضه إلى راحتهم لنكلت عن أن تترقى
نصيته .

(٢) فى صبح الأعشى أن يشرق نوره على عين الكرى والسرى .

(٣) فى صبح الأعشى : وثبت حصاة .

(٤) فى صبح الأعشى : عما يقصه .

(٥) كذا فى الأصل . وفى صبح الأعشى : وشمر لخدمة أشرف خلافة لأشرف نبوة .

(٦) فى الأصل : بكلتى يديه .

والمملوك يرجو بل يتحقق أن هذا العبد المشار إليه سيُوفى على سابقه من عبيد الدولة العباسية في الزمان ، ويكون بمشيئة الله أسبق منهم بالإحسان .

وقد صدرت خدمتان من جهته وبعدهما تصدُر الخدم ، ولا يَأَلُو جَهْدًا في الخدمتين مباشرة بيده السيف مستنيبا عنها للعلم (١) ، وله نُصرة باقية في الولاء وهو غَنِيٌّ عن النظر (٢) ، وسريرة بادية في الطاعة هو إليها أسكن منه إلى كلٍّ مشير .

يعود المملوك إلى ما [لا] يزال يفتح به الصلوات المفروضة ، ويختتم به الختَمات المعروضة ، من الدعاء الصالح الذي إن أغنى الله وُكِيَهُ عنه فقد أحوج ذوى العقائد (٢٧٩ ب) السليمة إليه ، لأنه مُزَكٌّ لأعمالهم ، بل متمم لإسلامهم ، وكيف لا يدعون لمن يدعون به يوم يدعى كلُّ أناس بإمامهم .

فيقول : جمع الله للأمير المؤمنين طاعة خلقه ، وأذل رقاب الباطل بسيف حقه ، وجعل الله ما هو قبضته في

(١) في صبح الأعشى : ومستنيبا عنها العلم .

(٢) في صبح الأعشى : النصير .

الأخرى قبضة أمير المؤمنين في الأولى من الأرض التي هي موطوءة كالسماة ذات العُلا ، وأدام نعمه على هذه الأمة بإمامته ، وأظهر كرامة نبيه عليه السلام بما يُظاھرهُ من كرامته ، وعجل لمن لا يقوم بفرض ولائهِ (١) إقامة قيامته ، وردّ بسيفه التي لا تُردُّ ما الإسلام ممطول به من ظلامته ، وأقام به مناهج الدين لأهله ، وأظھرهُ بمظاھرته على الدين كلّهُ ، حتى يلتقى الله وما خلّف في الدنيا كافرا ، ولا ضميرا إلا بالتوحيد عامرا ، ولا بلدا إلا وقد بات بالإسلام أهلا ، وقد أصبح منه الكفر دائرا (٢) .

الأسلوب السادس

أن يفتتح الكتاب بالدعاء لديوان الخلافة ، وعليه الاصطلاح الآن ، قال في « التعريف » وكان سبب مخاطبتهم الديوان الخضعان عن مخاطبة الخليفة .

ورسمه (٣) على ما ذكره المقر الشهابي بن فضل الله في كتابه « التعريف بالمصطلح الشريف » أن يقال : أدام الله أيام

(١) في صبح الأعشى : ولايته .

(٢) بعده في صبح الأعشى : إن شاء الله تعالى .

(٣) انظر صبح الأعشى ص ٧ ص ١١٩

الديوان العزيز المولوى السيدى الإمامى الفلانى ، ثم يؤتى
بالدعاء المعطوف ، والصدر بالتعظيم المألوف ، وقد يفتتح
بغير هذا الدعاء ، مثل : أدام الله سلطان الديوان العزيز ، وخلد
الله سلطان الديوان العزيز ، أو أيام الديوان العزيز ، وما
أشبه ذلك مما يقتضى العز والدوام .

والصدر نحو : العبد ، أو المملوك ، أو الخادم ، يقبل
الأرض أو العتبات أو مواطئ المواقف ، أو غير ذلك .

ويختم الكتاب تارة بالدعاء ، وتارة : بـ « طالع » ، أو
« أنهى » أو غيرهما مما فيه معنى الإنهاء ؛ ويخاطب
الخليفة (١٢٨٠) فى أثناء الكتاب بالديوان العزيز ،
وبالمواقف المقدسة أو المشرفة ، والأبواب الشريفة ، والباب
العزيز ، والمقام الأشرف ، والجانب الأعلى أو الشريف ، وبأمير
المؤمنين ، مجردة عن سيدنا ومولانا ، ومرة غير مجردة ، مع
مراعاة المناسبة والتسديد والمقاربة .

وأما خطاب المكتوب عنه فاختلف بحسب من كُتب
[عنه] ، فكتب بعض ملوك بنى أيوب بالديار المصرية
والممالك الشامية : الخادم ، وبعضهم : المملوك ، وبعضهم

العبيد ، وبعضهم : أقل المماليك ، وبعضهم : أقل العبيد .
وكان علاء الدين خوارزم شاه صاحب خوارزم وما معها
يكتب : الخادم المطواع ، وتبعه ابنه جلال الدين على
ذلك ، وكانت أم جلال الدين تكتب : الأمة الداعية .
قال في « التعريف » : والملوك والسوقة في ذلك لا تختلف .

وهذه نسخة كتاب من ذلك (١)

كتب به المقرُّ الشهابيُّ بن فضل الله ، إلى الحاكم بأمر
الله أبي العباس أحمد بن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان ،
أحد الخلفاء العباسية بالديار المصرية ، عن رماة البندق
بالشام جوابا عما ورد عليه من كتابهم ، وهو يومئذ الحاكم
في رماية البندق في أمر ناصر الدين بن الحمصي (٢)
أحد الرماة . وهي :

أدام الله تعالى أيام الديوان العريز المولويَّ السيديَّ النبويَّ
الإماميَّ الحاكميَّ ، ونصر به جمع الإيمان ، وبشر بأيامه
الزمان ، ومتعه بالملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده بما
ورثه من سليمان .

(١) صبح الأعشى - ٧ ص ١٣٠

(٢) يكتب في الأصل دائما : « الحمص » وأثبت ما في صبح الأعشى .

ولا زال يخضع لمقامه كل جليل ، ويُعرف لأيامه كلُّ وجه جميل ، ، ويعترف لشرفه كلُّ معترف بالتفضيل ، ولا كان إلا كرمه المأمول ، ودعاؤه المقبول ، وعدوه المصروع ووليه المحمول ، ولا برحت طاعته يُعقد عندها كلُّ جمع ، (٢٨٠ ب) ومراسمه يُنصت إليها كلُّ سمع ، وطوائف الذين كذبوا عليه لا تتلى عليهم آياته إلا تَوَلَّوْا وأعينهم تفيض من الدمع .

الممالك يقبلون الأرض بالأبواب العالية التي هي خُطَّة شرفهم ، ومكان تعبد القدماء منهم ومن سلفهم ، ويلوذون بذلك المقام ، ويعوذون بذلك الحرَم الذى لا يبعد نسبه من البيت الحرام ، ويؤمّلون ذلك الكرم الذى ما منهم إلا من سَعِدَ به طائره ، وجاءته به فى وجه الصباح أشأره (١) ، وفى وجه العشاء بشأره ، فنالوا به أقصى المرام ، وقضوا به من العمر ما إذا قالوا يا سَعْدُ لا يعنون به إلا ذلك الإمام ، وينتهون إلى ما ورد به المرسوم الشريف الذى ما من الممالك إلا مَنْ مَتَّ إِلَيْهِ بِقَدِيمِ عِبُودِيَّتِهِ وَرِقَّةٍ ، وسارع إلى طائره الميمون وحماه (٢) بسبقه ، وفتح له عينه وظن أنه حالم (٣) ،

(١) أشأره لعلها جمع إشارة أى إشاراته .

(٢) فى صبح الأعشى : وحمله .

(٣) فى الأصل : حالم وفى صبح الأعشى : حاكم .

وامتثلوا أمره وكيف لا تمتثل الرّماة أمر الحاكم ، ولا سيما ابنُ عم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الإمام الحاكم ، وأجلّوه عن رفعه إلى العين إذ كانت تلك منزلة الحاجب^(١) ، وقدموا إليه خفوق قلوبهم الطائرة وما علموا أنّ كانوا قاموا بالواجب ، ووقفوا على أحكام حاكمه فما شكّوا أنّ زمان هذا الفنّ بزمان ناصره^(٢) في بغداد قد عاد ، وأن مثاله المتمثّل في سواد الحدق مما حكّته أيامه العباسية من شعار السواد ، وعلموا ما رسم به في معنى محمد بن الحمصيّ الذي ما نوّرت الليلة الظلماء أكاريخه ، ولا بعُدت في الإقعاد له تواريخه ، بل أحمدت دموع ندمه نيرانه المشتعلة ، وأصبح به لا يحمل القوس في يده إلاّ أنه مشغله ، وما كان أنّهاه إلى الديوان العزيز مما لم تذكر الخواطر الشريفة بأنّه فيه المفتري^(٣) وأنّه صاحب القوس إلاّ أنّ ماله سعادة المشتري ، وأنه موهّ تمويه الجاحد ، وتلونّ مثل قوس قُزح وإلّا فقوس البندق لونٌ واحد ، ودلّى بغروره ، وعرض المحضّر الذي حمّله على تغريه ،

(١) في صبح الأعشى : على العين إذ كانت تلك بمنزلة الحاجب .

(٢) في صبح الأعشى : بزمان ناصره .

(٣) في صبح الأعشى : قبة المفتري .

وذلك في عَيْبَةِ الأمير (٢٨١) بهاء الدين البُندقدار
 العا كميّ . الذي لو كان حاضراً لَنَبَأَ بخبره . وأحسن
 بالإعلام بسوء محضره . وتحيل لأخذ الخط الشريف الذي
 لو عقل لكان^(١) حجة عليه ، ومؤكد لإبطال رميه وقوسه
 وبندقه في يديه ، لما تضمنه الخط الشريف [المقيد اللفظ]
 المكتتب على المصطاح ، الساحب ذيل فخاره على المُقترَح ،
 الذي هدى إلى الخير ، وبدأ به ما وُهب من الملك السليمانيّ
 الذي أوتي من كل شيء وعُلم منطق الطير ، فإنه لم
 يُكتب له إلاّ بأن يرمى على الوجه المرضيّ بساعده ،
 واستيفاء^(٢) شروط البندق والخروج من جميع الأشكال عملاً
 بقواعده ، ويُعلم أنه إنما رعى حقّ قُدّمته ولا [فعل]
 في الباب العزيز ما يجب من التحلّي بشعار الصديق في خدمته
 وأنه خالف عادة الأدب ، وأخطأ في الكل لكنه ندب ،
 وذلك بعد أن عمل له جميع رماة البندق ، وسُئل فأجاب
 بأنه سالم من كُـلِّ إشكال يُشكّل ، وأنه بعد أن أقعد رمي
 وحَمَل وحُمِل ، فشهد عليه السادة الأمراء ولائهُ العهد إخوة

(١) في صبح الأعشى : سقط كلام من أول قوله « لو كان حاضراً » إلى قوله « لكان حجة »
 ونصه فيه : لو كان حاضراً لكان حجة عليه .

(٢) في صبح الأعشى : المرضي واستيفاء .

أمير المؤمنين ومن حضر ، وكتبوا خطوطهم في المحضر ،
 وما حصل الآن عند عرض قصة المماليك بالمواقف المقدسة ،
 ووضوح قضيتته المدنسة ، من التعجب من اعتراف المماليك
 لكونهم رموا معه بعد أن رأوا الخطَّ الشريف وهو لفظ
 مُقَيَّد ، وأمرُ أيديبه رأى الإمام الحاكم بأمر الله المسترشد
 بالله والمؤيد ، وكل ما أمر به أمير المؤمنين لا معِدَل عن
 طُرُقهِ ، ولا جدالٍ إلاَّ به إذا أُلزم كلُّ أحد طائرَه في عُنُقهِ ،
 وأمير المؤمنين بحر لا يُورد إلاَّ عن علمه (١) ، وهو الحاكم
 ولا رادَّ لحُكمه ، وإنما ابن الحمصي المذكور عديم السداد ،
 وخالف جاري العادة في الحِمص فإنه هو الذي سُلِق في
 الافتراء بالسنة حِداد ، ولم يُوقِف المماليك من الخط
 الشريف إلاَّ على بعضه ، ولا أراهم من برقه المتهلل غير
 ومُضِهِ . والذي أوقفهم عليه منه أن يرْمى محمد بن الحمصي
 ويرْمى معه ، وكلمة أمير المؤمنين (٢٨١ ب) مُسْتَمَعَة ،
 ومراسيمه مُتَّبَعَة ، وإذا تقدم كان الناس (٢) تبعه ، غير أن
 المذكور بدت منه أمور قطع بها الأمير صارم الدين صاروجا
 الحاكم البندقدار في حقه ، وأقعدَه عن قُدْمته التي كان

(١) في صبح الأعشى : لا يرد إلا من علمه .

(٢) في الأصل : الراس .

يَمُتُّ فِيهَا بِسَبْقِهِ ، وَانْتَقَلَ عَنْهُ غِلْمَانُهُ . وَثَقَلَ عَلَيْهِ زَمَانُهُ ،
 وَنُودِيَ عَلَيْهِ فِي جَمْعِ كَبِيرٍ يَزِيدُ عَلَى تَسْعِينَ قَوْسًا ، وَجُرْحِ
 لِحْطِئِ بِنَدَقِهِ جَرْحًا لَا يُؤَسَى ، ثُمَّ بَعْدَ مَدَّةٍ سَنِينَ تَوَسَّلَ
 بِوَلَدِ الْأَمِيرِ الْمَرْحُومِ سَيْفِ الدِّينِ تَنْكُزَ إِلَى أَبِيهِ ، وَتَوَصَّلَ
 بِهِ إِلَى مَرَامِيهِ ، فَأَمَرَ أَنْ يُرْمَى مَعَهُ وَهَدَّدَ الْمَخَالَفَ (١) بِالضَّرْبِ .
 وَلَمْ يَرْمِ مَعَهُ أَحَدٌ بَرِضَاهُ إِلَّا خَوْفَ أَنْ تُوقَدَ نَارُ الْحَرْبِ .
 فَلَمَّا مَضَتْ تِلْكَ الْأَيَّامُ ، وَانْقَضَتْ تِلْكَ الْأَحْلَامُ ، جَمَعَ
 مَمْلُوكُ الْأَبْوَابِ الْعَالِيَةِ الْأَمِيرُ عَلَاءُ الدِّينِ بْنِ الْأَبُوبَكْرِي
 الْحَاكِمِ فِي الْبِنْدُقِ الْآنَ مِنْ رُمَاةِ الْبِنْدُقِ جَمْعًا كَثِيرًا ، وَاهْتَمَّ
 بِهِ اِهْتِمَامًا كَبِيرًا ، وَذَكَرَ أَمْرَ الْمَذْكُورِ ، وَأَحْضَرَ مُحَضَّرَهُ
 الْمَسْطُورَ ، وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ تَعْوِيلٌ ، وَلَا فِي حُكْمِ الْحَاكِمِ
 الْمُتَقَدِّمِ (٢) تَعْلِيلٌ ، وَلَا عِنْدَ هَذَا الْحَاكِمِ الَّذِي ادَّعَى لَهُ وَادَّعَى
 عِنْدَهُ تَجُوزَ الْأَبَاطِيلِ ، وَتَحَقَّقَ أَنَّ الْحَقَّ فِيمَا حُكِمَ عَلَيْهِ
 فَتُبِعَ ، وَتَرَجَّعَ أَنْ لَا يَقَامَ مِنْهُ مِنْ أَقْعَدٍ وَلَا يُوَصَّلَ مِنْهُ مَا
 قُطِعَ ، فَنفذَ حُكْمَ الْحَاكِمِ الْمُتَقَدِّمِ ، وَاسْتَمَرَ بِقَعُودِهِ
 الْمُتَحْتَمِّ ، وَوَافَقَهُ عَلَى هَذَا سَائِرُ الرَّمَاةِ بِالْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ
 وَحُكَّامِهَا ، وَمَنْ يَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي الرَّمَاةِ وَأَحْكَامِهَا ، وَبَطَلَتْ

(١) فِي الْأَصْلِ : وَهُدَا يَخَالِفُ .

(٢) فِي صِحِّحِ الْأَعْيُنِ : الْمُتَقَدِّمِ .

قُدِّمَتْهُ المذكور التي ذهب فيها عمره ضائعاً ، وزمانه الذي إذا اشتريت منه ساعة بالعمر لم يكن نافعاً .

ولما ورد الآن هذا المرسوم الشريف زاده الله شرفاً قبلوا الأرض لديه ، وأوقفوا عليه حاكمهم المُسمَّى فوقف له وعليه ، وجمع له جمعا لم يدع من الرُّماة مُعتَبَرا ، ولا من يُلقِم القَوْسَ وتراً ، ولا من إذا قَعَد كالعَيْن جَرَى ما جَرَى ، ثم قرأ عليهم ما تَضَمَّن ، ودَعَوْا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ولم يبق منهم إِلَّا من دَعَا وَأَمَّن ، وتضاعف سرورهم بحكمه الذي رفع الخَلَلَ ، وقطع الجَدَلَ ، وقالوا لا عَدِمْنَا أَيَّامَ هَذَا الحَاكِمِ الَّذِي أَنْصَفَ (١٢٨٢) وَالْإِمَامِ الَّذِي عَدَلَ ، وَبَقِيَ ابْنُ الحَمَصِيِّ مُثَلَّةً ، وَنُودِيَ عَلَيْهِ إِنَّهُ مَنْ رَمَى مَعَهُ كَانَ مُخَطَّئًا مِثْلَهُ ، وَوَقَّرَتْ هَذِهِ المُنَادَاةُ فِي كُلِّ مَسْمَعٍ ، وَوَقَّرَتْ اسْتِقْرَاراً انْفَصَلَ عَلَيْهِ المَجْمَعُ (١) ، وَذَلِكَ بِمَا فَهَمَ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَبَنَصَّ كِتَابَهُ المَبِينِ ، وَبِمَا قَضَى اللهُ بِهِ عَلَى لِسَانِ خَلِيفَتِهِ الحَاكِمِ وَاللَّهُ أَحْكَمُ الحَاكِمِينَ ، وَطَالَعُوا بِهَا وَأَنْهَوْا صُورَةَ الحَالِ ، وَجَمَعُوا فِي إِمضَائِهِ الآمَالَ ، لَا زَالَتْ سَعَادَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُنْزَهَةً عَنِ الشُّبْهِ ، بَعِيدَةً عَنِ الشُّبْهِ (٢)

(١) فِي صَبِيحِ الأَعْشَى : اسْتِقْرَارِ الفَضْلِ عَلَيْهِ المَجْمَعِ .

(٢) فِي صَبِيحِ الأَعْشَى : سَعَادَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُنْزَهَةٌ عَنِ الشُّبْهِ ، آخِذَةٌ .

آخذة من خير الدارين كلَّ اثنين في وَجْه ، حتى تَحْصُل
كل رمية من كَثْب ، ولا يَرْمَى في كل لعبة (١) إلا كل
مُصْطَحِب ما عَبَّ في السماء المِرْزَم ، ووقع العُقَاب على
ثُنَيْتِهِ يَقْرَع سِنَّهُ ويتندَّم ، وعلا النَّسْرُ الطائر والواقع على
آثاره وسائرُ طيور النُّجُوم والحُوم ، إن شاء الله تعالى .

قلت : وهذا الكتاب أنشأه المقرُّ الشهابي بن فضل الله
المقدِّم ذكره بناء على مذهبه في أن المكاتبه إلى الخليفة
تكون بالدعاء للديوان العزيز من الملك والسوقة لا يختلف ،
وفيه نظر ، بل الذي ينبغي أن يُفتتح الكتابة إليه بتقبيل
الأرض ، على ما يكتب به للملوك ، إذ الملوك نُوابه وأتباعه
ولا أعلى منه رتبة .

وأما الكتب إلى ولاية العهد بالخلافة (٢)

فقال أبو جعفر النحاس في « صناعة الكتاب » :
ويكون التصدير في المكاتبه إلى وليّ العهد على ما تقدّم في
المكاتبه إلى الخلفاء مع تغيير الأسماء ، يعنى أنه لا يقال
فيه الإمام ولا أمير المؤمنين ، بل ولي عهد المسلمين ، وفي

(١) في صبح الأعشى : « كل أمنة » وفي الأصل الكلمة غير منقوطة .

(٢) انظر صبح الأعشى - ص ٦٠ ص ٤٥٦ و٧ ص ١٣٤

التصديير مع السلام : وبركاته ، في أول الكتاب وآخره ،
وفي ولي العهد يحذف « وبركاته » من التصديير ، فكانوا
يكتبون لولي العهد : لعبد الله أبي فلان فلان ولي عهد
المسلمين ، سلامٌ على ولي عهد المسلمين ورحمة الله (٢٨٢ ب)
فإني أحمد إليه الله الذي لا إله إلا هو ، وأسأله أن يصلي
على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ، أما بعد ،
أطال الله بقاء ولي عهد المسلمين . ويأتي على المقصد على ما
تقدم في الكتب إلى الخليفة ، ثم يختتمه بقوله : والسلام
على ولي عهد المسلمين ورحمة الله وبركاته .

أما على المصطلح المستقر عليه الحال فقد ذكر المقر
الشهابي بن فضل الله في كتابه « التعريف » أنه يكتب
إلى ولي العهد بالخلافة ما صورته : ضاعف الله تعالى جلال
الجانب الشريف المولوي السيد النبوي الفلاني . ثم يدعى
له ، قال صاحب « الثقيف » : والخطاب له بمولانا ولي
العهد ونحو ذلك ، والتعبير عن المكتوب عنه : بالخدام
يقبل العتبات الشريفة ، أو اليد الشريفة ، ونحو ذلك .
والعلامة إليه : الخادم . على نسبة ما في الصدر ، والعنوان
عن نظير الألقاب التي في الصدر . قال في « الثقيف » :

وهذا على عادة من تقدم من الملوك ، أما في زماننا وقبله
بمُدَّة مديدة فإنه لم يكتب إلى ولى عهد

قلت : وما يجب التنبيه عليه قطع الورق الذى يكتب
فيه إلى الخليفة ، لا شك فى أنه كان يكتب للخليفة وولى
العهد حين كانت الخلافة بالعراق فى قطع البغدادى بقلم
مختصر الطومار على ما يظهر ، أو فى ثلثى القطع البغدادى
على ما ذكره محمد بن عمر المدائنى حيث كانت بيعاتهم
وعهودهم تكتب فى ذلك ، أما الآن حيث صارت عهودهم
وبيعاتهم تكتب فى قطع الشامى الكامل بقلم الثلث الخفيف
فإنه ينبغى أن يكون الكُتُب إليهم على هذا النمط ، تأسياً
بما اعتمده فى ذلك ، وإلا فالواجب الكتابة فى البغدادى
الكامل ، على ما كان الأمر عليه فى الزمن القديم .



الباب السابع

(٢٨٣) في ذكر أوائل منسوبة إلى الخلفاء ، وغرائب
ومُلحٍ وأعاجيبٍ تتعلق بهم ، وفيه فصلان :

الفصل الاول

في ذكر نبذة من الأوائل المنسوبة إليهم :

أول من بويع بالخلافة أبو بكر الصديق بعد وفاة النبي
صلى الله عليه وسلم ، وقد مر ذكر ذلك في الباب الأول
في الكلام على الطرق التي تنعقد بها الخلافة ، وهو
أول خليفة ولي وأبوه حى ، ف قيل لأبيه أبي قحافة :
استُخلفَ أبو بكر ، قال : أقرت بذلك بنو قُصَيٍّ ، قيل :
نعم ، قال : يفعل الله ما يشاء . وبقي أبو قحافة بعد وفاة
أبي بكر رضى الله عنه ستة أشهر وأيام ، ثم توفى في المحرم
سنة أربع عشرة ،

وهو أول من عهد بالخلافة ، عهد بها لعمر بن الخطاب ،
وقد مر ذكره في الباب الأول أيضا ،

وهو أول من جمع القرآن حين قُتِلَ القُرَّاءُ باليمامة في

حرب مُسيلمة الكذاب ، وسماه مصحفا ، وكان قبل ذلك مكتوبا في عُسب النخل أو أكتاف الإبل ونحوها .

[أول خليفة سمي بأَمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وهو أول من فتح الفتوح وأول من مصر الأمصار] (١) وهو أول من دَوّن الدواوين في الإسلام ، قال القضاعي : دونها في سنة تسع عشرة وقيل سنة عشرين . قال الماوردي (٢) : واختلف في سبب وضعه فقيل : إن أبا هريرة رضى الله عنه قَدِم عليه بمال من البحرين فقال : ماذا جئت به ؟ قال : خمسمائة ألف درهم ، فاستكثره عمر وقال : أتدرى ما تقول ؟ قال نعم ، مائة ألف خمس مرات ، فصعد عمر المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس قد جاءء مال كثير ، فإن شئتم كلنا لكم كيلا ، وإن شئتم عددنا لكم عدداً ، فقال رجل : يا أَمير المؤمنين قد رأيتُ الأعاجم يدونون ديوانا لهم ، فدوّن لنا أنت ديوانا . فأمر

(١) في الأصل سقط وزدت ما اقتبسته من تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٥٣ وكتاب محاضرة الأوائل ص ٨٠ . هذا وفي تاريخ الخلفاء أيضا أنه أول من جمع الناس في صلاة الجنائز على أربع تكبيرات وأول من احتسب صدقة في الاسلام وأول من أخذ زكاة الخيل وأول من قال : أطال الله بقاءك وأول من قال : أيدك الله وأول من استقصى القضاة في الأمصار . وفي كتاب محاضرة الأوائل : أول من رتب الناس والجنود شرقا وغربا . وسير الأعلام ورتب الألوية وسير الجيوش شرقا وغربا وفرض الفرائض وعرف العرفاء .
(٢) انظر صبح الأعشى ١٣٠ ص ١٠٦ والأحكام السلطانية ١٧٥

بوضع الدواوين ، وقيل : بل بعث (٢٨٣ ب) عمر رضى الله عنه بعثا وعنده الهرمزان ، فقال لعمر : قد أعطيت أهل هذا البعث الأموال ، فإن تخلف منهم رجلٌ أدخل بمكانه من أين يعلم صاحبه . فأثبت لهم ديواناً ، فسأله عن الديوان ففسره له ، فأمر بوضع الديوان . وقيل : إن عمر استشار المسلمين في أمر المال فقال عليٌّ : نَقْسِمُ كُلَّ سَنَةٍ ما اجتمع إليك من المال ولا تُمسك منه شيئاً ، فقال عثمان أرى ما لا كثيراً ، وإن لم تُحصِ الناس حتى تعلم من أخذ ممن لم يأخذ انتشر الأمر ، فقال خالد بن الوليد : قد كنتُ بالشام فرأيت ملوكها دونوا ديوانا وجندوا جنودا ، فدوّن ديوانا وجند جنودا ، فأخذ بقوله .

وهو أول من أرخ بعام الهجرة ، قال في « ذخيرة الكتاب » : لما أراد وضع التاريخ جمع الناس للمشورة ، فقال بعضهم : نورخ بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال بعضهم : بل بوفاته ، وقال بعضهم : بل بهجرته من مكة إلى المدينة لأنها أول ظهور الإسلام ، فصوّبه عمر وأجمع رأيهم عليه ، وكانت الهجرة في شهر ربيع الأول بعد عشر من النبوة ، وقدم المدينة لاثنتي عشرة ليلة خلت منه ، فاختلفوا في

الشهر الذى يبدأون به ، فأشار بعضهم بالبداة
برمضان لشرفه ، فقال عمر : بل بالمحرم ، لأنه مُنْصَرَفٌ
الناس من حجّهم ، فرجع القَهْقري ثمانية وستين يوما ،
وهى القدر الذى مضى من أول المحرم إلى اثنى عشرة ليلة
من ربيع الأول ، وابتداء التاريخ من أول المحرم لتلك السنة .
قال أبو هلال العسكرى : أراد بذلك اجتماع الأشهر
الحرم فى سنة واحدة .

وهو أول من اتخذ بيت مال ، فيما ذكره العسكرى
عن قتادة .

وهو أول من سنَّ قيام شهر رمضان وجمع الناس على
إمام واحد فى التراويح ، وذلك فى سنة أربع عشرة .
وهو أول من عَسَّ بالليل .

وهو أول من عاقب شاعرا على الهجاء ، عاقب الحطيئة
حين هجا (٢٨٤) الزُّبرقان بن بدر ، بأن حبسه فى بئر
ثم أخرجهُ وطلب شفرة يُوهمه أنه يريد قطع لسانه تخويفا
له ليكف عن الهجاء .

وهو أول من ضرب في الخمر ثمانين ، وكان أبو بكر
رضي الله عنه قبل ذلك يجلد فيه أربعين .

وهو أول من حرم المتعة بالنساء ، وهي أن تُنكح المرأة
على شيء إلى أجل ، وكانت مباحة قبل ذلك .

وهو أول من نهى عن بيع أمهات الأولاد وهبتهن
وجعلهن ميراثا .

وهو أول من مسح سواد العراق على يد عثمان بن حنيف ،
وهو من أرض الموصل إلى عبادان طولاً ، وذلك مائة وخمسة
وعشرون فرسخاً ، ومن عقبه حلوان إلى القادسية عرضاً ،
وذلك ثمانون فرسخاً (١) ، وبلغت جربانه ستة وثلاثين ألف
ألف جريب (٢) .

وهو أول من صالح العمال على مال يأخذه منهم ، وكان
من ذلك أنه شاطر عمرو بن العاص ماله وهو أمير مصر
يومئذ .

(١) في معجم البلدان: وحدّ السواد من حديثة الموصل طولاً إلى عبادان ومن العذيب بالقادسية
إلى حلوان عرضاً فيكون طوله مائة وستين فرسخاً وأما العراق في العرف فطوله يقصر عن
طول السواد وعرضه مستوعب لعرض السواد فيكون طوله مائة وخمسة وعشرين
فرسخاً يقصر عن طول السواد بخمسة وثلاثين فرسخاً وعرضه كالسواد ثمانون فرسخاً .
انظر «السواد» .

(٢) انظر حسابه بالجريب في معجم البلدان «السواد» .

وهو أول من حمل الطعام من مصر في بحر أَيْلَة إلى المدينة حين أقحطوا في عام الرَّمادة ، والأمير على مصر يومئذ عمرو بن العاص ، قال القضاعي : حفر خليج القاهرة من الفسطاط إلى السويس في ثمانية أشهر ، وجرت فيه السفن بالطعام من عامه ، فكان ينقل منها إلى السفن ببحر القُلْزُم فيحمل منها إلى المدينة .

وهو أول من أعال الفرائض ، فيما ذكره العسكري عن ابن عباس ، وكان ابن عباس ينكر القول ، ولم يظهر ذلك إلا بعد موت عمر ، ف قيل له : هَلَّا قَلت ذلك في زمن عمر ؟ قال : كان رجلا مَهيبا فهِبته .

وهو أول من اتخذ الدرَّة وحملها ليعذب بها الجناة ، وكانت من الهيبة بحيث قال الشَّعْبِيُّ : إن درة عمر لأهيبُ من سيف الحجَّاج .

أول خليفة ولى وأُمَّه في قيد الحياة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ثم موسى وهارون ابنا المهدي ، ثم المعتضد ثم المطيع

وهو أول من أقطع القطائع (٢٨٤ ب) بالأرضين .

من الخلفاء ، قال العسكري : فعل ذلك اقتداء بالنبى
صلى الله عليه وسلم .

وهو أول من حمى الحمى لإبل الصدقة ونحوها .

وهو أول من خفض صوته بالتكبير فى الصلاة ، فيما
ذكره العسكري عن عاصم بن أبى محكن .

وهو أول من خلّق المسجد .

وهو أول من ارتقى إلى مقام النبى صلى الله عليه وسلم
على المنبر ، إذ كان أبو بكر قد نزل عنه درجة ، ثم جاء
عمر فنزل عنه أخرى ، فلما جاء عثمان رقى إلى حيث
كان يرقى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال سلمان : اليوم
وُلد الشر ، وقد ذكر ذلك بعضُ الخلفاء فأنكره ،
فقال له بعض الحاضرين : اشكره يا أمير المؤمنين ، فلولا
ذلك لكنتَ اليوم تخطب فى بشر .

وهو أول من أرتج عليه فى الخطبة فقال : أيها الناس
إن اللذين تقدّمانى كانا يُعدّان لهذا الموقف كلاما ، وأنتم
إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام قائل ، وستأتىكم
الخطبة على وجهها ، ثم نزل .

وهو أول من قدّم الخطبة قبل المسلاة في العيدين حين رأى كثيرا من الناس يذهبون قبل سماع الخطبة ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان في أول خلافته يصلون ثم يخطبون كما هو الآن .

وهو أول من فوض إلى الناس إخراج زكواتهم بأنفسهم من غير دفعها إلى الإمام .

وهو أول من اتخذ صاحب شرطة .

قال الثعالبي في « لطائف المعارف » : وهو أول من قيل :

تَنَحَّ عن الطريق عند سير الخليفة .

أول من بايع علياً رضي الله عنه بالخلافة طلحة ، وكانت يده سلاء ، فقال حبيب بن ذؤيب : أول من بايعه أشلُّ فما أظن هذا الأمر يتم ، وقيل : أول من بايعه الأشر النَّحَى .

وهو أول خليفة وقع في زمنه قتال بين أهل القبلة ، وذلك في وقعة الجمل .

وهو أول من اتخذ بيتا يُطرح فيه القِصَص (٢٨٥) حتى كتبوا شتمه وألقوه فيه ، فتركه ، ثم اتخذ المهدي أيام خلافته .

وهو أول من فرق بين البينة في شهادة الخصوم .

أول من اتخذ ديوان الخاتم معاوية ، جعل ديوانا لختم كُتبه التي تكتب عنه ، وكان سبب ذلك فما ذكره الثعالبي أن عمرو بن الزبير قدم عليه ، فأمر له بمائة ألف درهم ، وكتب له بذلك كتابا إلى زياد بالعراق ، ففضَّ عمرو الكتابَ وجعل المائة مائتين ، فلما اطلع معاوية على ذلك اتخذ ديوان الخاتم .

أول من بايع لولده معاوية بن أبي سفيان ، بايع لابنه يزيد بالخلافة بعده .

وهو أول من وضع البريد في الإسلام ، نقله عن ملوك الفرس ، وأحكمه بعد ذلك عبد الملك بن مروان .

وهو أول من سمي الغالية غالية ، سمها من عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، فسأله عنها ، فوصفها له ، فقال : إنها غالية . ويقال : إنه سمها من مالك بن أسماء بن خارجة ، وكانت أخته هند أول من صنعتها ، وأنكر الجاحظ ذلك كله وقال : إنما نجد في أشعار الجاهلية ذكر الغالية ، وربما قيل : إنها أنت العرب من جهة الحبشة .

وهو أول من عمل المقصورة في الجامع ليصليَ فيها ، قيل :
إنه رأى على منبره كلبا فاتخذها ، وقيل : أول من اتخذها
مروان بن الحكم ، اتخذها من حجارة منقوشة ، وجعل لها
كُؤى ، خوفا على نفسه ، وقيل : أول من اتخذها عثمان
رضي الله عنه ، خوفا أن يصيبه ما أصاب عمر .

وهو أول من خطب جالسا حين كثر شحمه وعظم بطنه .

وهو أول خليفة عبثت به رعيته واجترأت عليه ، حتى
قام إليه رجل فقال : لِيُخْبِرْنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ كَانَ زَوْجَ
أُمِّهِ قَبْلَ أَبِي سَفْيَانَ : فقال : حفص بن المغيرة ، ثم كلم
ذلك الرجل عمرو بن الزُّبير ، فأغلظ عليه في كلامه ،
فأمر به فضرب حتى مات ، فبلغ ذلك معاوية فلامه ،
فقيل : إنه القائل لك كذا ، فقال : إِذْنُ قَتَلْتُهُ وَأَنَا
أَحَقُّ مَنْ وَدَّاهُ .

وهو أول من أمر بإقراء السلام (٢٨٥ ب) على الخلفاء ،
وأقره عمر بن عبد العزيز .

وهو أول من استلحق في الإسلام ، استلحق زيادا عملاً
بقول أبيه أبي سفيان لولا أن يُشْبِرِقَ عُمَرُ إِهَابِي لَعَرَفْتُ أَنَّ

زياداً قريبُ النسب مني ، أنا غرسته في رحم أمه .

وهو أول من اتخذ الخصيان لخاص خدمته .

أول من أخرج المنبر إلى الصحراء في العيد مروان بن الحكم .

وهو أول من أخذ الجار بالجار ، فيما ذكره العسكري ، أخذ فتى بأبيه فجلده وتمثل بقول الشاعر :

جانبك من يجنبي عليك وقد

تُعدي الصّحاح مَبَارِكُ الجُربِ

فقال الفتى : ما هكذا قال الله تعالى بل قال ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ (١) فرق له وخلاه .

ويحكى مثل ذلك عن الحجاج بن يوسف .

أول من نهى عن الكلام بحضرة الخليفة عبد الملك ابن مروان ، وكان الناس قبل ذلك يُراجعون الخليفة فيما يقول ويعترضون عليه فيما يفعل ، وأكثر ما كان ذلك على عثمان .

(١) سورة الأنعام الآية ١٦٤ وسورة الإسراء الآية ١٥ وسورة فاطر الآية ١٨ وسورة الزمر الآية ٧

وهو أول من ضرب الدراهم في الإسلام وكتب في أولها
﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (١) سنة خمس وسبعين ، وجعل كل عشرة
منها وزن سبع مثاقيل ، فاستمر هذا الوزن إلى الآن . وإنما
كان قبل ذلك الدراهم المشخصة ، ثم ضربها الحجاج
ونقش عليها ﴿اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ (٢) ونهى أن يطبع أحد
غيره ، فطبع سهير اليهودى دراهمه السهيرية من فضة
خالصة ، وجعل فيها ذهباً ، فأمر الحجاج بقتله ، فقال :
انظر فإن لم تكن أجود من دراهمك فاقتاني ، فوجدها
[أجود] منها ، فأمر بقتله لجراته على ضربها ، قال :
فإني أعرض عليك أمراً فإن رأيتَه أصلح للمسلمين من قتلي
فأعفني ، قال : هاته ، فوضع الأوزان ووزن ألف وخمسين
مائة وثلاثمائة إلى وزن ربع قيراط ، فجعلها حديداً ،
ونقشها ، وجاء بها إلى الحجاج ، فأعجبه وعفا عنه ،
وكان الناس قبل ذلك يأخذون الدرهم الوازن فيزنون به
غيره ، وأكثر ذلك يؤخذ عدداً .

وهو أول من نقل الديوان من الفارسية بالعراق ومن
الرومية (٢٨٦) بالشام إلى العربية .

(١) سورة الإخلاص الآية ١

(٢) سورة الإخلاص الآية ١ ، ٢

وهو أول من رفع يده على المنبر ، وهو أول خليفة بَخِلَ حتى كان يقال له : رَشِحُ الحجر ، لبخله ، كما تقدم في ترجمته ، يقال إن بعض أخصائه لأمه يوما على ذلك فقال : أما سمعت قول القائل : أَجِجْ كلبك يتبعك ؟ فقال : أما تخشى يا أمير المؤمنين أن يُلَوِّحَ له غيرك بكِسْرَةٍ فيتركك ويتبعه ؟

أول من اتخذ البيمارستان للمرضى في الإسلام الوليد بن عبد الملك ، بنى بيمارستانا بدمشق وسبَّكَه على المرضى ، أما مصر فأول من اتخذه بها أحمد بن طولون ، بناه بالفسطاط ، وهو باق إلى الآن ، ثم اتخذ السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب بيمارستانا بالقاهرة في قاعة من قاعات القصر أُخْبِرَ أنه لا يدخلها النمل ، وهو باق إلى الآن ، ثم اتخذ المنصور قلاوون البيمارستان الكبير ، بين القصرين ، فأنسى ذِكْرَ ما كان قبله .

وهو أول من أجرى الرواتب على القراء والعميان وأصحاب العاهات .

وهو أول خليفة أقام ناموس المُلْكِ ومنع من دعاء الخليفة باسمه ومراجعتَه في الكلام ، وقام بذلك خطيبا فقال :

أيها الناس إنكم كنتم تُكلمون من قبلي من الخلفاء
بكلام الأَكْفَاء ، تقولون يا معاوية ، يا يزيد ،
وإني أعطى الله عهداً يأخذني بالوفاء به لا يُكلمني أحد بمثل
ذلك إلاَّ أتلفتُ نفسه ، ثم إن رجلاً قال له بعد ذلك :
اتق الله يا وليد فإن الكبرياء لله . فأمر به فوُطئ بالأقدام ،
فأيقظ الناس ذلك .

أول خليفة اتخذ الأتراك أبو جعفر المنصور ، اتخذ
حمّادا التركي ، ثم اتخذ المهدي بعده مُباركاً التركي
وغيره .

وهو أول خليفة جمع لعاملٍ بين الحرث والخراج ، جمع
بينهما لخالد بن برمك بفارس .

أول خليفة زاد في الكتب : وأسأله أن يصلي على محمد
وآله ، هارون الرشيد^(١) كما تقدم في المكاتبات (٢٨٦ ب)
قالوا : وكان ذلك من أفضل مناقبه .

وهو أول خليفة جلس في المصائب على البساط دون أنماط
تحتة حين نُعي إليه إبراهيم بن صالح بن علي ، وصار إلى

(١) الذي تقدم في ذلك هو المأمون وكذلك هو في صبح الأعشى - ٦ ص ٤٨١

داره وقال : لا يَحْسُنُ بِأَحَدٍ أَنْ يَجْلِسَ فِي دَارِ حَبِيبٍ مِنْ أَهْلِهِ عَلَى نَمَطٍ وَلَا نُمْرُقَةٍ . فاستنَّ بنو العباس ذلك في المصائب .

أول من دُعِيَ بِنِعْتِهِ عَلَى الْمَنْبَرِ مُحَمَّدُ الْأَمِينُ فَقِيلَ (١) اللَّهُمَّ وَأَصْلِحْ عَبْدَكَ وَخَلِيفَتَكَ عَبْدَ اللَّهِ مُحَمَّدًا الْأَمِينَ . ولم يُذْكَرْ قَبْلَهُ نَعْتُ أَحَدٍ مِنَ الْخُلَفَاءِ عَلَى مَنْبَرٍ .

أول من أَخَّرَ النَّيْرُوزَ الْمُتَوَكَّلُ ، وَقَدْ مَرَّ الْقَوْلُ عَلَيْهِ فِي الْكَلَامِ عَلَى نَقْلِ السَّنَةِ .

وهو أول من أَمَرَ بِتَغْيِيرِ زِيِّ أَهْلِ الذِّمَّةِ ، وَقَدْ مَرَّ الْقَوْلُ عَلَى ذَلِكَ فِي بَابِهِ أَيْضًا .

الفصل الثاني

في ذكر غرائب وملح وأعاجيب تتعلق بالخلفاء

غرائب تتعلق بولاية الخلافة

من ولى الخلافة في حياة أبيه

أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وليها وأبوه حي .

(١) في الأصل : من دعا . . . فقال : والتصويب ما سبق في الأصل عند ذكره لترتيب الخلافة .

الطائع لله انخلع له أبوه المطيع منها حين ضعف وعجز
عن القيام بها وولى مكانه ، وعاش أبوه بعد ذلك أربعين
يوماً ثم مات .

من ولى الخلافة وله أخ أسنُّ منه (١) .

أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب رضی الله عنه ، وليها
وأخوه عقيل أسنُّ منه بعشرين سنة .

يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وليها وأخوه عبد الله
أسنُّ منه .

هشام بن عبد الملك وليها وأخوه مسلمة أسنُّ منه .

يزيد بن الوليد وأخوه إبراهيم ، ولياها وأخوهما العباس
وغيره من إخوتهما أسنُّ منهما

أبو العباس السفاح وليها وأخوه أبو جعفر المنصور أسنُّ
منه بسنين وأعقل منه .

(١) في هامش الأصل بخط مختلف ما يأتي :

هذا من الخلفاء . وأما من غيرهم فإن موسى بن عبيدة الذي يروى عنه الحديث كان أخوه
عبد الله أسنُّ منه بثمانين سنة وهو من أغرب الغرائب وأعجب العجائب وأعجب منه في
التقارب أن عمرو بن العاص كان بينه وبين ابنه عبد الله ثلاث عشرة سنة . ومهم الاتفاقيات؟؟

هارون الرشيد وليها وأخوه (٢٨٧ ا) محمد [بن] المهدي
أسن منه

محمد الأمين وليها وأخوه المأمون أسن منه بستة أشهر
وأعقل منه .

الواثق بالله وليها وأخوه محمد والد المستعين أسن منه .

المتوكل على الله وليها وأخوه أحمد أسن منه .

المعتز بالله وليها وأكثر إخوته أسن منه .

القاهر بالله وليها وأخوه هارون أسن منه .

المطيع لله وليها وأخوه العباس وغيره من إخوته أسن منه .

الطائع لله وليها وأخوه عبد العزيز أسن منه .

من ولي الخلافة من الإخوة :

أربعة إخوة وكُتِبَ الخلافة : هم الوليد ، وسليمان ، ويزيد ،
وهشام ، بنو عبد الملك بن مروان ، لا يعرف ذلك لسواهم .

ثلاثة إخوة ولوا الخلافة ، هم الأمين والمأمون والمعتصم

بنو هارون الرشيد .

والمنتصر والمعتز والمعتمد بنو المتوكل .
والمكتفى والمقتدر والقاهر بنو المعتضد .
والراضى والمقتضى والمطيع بنو المقتدر .
وأما أخوان وليا الخلافة فكثير ، منهم يزيد وإبراهيم
ابنا الوليد .

والسفاح والمنصور ابنا محمد
والهادى والرشيد ابنا المهدي .
والواثق والمتوكل ابنا المعتصم ، وغيرهم .
من ولى صبيّاً :

جعفر بن المقتدر ولى ولم يستكمل إحدى عشرة سنة .
معاوية بن يزيد ولى وله تسع عشرة سنة .
من ولى مُسنّاً قد جاوز الستين :

أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، ولى وله إحدى وستون
سنة .

عبدالله بن الزبير ولى وله أربع وستون سنة .
مروان بن الحكم ولى وله إحدى وستون سنة .

اتفاقية عجيبة في خلع الخلفاء

قال الصولي : الناس يرون أن كل سادس يقوم بأمر الدين منذ أول الإسلام لا بد أن يُخلع . النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، والحسن حلع . ثم معاوية ، ويزيد ، ومعاوية ، ومروان ، وعبد الملك وعبد الله بن الزبير فخلع .

ثم لم يكن في الدولة الأموية من يكمل الستة فكان منهم يزيد بن الوليد (٢٨٧ ب) ، ثم إبراهيم بن الوليد ثم مروان بن محمد وهو آخرهم .

ثم أتى الله تعالى بالدولة العباسية

فكان منهم السفاح ، والمنصور ، والمهدى ، والهادى ، والرشيد ، والأمين فخلع .

ثم المأمون ، والمعتصم ، والواثق ، والمتوكل ، والمنتصر والمستعين فخلع .

ثم المعتز ، والمهتدي ، والمعتمد ، والمعتضد ، والمكتفي ، والمقتدر ، فخلع في فتنة ابن المعتز ثم ردّ .

قال صاحب « رأس مال النديم » : ثم القائم ثم الراضى
ثم المقتفى ، ثم المكتفى ، ثم المطيع ، ثم الطائع فخلع .
قال الصلاح الصفدى : ثم القادر ثم القائم ثم المقتدى
ثم المستظهر ثم المسترشد ثم الراشد فخلع .
ثم المقتفى ثم المستنجد ثم المستضىء ثم الناصر ثم
الظاهر ثم المستعصم فخلع ، وقتل أيام هولاء ملك التتار .
قلت : ثم بويغ المستنصر بالله أحمد بن الظاهر بالديار
المصرية فى الدولة الظاهرية ببيرس ، وجهزه الملك الظاهر
إلى بغداد ليقتلها من التتر فقتله التتر قبل وصوله إليها ،
فهو فى الحقيقة من خلفاء العراق وإن بويغ له بمصر ،
ثم بويغ بعده بالديار المصرية الحاكم بأمر الله أحمد بن
الحسين ، واستقرَّ بها قدمه ، فهو فى الحقيقة أول خلفائها ،
ثم كان بعده بها ابنه المستكفى سليمان ، ثم الحاكم
الثانى أحمد بن المستكفى ، ثم ابنه الثانى الواثق إبراهيم ،
ثم ابنه الثالث المعتضد أبو بكر ، ثم المتوكل محمد بن
المعتضد أبى بكر فخلع ، ثم أعيد ، ثم خلع ، ثم أعيد ،
ثم كان بعده ابنه الإمام المستعين بالله أبو الفضل العباس

ابن المتوكل ، ثم ابنه الثاني الإمام الأعظم المعتضد بالله
أبو الفتح داود خليفة العصر ، خلد الله أيامه ، والله أعلم بمن
يكون السادس فيخلع .

ملح ونوادر تتعلق بالخلفاء

ثمانية كانوا موجودين في زمن واحد ولي كل منهم الخلافة
وهم .

أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ ، والحسن ، ومعاوية
وعبد الله بن الزبير ، ومروان بن الحكم ، (٢٨٨ |)
كلهم كانوا موجودين عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ،
وقد ولي كل منهم الخلافة .

أحد عشر كانوا في زمن واحد ولي كل منهم الخلافة وهم :

الوليد بن عبد الملك ، وسليمان بن عبد الملك ، وعمر
ابن عبد العزيز ، ويزيد بن عبد الملك ، وهشام
ابن عبد الملك ، والوليد بن يزيد ، ويزيد بن الوليد ،
وإبراهيم بن الوليد ، ومروان بن محمد ، وأبو العباس
السفاح ، وأبو جعفر المنصور ، كانوا موجودين

في آخر أيام الوليد بن عبد الملك ، وقد ولوا الخلافة .

خليفة أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة هو :

مروان بن الحكم .

وأولاده العشرة .

عبد الملك ، ومعاوية ، وعبد العزيز ، وبشر ، وعمر ،
ومحمد ، وعبيد الله ، وعبد الله ، وأيوب ، وداود .

وإخوته العشرة (١)

عثمان الأكبر ، وعثمان الأصغر ، والحارث ، وعبد
الرحمن ، وصالح ، وأبان ، ويحيى ، وحبيب ، وعمرو .

وأولاد إخوته العشرة (٢)

عبد الواحد ، وعبد الملك ، وعبد العزيز ، وسعيد ،
أولاد [. . . .] (٣) الحكم ، وحرب ، وعثمان ، وعمر ،

(١) في نسب قریش ص ١٥٩ أن الحكم بن أبي العاص ولد أحد عشر رجلاً ونسوة .

(٢) في نسب قریش ١٦٩-١٧١ أولاد الحارث بن الحكم : عبد الملك وعبد العزيز وعبد الواحد
وعبد ربه وعثمان وأبو بكر . وولد عبد الرحمن بن الحكم [حرب وأبان وغيرهما]
وولد أبان ابن الحكم : الحكم وعثمان . وولد يحيى بن الحكم : مروان ويوسف
وأبو بكر وعمرو وسلمة وحبيب . وولد حبيب بن الحكم : أم عبد الله . وانظر جمهرة
أنساب العرب ص ٧٩ ولد الحكم بن أبي العاص .

(٣) لعله عثمان بن الحكم وانظر الهامش قبله .

أولاد الحارث بن الحكم ، ويوسف وسليمان ويحيى أولاد
عبد الرحمن بن الحكم .

خليفة جرت أحواله على شهر رمضان .

هو عبد الملك بن مروان ، كان يقول : وُلدت في شهر
رمضان وفُطمت في شهر رمضان وأُعذِرْتُ في شهر رمضان ،
وختمت القرآن في شهر رمضان ، وبلغت الحلم في شهر رمضان ،
وأنتنى الخلافة في شهر رمضان ، وأخشى أن أموت في شهر
رمضان . فلما دخل شوال وأمن ، مات .

أربعة خلفاء تزوجوا إلى رجل واحد هم :

الوليد بن عبد الملك ، وسليمان بن عبد الملك ، ويزيد
ابن عبد الملك ، وهشام بن عبد الملك . تزوج^(١) الأربعة بنات
عبد الله بن عمرو بن عثمان ، فتزوج الوليد بنته عبدة ،
وسليمان بنته عائشة ، ويزيد بنته أم سعيد ، وهشام بنته
رُقية ، ولا يعرف مثل ذلك

خليفة ركب البريد

لا يُعرف ذلك إلا لموسى الهادى ، كان غائبا بجرجان ،

(١) في الأصل : تزوجوا . وهي على لغة ضعيفة .

فلما مات أبوه المهديّ كتب إليه أخوه الرشيد بالخبر ،
وأخذ البيعة له بالخلافة ، ووجه مع الرسول (٢٨٨ ب)
الخاتمَ والبُرْدَة والقضيب ، فبلغ جُرْجان في ثمانية أيام ،
ووافى موسى بغداد على البريد بعد ثلاثة عشر يوماً من موت
المهدي .

خليفة سلّم عليه بالخلافة عمّه وعمُّ أبيه وعمُّ جده هو :
الرشيد ، سلم عليه عمه سليمان بن المنصور ، ثم العباس
ابن محمد عم أبيه المهدي ، ثم عبد الصمد بن علي عم
جده أبي جعفر .

خليفة سلم عليه سبعة من أهل بيته كلهم ابن خليفة هو :
المتوكل ، سلم عليه محمد بن الواثق ، وأحمد بن
المتعصم ، وموسى بن المأمون ، وعبدالله بن الأمين ، وأبو
أحمد بن الرشيد ، والعباس بن الهادي ، ومنصور
ابن المهدي .

خليفة قبل يد خليفة ثم قبل ذلك الخليفةُ يده ، هو :
المتعصم ، وقف لإبراهيم بن المهدي أيام خلافته ، ثم
نزل فقبل يده ، ثم أدنى منه ابنه هارون فقبل يده وقال :

يا أمير المؤمنين ، عبدك هارون ابني ، فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فلما استخلف المعتصم ، وكان إبراهيم قد خلع فقبل يده وقال : يا أمير المؤمنين عبدك هبة الله ابني ، فأمر له بعشرة آلاف درهم ، ثم حكى المعتصم هذه الحكاية لعل بن الجنيدي ، فلامه على عدم إنصافه لإبراهيم بن المهدي وقال : إبراهيم إنما أمر لابنك هارون بعشرة آلاف درهم وفي يده بغداد فقط ، وأنت في يدك الدنيا ، فقال : صدقت ، وأمر لهبة الله بن إبراهيم بعشرة آلاف دينار . قال الصولي ولا يُعرف خليفة قبل يد خليفة ، ثم قبل ذلك الخليفة يده إلا في هذين .

خليفة جرت أموره كلها على ثمانية ، هو :

المعتصم ، لأنه الثامن من ولد العباس^(١) ، والثامن من خلفاء بني العباس ، والثامن من أولاد الرشيد ، وولد سنة ثمان وسبعين ومائة ، ومات وعمره ثمان وأربعون سنة ، وملك ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام ، وخلف ثمانية

(١) أي أنه المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس .
فهم ثمانية .

بنين وثمان بنات ، وخلف العَيْن ثمانية آلاف ألف دينار
وثمانية وعشرين ألف ألف درهم وثمانى عشر ألف دابة ،
وفتوحه ثمانية ، وتوفى لثمان بقين من ربيع الأول . إلى غير
ذلك من عدد (١٢٨٩) الثمانية ، أمور قدرها الله تعالى له .

خليفة تنقل في خمس طبقات هو :

إبراهيم بن المهدي ، كان في طبقة أبناء الخلفاء ، ثم
صار خليفة ، ثم صار في طبقة الندماء ، ثم صار في طبقة
المُعَنِّين ، ثم صار في مشيخة بنى هاشم .

خليفة كانت خلافته يوماً أو بعض يوم هو :

عبد الله بن المعتز ، وقد تقدّم ذكره .

خليفة قتل ابنه هو :

سليمان بن عبد الملك ، قتل ابنه أيوب صبّراً .

خليفة قتل أباه هو :

المنتصر ، قتل أباه المتوكل بأن قيّض له غلماناً من

الترك فقتلوه .

خليفة قتل أخاه هو :

المعتز ، قتل أخاه المؤيد بعد أن خلعه من العهد

خليفة قتل عمه هو :

أبو جعفر المنصور ، قتل عمه عبد الله بن علي .

أما من قتل ابن أخيه فكثير ، كالمعتصم قتل العباس
ابن أخيه المأمون بالمرازب .

خليفة ليس له عقب ، هو :

معاوية بن يزيد بن معاوية .

خليفة انقطع عقبه هو :

أبو العباس السفاح .

خليفة جاوز سنه التسعين هو :

القادر بالله ، بلغ ثلاثا وتسعين سنة .

خليفة لم يبلغ عمره عشرين سنة هو .

معاوية بن يزيد بن معاوية .

امرأة زوجها خليفة وابنها خليفة وزوج ابنتها خليفة هي :

فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، زوجها

أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وابنها الحسن السبط ،
وزوج ابنتها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ،
زوج بنتها أمّ كلثوم بنت عليّ .

ثلاث نسوة لا رابعة لهن ولدت كلُّ واحدة منهن
خليفتين وهن :

ولأده بنت العباس العبّسيّة زوجة عبد الملك بن مروان ،
ولدت له الوليد وسليمان ، كل منهما ولى الخلافة .

وشاهريد بنت فيروز بن يزدجرد ، زوجة الوليد بن
عبد الملك ، ولدت له يزيد وإبراهيم ، كل منهما ولى
الخلافة .

والخيزران زوجة المهديّ ، ولدت له موسى الهادي
وهارون الرشيد ، ولى كل منهما الخلافة .

امرأة لها اثنا عشر محرما كل منهم خليفة هي :

عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، يزيد أبوها . معاوية جدها ،
معاوية بن يزيد أخوها ، عبد الملك بن مروان زوجها ،
مروان بن الحكم حموها ، يزيد بن (٢٨٩ ب) عبد الملك

ابنها ، الوليد وسليمان وهشام بنو زوجها ، إبراهيم ويزيد
ابنا الوليد ابنا ابن زوجها .

ونحوها ، فاطمة بنت عبد الملك ، أبوها عبد الملك ،
وجدها لأبيها مروان ، وإخوتها الوليد وسليمان ويزيد
وهشام أولاد عبد الملك ، وبنو عمها الوليد بن يزيد ويزيد
وإبراهيم ابنا الوليد ، وزوجها عمر بن عبد العزيز ، وجدها
لأبيها يزيد بن معاوية ، وأبو جدها معاوية بن أبي سفيان ،
وعمها معاوية بن يزيد بن معاوية .

وقريب منها في بنى العباس ، زبيدة بنت جعفر بن أبي
جعفر المنصور ، جدها المنصور ، وأخو جدها السفاح ،
وزوجها الرشيد ، وعمها المهدي ، وابنها الأمين ، وابنا زوجها
المأمون والمعتصم ، وابنا ابن زوجها الواثق والمتوكل .

أم خليفة تزوجت بعد خلافة ابنها هي :

أم خالد بنت أبي هشام أم معاوية بن يزيد ، تزوجت
بعد موت زوجها (1) مروان بن الحكم .

امرأة تزوجها ثلاثة خلفاء هي :

(1) في الأصل : موت ابنها . هذا وقد تزوجت هي في حياة ابنها .

عبدة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية ، تزوجها الوليد
وهشام بن عبد الملك ومروان بن محمد .

ليلةٌ وُلد فيها خليفة ومات خليفة وولى خليفة هي :

ليلة السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول سنة
سبعين ومائتين ، وُلد بها المأمون ، ومات الهادي ، واستُخلف
الرشيد .

أعاجيب في سعة أموال الخلفاء

رأيت في بعض التواريخ أن يزيد بن عبد الملك بن
مروان كان قماشه يحمل على ستمائة جمل ، وأنه خلف
عشرة آلاف قميص لنفسه . وليُقَسَّ على ذلك باقى أمواله .
هذا والخلافة بعد لم تبلغ حدَّ العظمة .

وحكى الثعالبيُّ أن أبا جعفر المنصور مات عن تسع
مائة ألف ألف درهم ، وخمسين ألف ألف درهم .

وحكى الصولى أن الرشيد خلف مائة ألف ألف دينار .

وحكى غيره أن الرشيد خلّف من الأموال ما لم يُخلف
أحدٌ مثله منذ كانت الدنيا ، وذلك أنه خلف من الأثاث والعين

والجَوهَر والوَرَق والدَّوَابِّ ما قيمته مائة ألف ألف وخمسة
وعشرين ألفاً خارجاً عن الضياع والعقار .

(٢٩٠) وحكى إبراهيم بن نوح أن الذى خلفه المكتفى
مما جمعه المعتضد ومن بعده مائة ألف ألف دينار ، والجوهر
والطيب وما يجرى مجراه عشرون ألف ألف دينار ، والكسوة
والفرش عشرون ألف ألف دينار ، والكراع والسلاح والغلمان
عشرون ألف ألف دينار ، والضياع والعقار والأملاك عشرون
ألف ألف دينار ، وكان فيما أُحصى من المتاع المخلف عن
المكتفى من الثياب المروزيّة والخراسانية ثلاثة وستون ألف
ثوب ، ومن الملاء ألف ملاء ، ومن العمام المروزية ثلاثة
عشر ألف عمامة ، ومن الثياب المروزية المقصورة أربعة
آلاف ثوب خارجاً عن الخام ، ومن الحُلل الوشّى اليمانيّ
المعدّة والمنسوجة بالذهب ألف ألف وثمان مائة حُلّة ، ومن البطائن
التي تُحمل من كرمان فى أنابيب قصب فارس مما لم يُعهد
مثله ثمانية عشر ألف أنبوبة ، بيعت كل أنبوبة منها
بدينارين ، وما أُحصى فى خزائن الفرش من البُسط الأرمينية
وغيرها ثمانية عشر ألف بساط

وعقد المأمون في يوم واحد لأخيه المعتصم على المغرب وأمر له بخمسمائة ألف دينار ، ولابنه العباس على الثغور والعواصم وأمر له بخمسمائة ألف دينار، ولعبد الله بن طاهر على الجبل ومحاربة بابك وأمر له بثلاثمائة ألف دينار ، ثم أمر لسائر القواد بسبعمائة ألف دينار ، فكان جملة ما فرقته في ذلك اليوم ألفى دينار ، فقال عمرو بن الفرج الرُّخَّجِي : هذا يومُ فُرِّقَ فيه من المال ما لم يُفَرَّقْ مثله مذ كانت الدنيا .

وقد مرَّ أن المعتصم خلف ثمانية آلاف دينار وثمانية وعشرين ألف دينار ، وثمانية عشر ألف دابةً خارجاً عما عدا ذلك من الأموال .

ويقال : إن المقتدر خلف نيفا وستين ألف ألف دينار بتكرير الألف مرتين ، وذلك مما جمعه الرشيد ومن بعده .

ولما عمَّلت دعوة المأمون حين تزوج بوران بنت الحسن ابن سهل أقام أبوها للمأمون ولجميع قواده وأصحابه بقم الصلح أنزلهم أربعين يوماً ، واحتفل بما لم ير مثله نفاسه وكثرة .

قال المبرّد : سمعت الحسن بن بغا يقول : كنا نُجْرِي أيام مُقام المأمون عند (٢٩٠ ب) الحسن على ستة وعشرين ألف ملاح ، ولما كانت ليلة البناء وجّلت بورانُ على المأمون فُرِشَ حَصِيرٌ من ذهب ، وجيءُ بِمِكْتَلٍ مُرْصَعٍ فِيهِ دُرٌّ كِبَارٌ فَنُثِرَتْ عَلَى مَنْ حَضَرَ مِنَ النِّسَاءِ ، وَفِيهِنَّ أُمُّ جَعْفَرٍ وَحَمْدُونَةُ بِنْتُ الرَّشِيدِ ، فَمَا مَسَّ مَنْ حَضَرَ مِنَ الدَّرِّ شَيْئًا ، فَقَالَ الْمَأْمُونُ : شَرَّفَنَ أَبَا مُحَمَّدٍ وَأَكْرَمْنَاهَا ، فَمَدَّتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ يَدَهَا فَأَخَذَتْ دُرَّةً ، وَبَقِيَتْ سَائِرُ الدَّرِّ تَلُوحُ عَلَى حَصِيرِ الذَّهَبِ ، فَقَالَ الْمَأْمُونُ : قَاتِلِ اللَّهُ الْحَسَنَ بْنَ هَانِيٍّ ، كَأَنَّهُ قَدْ رَأَى هَذَا حَيْثُ يَقُولُ :

كَأَنَّ صُعْرَى وَكُبْرَى مِنْ فَوَاقِعِهَا
حَصْبَاءُ دُرٌّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ

وكان في المجلس شمعة عنبر فيها مائتا رطل ، فضجَّ المأمونُ من دُخانِها ، فعملت له مُثُلٌ مِنَ الشَّمْعِ فَكَانَ اللَّيْلُ مَدَّةً مُقَامَهُ مِثْلَ النَّهَارِ ، وَلَمَّا كَانَتْ دَعْوَةُ الْقَوَادِ نُثِرَتْ عَلَيْهِمْ رِقَاعٌ فِيهَا أَسْمَاءُ ضِيَاعٍ ، فَمِنْ وَقَعَتْ فِي يَدِهِ رِقْعَةٌ بِضِيْعَةٍ أَشْهَدَ لَهُ الْحَسَنُ بِهَا ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ أَنْفَقَ

في هذه الدعوة أربعة آلاف ألف دينار ، فلما أراد المأمون أن يصعد أمر له بألف ألف دينار ، وأقطع الصلح ، وعتبه على احتفاله ذلك الاحتفال ، وحمله على نفسه ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، أئظن ذلك من مال سهل ؟ والله ما هو إلا مالك ردد إليك ، وأردت أن يفضّل الله أيامك ونكاحك كما فضلك على جميع خلقه .

فانظر إلى هذه الدعوة وما كان فيها وهي نعمة في بحر الخلافة .

ولما أعذر المتوكل ابنه المعتز جلس بعد فراغ القواد والأكابر من الأكل ، فقدمت بين يديه مرافع ذهب مرصعة بالجواهر ، وعليها أمثلة من العنبر والمسك والند المعجون على جميع الصور ، وجعلت بساطا ممدودا ، وأحضر القواد والجلساء وأصحاب المراتب فوضعت بين أيديهم صوان من ذهب مرصعة بأصناف الجواهر من الجانبين وبين السماطين فرجة ، وجاء الفراشون بزناويل قد غشيت بالأدم مملوءة دراهم ودنانير نصفين ، نصت في الفرجة التي بين السماطين حتى ارتفعت على الصواني ، وأمر الحاضرون

أن يشربوا (١٢٩١) ويأخذ كل واحد من يأكل ويشرب من تلك الدراهم والدنانير بثلاث حفنات ما حملت يديه ، وكلما خف موضع صبَّ عليه من تلك الزنابيل حتى يُردَّ إلى حالته ، ووقف غلمان في آخر المجلس وقالوا : إن أمير المؤمنين يقول لكم : ليأخذ من شاء ما شاء . فمدَّ الناس أيديهم إلى المال فأخذه ، وكان الرجل يُثقله ما معه فيخرج به ويسلمه إلى غلمانه ويرجع إلى مكانه ، ولما انقضى^(١) المجلس خلع على الناس ألف خلعة ، وحملوا على ألف مركب بالذهب والفضة ، وأعتق ألف نسمة .

وحكى العسكرى في كتابه « الأوائل » عن أحمد بن حمدون قال : عملت أم المستعين قلاية لم يبق شيء حسن إلا جعلته فيها ، وأنفقت عليها مائة ألف دينار وثلاثين ألف دينار ، وسألت ابنها المستعين أن يقف عليها ، قال أحمد : فقال لي ولأترجئة الهاشمي : اذهب وانظرا إليها وصيفاها لي ، فمضينا فرأيناها ، فما رأينا في الدنيا شيئا حسنا إلا وقد عمل فيها ، ومددت أنا يدي إلى غزال من ذهب مليء عنبرا ، عيناه حبتا جوهر ، وعليه سرج ولجام

(١) لها محرفة أيضا عن : انفض .

وركاب من ذهب ، فأخذته ووضعته في كُمِّي ، وجئنا فوصفنا
له حسنها ، فقال له أُتْرُجَّةٌ : إنه سُرقَ منها ، وغمز به عليّ .
فقلت : ياسيدي ، أَلأَمُّ على مثل هذا ؟ فقال : ارجع فخذ
ما أَطَقْتَ حَمَلَهُ مما تريده ، فقال أُتْرُجَّةٌ : وأنا معه ؟
قال : وأنت معه ، فمضينا فملأنا أكمامنا وخفافنا ،
وفتحنا أَقْبِيَّتَنَا وجعلنا تحتها ما قدرنا عليه ، وعقدنا
أطراف الشفاشح فوق ذلك ، وأقبلنا نمشي مَشَى الجبالي ،
فلما رأنا ضحك ، فقال له الجلساء : فنحن ما ذنبنا ؟
قال : قوموا أنتم أيضا ، وقال المغنون مثل ذلك ، فأذن
لهم ، وجاء فوقف على الطريق ينظر كيف يحملون ما معهم
ويضحك ، فنظر يزيدُ المَهَلَّبِيُّ إلى سطل من ذهب مملوء
مِسْكا ، فأخذه وخرج ، فقال : إلى أين ؟ قال : إلى
الحَمَّامِ ، فضحك وأمر الأطباء والخدم والفرَّاشين فانتهبوا
الباقي ، فوجهت إليه أمه تقول : سرَّ الله أمير المؤمنين في
جميع أفعاله ، كنت (٢٩١ ب) أحب أن تراها قبل أن
تُفَرِّقها ، فقال ، يعاد مثلها ، فأعيد مثلها في مدة شهرين .
إلى غير ذلك من حكايات أموالهم التي لا يأخذها حصر
ولا تدخل تحت حدّ .

ولله خزائن السموات والأرض .

قال الثعالبي : وكان يقال : لبني العباس في المال فاتحةٌ
وواسطةٌ . وخاتمةٌ ، فالفاتحة المنصور ، والواسطة المأمون ،
والخاتمة المعتضد ، يقال : إن ما جمعه السّفّاح إلى الرشيد
فرّقه الأيمن .

اعتبارٌ وعظةٌ في موت عظماء الخلفاء الذين ملكوا الأرض
ودوّنوا البلاد ، وأحاطوا بالأقاليم والأقطار ، وحُمِلَ إليهم
أموالها .

قال أحمد بن أبي دُوَاد : لقد شددت لَحْيِي المأمون والمعتصم
والواثق بيدي ، فما تهيأ لي في القيام على واحد منهم عند
تلك الحالة وجود خرقة أشد بها لَحْيِيه ، وإنما كان مُعَوَّلِي
على الدراريح التي تكون معي أُحرق منها .

ولما مات المكتفى شُغِلَ الناس عن مواراته بأمر المقتدر
المستخلف بعده ، فاجتاز به صاحب خزانة الكسوة ، فوجد
على وجهه رداء قصب فأخذه ، وقال : هذا أُطالب به ،
فاجتاز به بعض خدمه فبكى لما رآه مكشوفاً ، فأخذ
منديلاً كان على رأسه فنشره على وجهه ، ولما نُقل إلى دار

الغسل والتكفين لم تُوجد مِجْمَرَةٌ يُبَخَّرُ فِيهَا ، فَأُخِذَتْ
عَضَارَةٌ مِنْ غَضَائِرِ الْخَزْفِ الْأَحْمَرِ فُبُخِّرَ فِيهَا الْمَوْضِعُ ،
وَكَانَ مِمَّا خَلَّفَهُ أُلُوفٌ مِنْ مِجَامِرِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَقَدْ
مَرَّ ذِكْرُ مَا خَلَّفَهُ فِي الْكَلَامِ عَلَى سَعَةِ أَمْوَالِ الْخُلَفَاءِ قَبْلَ هَذَا .

ولله أبو نواس حيث يقول :

إِذَا اخْتَبَرَ الدُّنْيَا لَبِيبٌ تَكْشَفَتْ

لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقِ

عِبْرَةٌ ، قَالَ الصَّوَلِيُّ : حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى الْكَاتِبُ
قَالَ : لَمَّا وَلى الْمُعْتَزِلُ لَمْ يَمْضِ إِلَّا مَدَّةً حَتَّى أُحْضِرَ النَّاسُ
وَأُخْرِجَ الْمُؤَيَّدَ فَقِيلَ : اشْهَدُوا أَنَّهُ دُعِيَ فَأَجَابَ ، وَلَيْسَ
بِهِ أَثَرٌ ، ثُمَّ مَضَتْ أَشْهُرٌ ، فَأُحْضِرَ النَّاسُ وَأُخْرِجَ الْمُسْتَعِينُ
فَقَالَ : إِنْ مَنَيْتَهُ أَتَتْ عَلَيْهِ وَهِيَ هِيَ لَا أَثَرَ فِيهِ ، فَاشْهَدُوا .
ثُمَّ مَضَتْ مُدِيدَةٌ (٢٩٢) وَاسْتُخْلِفَ الْمُهْتَدِيُّ ، فَأُخْرِجَ
الْمُعْتَزِلُ مَيْتًا وَقِيلَ : اشْهَدُوا أَنَّهُ قَدْ مَاتَ حَتْفَ أَنْفِهِ وَلَا أَثَرَ بِهِ ،
ثُمَّ لَمْ تَكْمَلِ السَّنَةُ حَتَّى اسْتُخْلِفَ الْمُعْتَمِدُ فَأُخْرِجَ الْمُهْتَدِيُّ
مَيْتًا وَقِيلَ : اشْهَدُوا أَنَّهُ قَدْ مَاتَ حَتْفَ أَنْفِهِ مِنْ جِرَاحَتِهِ ،
فَتَعَجَّبَ النَّاسُ مِنْ تَلَاخُقِهِمْ فِي مَدَّةٍ يَسِيرَةٍ .

مثلها ، لما اشتدت عِلَّةُ الواثق دخل أيتاخ لينظر إليه هل مات أم لا ، فلما دنا منه نظر إليه الواثق بمؤخر عينيه ، ففزع أيتاخ وجزع ، وخرج القهقري ، فسقط على وجهه هيبة منه فاندقت يده وانكسر سيفه ، فلم يمض إلا ساعة حتى مات الواثق فعدل به إلى بيت ليُغسل فيه ، فجاءت فأرة فأكلت عينه التي نظر بها إلى أيتاخ ، فعجب الناس من أكل فأرة عيناً فزِع من لحظها أيتاخ حتى تراجع وسقط على سيفه فانكسر ، وذلك في بعض يوم .

نظيرها ، لما جىء برأس مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية إلى عبدالله بن علي أمر بعزله ، فجاءت هرة فقطعت لسانه وجعلت تمضغه ، فقال عبدُ الله بن عليُّ أو غيره : لو لم يُرنا الدهرُ من عجائبه إلا لسانَ مروانَ في فم هذه لكفانا . وكان مروان قبل ذلك قد عرض (١) في ظهر الحيرة سبعين ألفَ عربيٍّ على سبعين ألفَ فرس ، ثم قال : إذا انقضت المدة لم تنفع العدة .

تعقيب ، قد تقدم في الكلام على تراجم خلفاء بني

(١) في الأصل اعرض .

العباس بالديار المصرية أنه مذ نقلت الخلافة إلى الديار المصرية رآذف خلفاؤها الخلفاء الماضين في ألقاب الخلافة ، فتلقَّب أحمد بن الظاهر أول من بويغ بها بالمستنصر ، وتلقَّب أحمد بن الحسين بعده بالحاكم ، وتلقَّب ابنه بعده بالمستكفى ، ثم تلقب بنو المستكفى بالحاكم والواثق والمعتمد ، على ما تقدّم بيانه في تراجمهم ، وهذا إنما كان ينبغي إذا لم يتأتَّ الإتيان بألقاب جديدة مُقتضبة ، وذلك أمر غير مُمتنع ، فكان من حقِّهم أن يقتضبوا لكل واحد لقباً غير ما تقدم .

وقد ذكر في « نقت العروس » ألقاباً تصلح للخلافة (٢٩٢ ب) لم يتلقَّب بها أحد ، فعدها منها : المُعول على الله ، المُومل لله ، الراغب إلى الله ، الساعى لله ، المحي لدين الله ، المستجيش بالله ، المؤثر للحق في الله ، المُرتقب في الله ، المراقب لله ، المتعزز بالله ، المستعدُّ بالله ، المسدد بالله ، السديد بالله ، الشديد بالله ، المُستهدى بالله ، المُستعصم بالله ، العاضد لحق الله ، المعان بالله ، الكافى في الله ، المظهر لدين الله ، الحامى في الله ، المُحتمى في الله ،

الراجي لله ، المرتجى لله ، المكتفى بالله ، المرضىي لأمر الله ،
المُسَلِّم لله ، المستسلم لله ، المُحامي في الله ، المرشد إلى
الله ، المحافظ في الله ، المحفوظ بالله ، العائد بالله ، اللائد
بالله ، الصادع عن الله ، المستند إلى الله ، الذَّابُّ عن دين
الله . وهذه لم يتسمَّ بها أحد من الخلفاء إلى الآن ، وعدَّ
منها المستكفي بالله ، الحافظ لدين الله ، والمستعلي بالله ،
وهذه قد تُلقَّب بها بعد زمانه ، فالمستكفي تلقَّب بها
بعضُ خلفاء بني العباس ، والحافظ لدين الله ، والمستعلي
بالله تلقب بهما بعض الخلفاء الفاطميين بمصر ، على أن
المتتبع لو تتبع ذلك لآتى منه بالقدر الكبير . والله أعلم .

الخاتمة

فيما يختص بالإمام الأعظم المعتضد بالله خليفة العصر

الموضوع له هذا الكتاب

وفيه فصلان :

الفصل الأول

في نسبه

هو الإمام الأعظم المعتضد بالله أبو الفتح داود بن الإمام المتوكل على الله أبي عبد الله محمد بن المعتضد بالله أبي الفتح أبي بكر بن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد بن الأمير الحسين بن الأمير أبي بكر بن الأمير على المعروف بالقبي بن الأمير حسن ابن الراشد بالله أبي جعفر المنصور بن المسترشد بالله أبي منصور الفضل بن المستظهر بالله أبي العباس أحمد بن المقتدى بأمر الله أبي محمد عبد الله بن ذخيرة الدين ولي عهد المسلمين محمد بن القائم بأمر الله أبي جعفر عبد الله بن القادر بالله أبي العباس أحمد بن (٢٩٣ |) الأمير

إِسْحَاقُ بْنُ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ أَبِي الْفَضْلِ جَعْفَرُ بْنُ الْمُعْتَصِدِ بِاللَّهِ
أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ الْأَمِيرِ الْمُوَفَّقِ طَلْحَةُ بْنُ الْمُتَوَكِّلِ عَلِيُّ
اللَّهُ أَبِي الْفَضْلِ جَعْفَرُ بْنُ الْمُعْتَصِمِ بِاللَّهِ أَبِي إِسْحَاقَ مُحَمَّدَ
ابْنَ الرَّشِيدِ أَبِي مُحَمَّدَ هَارُونَ بْنَ الْمَهْدِيِّ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ
ابْنَ الْمَنْصُورِ أَبِي جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدِ الْكَامِلِ بْنِ عَلِيِّ السَّجَّادِ بْنِ
عَبْدِ اللَّهِ حَبْرَ الْأُمَّةِ بْنِ الْعَبَّاسِ عَمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
ابْنَ عَبْدِ الْمَطْلُبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنْفَى بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ
ابْنَ مُرَّةَ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرٍ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ
كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ الْيَاسِ بْنِ مُضَرَ بْنِ
نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ بْنِ أَدَدِ بْنِ مَقُومِ بْنِ نَاحُورِ بْنِ
تَيْرِحِ بْنِ يَعْرَبِ بْنِ يَشْجَبِ بْنِ نَابِتِ بْنِ إِسْمَاعِيلِ بْنِ
إِبْرَاهِيمِ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بْنُ تَارِحِ وَهُوَ آزَرَ بْنِ نَاحُورِ
ابْنَ شَارُوحِ بْنِ رَاغُو بْنِ فَالِغِ بْنِ عَابِرِ بْنِ أَرْفَخْشَدِ بْنِ سَامِ
ابْنَ نُوحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بْنُ لَامِكِ بْنِ مَتَوْشَلِحِ بْنِ خَنُوحِ وَهُوَ
إِدْرِيسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بْنُ بَرْدِ بْنِ مَهْلِيلِ بْنِ قَيْنِنِ بْنِ يَانِشِ
ابْنَ شَيْثِ بْنِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

هَذَا مَا ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ^(١) فِي «سِيرَتِهِ» ، وَفِي كَثِيرٍ مِنْ

(١) أَي فِي امْتِدَادِ النَّسَبِ مِنْ عَبْدِ الْمَطْلُبِ إِلَى آدَمَ أَوْ مِنْ عَدْنَانَ إِلَى آدَمَ .

التواريخ ما يخالف في بعض هذه الأسماء فيقال في نابت
نبت وفي لامك ملك ، وفي خنوخ أخنوخ بألف في أوله ، وفي
مهليل مهلاييل ، وفي قينن قينان ، وفي يانبش أنوش ، والمتفق
عليه إلى عدنان ، وفيما وراء ذلك إلى آدم اختلاف كثير .
قلت : وعلى هذا النسب يكون من أمير المؤمنين إلى آدم
عليه السلام خمسة وسبعون أباً .

منه إلى العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم تسعة وعشرون
أباً ، ومن العباس إلى آدم عليه السلام ستة وأربعون أباً ، ويكون
نسبه الشريف قد اشتمل على ثمانية عشر خليفة ، منهم أربعة خلفاء
بمصر ، وهم المتوكل والمعتضد والمستكفي والحاكم ، وثلاثة
عشر خليفة بالعراق ، وهم الراشد والمسترشد والمستظهر
والمقتدى والقائم والقادر والمقتدر والمعتضد والمتوكل والمعتصم
والرشيد والمهدي والمنصور ، وصحابيان وهما العباس عم
النبي صلى الله عليه وسلم وابنه جبر الأمة عبد الله (٢٩٣ ب)
وسنة أنبياء وهم إسماعيل وإبراهيم ونوح وإدريس وشيث
وآدم عليهم السلام . ويلتقى مع النبي صلى الله عليه وسلم
في هاشم (١) وكذلك مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ،
(١) في هامش الأصل بخط مختلف ما يأتي : هذا خطأ بل يلتقى في عبد المطلب بن هاشم ولعل في
النسخة خطأ وصوابه : في عبد المطلب بن هاشم .

ويلتقى مع أبي بكر الصديق في مُرَّة بن كعب ، ومع أمير^(١) المؤمنين عمر بن الخطاب في كعب بن مُرَّة ، ومع أمير المؤمنين عثمان بن عفان ومعاوية بن أبي سفيان وسائر خلفاء بني أمية في عبد مناف ، ومع عبد الله بن الزبير في قُصَيِّ بن كلاب . وأَكْرَمَ به من نَسَبِ طاب أصله وزكَّتْ فروعه .

الفصل الثاني

في ذكر طرف من مناقبه وأوصافه .

هو أَجَلُّ من نطقت بمفاخره الأَقلام ، وَحُبْرٌ في وصفه الكلام . وَأَجْمَلُ اللسانُ في محاسنه البثِّ ، وَأَعْمَلُ البيانُ نُجْبُ الأَقلامِ في رَقْمِ محامِده الحثِّ ، وَأَتَى بِشِيمِهِ التي كم عِطْفٍ هَزَّتْهُ ، وكم جوادٍ فَخَارٍ لَزَّتْهُ ، وكم عِزٍّ أَسْمَعَتْهُ ، وسامعٍ أَعَزَّتْهُ ، وَمَهَارِقَ عادتْ بتسطير مناقبه حِجْرًا ، وَجَمَّ فضائلَ كانت لذلك مبتدأً وَخَبْرًا .

فَهِيَ الشَّيْمُ التي لو تجسدت

* لكانت لَوْجَهُ الدهرِ عَيْنًا وَحَاجِبًا *

(١) في الأصل : وفي أمير المؤمنين .

من بخلافته فخر العصر ، ومن لا تُدرِك معاليه بإحصاء
ولا حَصْر ، ومن أتت صفاته من كلِّ فضل بالجمع إذا
أتى غيرها بالقصر ، ومن غدا بابُه الشريفُ محطَّ رحال
الآمال ، وملقى عصا الترحال^(١) ، وسبيلَ غيِّث الجدا ،
ومطلع نجم الهدى ، ومحلَّ محلِّ الحبا^(٢) وموطن الجود والحبِّ ،
لا تعنُّ له فرصةٌ خير إلاَّ انتهزها ، ولا شاردةٌ مثوبةٌ إلاَّ
أحرزها ، ولا مساءةٌ إلاَّ حجَّبتها^(٣) ولا مبرةٌ إلاَّ أبرزها ، فلا
لسانٌ عن ذكر محاسنه عشا ، ولا ملكٌ إلاَّ ومن بابِه أو
باب آبائه الخلفاء الراشدين انتشى ، فهو على الحقيقة إمام
الدين وخليفة الإسلام ، والإمام الذي اتصل نسبه بالأئمة
فهو (٢٩٤ |) الإمام بن الإمام بن الإمام ، ماتكلم إلاَّ
أتى بكلِّ معجبٍ مُعجِز ، ولا تحدَّث فأوجز إلاَّ ودَّ المُحدِّثُ
أنه لم يُوجز ، فلو كان الفصلُ رايةً لكان عرابتها ، أو
وجوهاً لكان وسامتها ، كم حلَّى من جيد ، وأعاد بمسرة
الإحسان إلى الخلق من عيد ، وأجرى من صدقات ، ونحلَّ
أبكار المعالي من صدقات ، وأضحى لأولى الرتب ببابه

(١) في الأصل : « الآمال » وهو تكرار والمشهور ألقى عصا الترحال .

(٢) محل الأول بمعنى المكان ومحل الثانية من حل الشيء ونكته .

(٣) لعلها أيضا : حججها .

الشريف ازدحام ، ولثغر الرجاء برحابه ابتسام ، فلمال في
وجوه المعروف يصرفه ، وفي المبررات يُفنيه وفي القربات يُتلفه .

فصيرَ الشطرَ إنعاماً وموهبةً
وصيرَ الشطرَ أحباساً وأوقافاً

فساحته ، التي يَأْوِي إليها الظاعنُ ولا يظعن عنها المقيم ،
وبره ، الذي غدا للسائل المنيلاً وفي دَعْتِهِ المنيم ، فمنهل
بابه العذبُ كثير الزحام ، ومسلكه العالُّ للطلاب سهلُ
الاقترحام ، وأفضاله مُتَسَقَةٌ الفرائد ، وبره يانعُ الروضِ
للرائد ، فلجِبْهَةِ الخلافة منه غُرر ، ولأفُقِهَا من طلعتة
الميمونة نجم يُرَبِّي على القمر ، فكل رداء يرتديه جميل ،
وكلُّ أوصافه لها إلى حسن الثناء سبيل ، حاجات المضطرين
تُوفيه فيَقْضِيها ، وساعاتُ يومه في اصطناع المعروف
يَقْضِيها ، ورحابُه الفسيحة مُسْتَجْمَعُ الرائح من الناس
والغادي ، وملجأُ الحاضر والبادي .

لمُلْتَمِسِي الحاجاتِ جَمْعُ بِيابِهِ
فهذا له شَأْنٌ وهذا له شَأْنٌ

فللبائسِ النُّعْمَى وللمُعْدِمِ الغِنَى
وللظاعنِ المَأْوَى وللخائفِ الأَمْنُ

فلا راحةٌ تخلو من راحةٍ جوده ، ولا ساحةٌ أمل تُقفر من
وفوده ، ولا مُنقطعٌ إلا وله منه صيلةٌ وعائد ، ولا سائلٌ
إلا أُجرى من عطائه على أجمل العوائد ، قطوفُ الأجر
لديه دانية ، ومعروفه المعروف يسرى إلى كافة الآنام سراً
وعلانية ، فلم يأت أحد بمثل إيثاره ، ولم يستطع في
الخير سلوك آثاره ، فالرواة (٢٩٤ ب) تتحدث بأخباره ،
والحدادة تترنم بأسماره ، والأمة تُلقى عصا تسيارها لديه ،
وتهرع من كل فجٍّ إليه ، فتجد مآثره لا تُحصى عجائبها ،
ولا تُعدُّ فرائدها وغرائبها ، وأنى تُحصّر مآثره وهل تُحصّر
البحار بمقال ، أو يُحصى وافر كرمه وهل تُحصى الرمال .
وقد وجدت مكان القولِ ذا سعةٍ

وإن وجدت لساناً قائلاً فقل

والمسئولُ من الله تعالى أن يُديم أيامه دواما لا ينقصه
اختزال ، ويُمدَّ رواق دولته مداً لا يعتريه زوال ، ويجعل
مدحه الطاعن وشخصه المُقيم ، ويمنحه في هذه الدار النعمة
وفي الدار الآخرة النعيم ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وهو
حسبنا ونعم الوكيل .

الفهارس

- ١ - فهرس الموضوعات
- ٢ - فهرس الآيات
- ٣ - فهرس الأحاديث
- ٤ - فهرس القوافي ومثل
- ٥ - فهرس الكتب التي ذكرها المؤلف
- ٦ - فهرس الأعلام
- ٧ - فهرس الأماكن والطوائف
- ٨ - فهرس النوادر والطرائف وكتب بعهود وغيرها
- ٩ - فهرس المراجع

١ - فهرس الموضوعات

الباب الرابع : فيما يكتب عن الخلفاء لأتباعهم وفيه فصلان :

١	الفصل الأول : المذهب الأول
٧٧	المذهب الثاني
٨٦	المذهب الثالث
٩٩	المذهب الرابع

الفصل الثاني : فيما يكتب عن الخلفاء لمن دون الملوك وهو على خمسة أساليب :

١٣٨	الأسلوب الأول
١٨٠	الأسلوب الثاني
١٩٢	الأسلوب الثالث
١٩٨	الأسلوب الرابع
٢٠١٠	الأسلوب الخامس

الباب الخامس : فيما كان يكتب عن الخلفاء من الإقطاعات وتحويل السنين . الخ

وفيه ثلاثة فصول

٢١٠	الفصل الأول
٢٢١	الفصل الثاني
٢٢٨	الفصل الثالث

الباب السادس : في الكتب الصادرة عن الخلفاء وولاية العهد بالخلافة ، والكتب

الصادرة إلى الخلفاء وولاية العهد من الملوك ونحوهم ، وفيه

فصلان :

٢٣٦	المذهب الأول :
٢٤٦	المذهب الثاني
٢٦٥	المذهب الثالث
٢٧٤	المذهب الرابع

الفصل الثاني : في الكتب الصادرة عن الملوك إلى الخلفاء وفيها ستة أساليب :

٢٧٧	الأسلوب الأول
٣٠١	الأسلوب الثاني
٣٠٨	الأسلوب الثالث
٣١٥	الأسلوب الرابع
٣١٨	الأسلوب الخامس
٣٢٢	الأسلوب السادس

الباب السابع : في ذكر أوائل منسوبة إلى الخلفاء وغرائب وملح وأعاجيب تتعلق بهم وفيه فصلان :

٣٣٤	الفصل الأول : أوائل منسوبة اليهم
٣٤٨	الفصل الثاني : في ذكر غرائب وملح وأعاجيب
٣٥٢	اتفاقية عجيبة في خلع الخلفاء
٣٥٤	ملح ونوادير تتعلق بالخلفاء
٣٦٣	أعاجيب في سعة أموال الخلفاء
٣٧٠	اعتبار وعظة
٣٧٢	تعقيب

الخاتمة فيما يختص بالخليفة المعتضد الموضوع له الكتاب وفيه فصلان :

٣٧٥	الفصل الأول : في نسبه
٣٧٨	الفصل الثاني : في ذكر طرف من مناقبه وأوصافه

٢ - فهرس الآيات

الصفحة	الآية	رقم الآية
	سورة البقرة	
١٦٢ ، ١٧ ، ١٦	أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون	٤٤
٤٢	واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين	٤٥
١١٣	واقتلوهم حيث ثقفتموهم	١٩١
١٤٢ ، ١٠٧	وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يأولى الألباب	١٩٧
٢٤ - ٢٥ ،	ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون	٢٢٩
١٦٤ ، ١٥٧		
١٠٨	حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين	٢٣٨
٥٣	والله يوتئى ملكه من يشاء والله واسع عليم	٢٤٧
	سورة آل عمران	
٢٣١	لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة	٢٨
٢٤٧	قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون	٦٤
٢٣٠ - ٢٢٩	ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين	٨٥
١٦٧ ، ١١٥	ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً	٩٧

رقم الآية	الآية	الصفحة
١٠٢	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون	١٣٦، ١٦٠
١١٠	كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون	١٧٢، ٢٥٠
١١٨	يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون	٢٣٠، ٢٣١
١٣٣	وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين	١٨٩
١٣٨	هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين	١٠٧ - ١٠٨
١٤٤	وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين	٢٤٩ - ٢٥٠
١٥٩	فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين	١١٠، ٩٢، ٢١
	سورة النساء	١٥٦، ١٤٤
٦	فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيباً	١٤٧
٥٨	إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها	٢٧، ٦٣
٥٩	يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم	١٧٤، ١٠٥
٦٩	وحسن أولئك رفيقاً	٢٥٧، ٥٤

رقم الآية	الإيـة	الصفحة
٨٠	من يطع الرسول فقد أطاع الله	١١٠
٩١	واقتلوهم حيث ثقفتموهم	١١٣
١٠٣	إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا	١٠٨، ٩٠، ١١٨
١٣٥	يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً	١٧٣
١٤٤	يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً	١٥٦، ١٤٥
	سورة المائدة	٢٣١
١	يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود	٢٢، ٢
٢	وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب	١٤٧، ١١٥، ٢٩
٣	اليوم أكملت لكم دينكم	٣١١
٣٣	إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم جزى في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم	٢٧، ٢٦
٤٤	ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون	١٤٥
٤٥	ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون	١٤٨
٤٧	ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون	٤٦
٥١	يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين	٢٣١

الصفحة	الآية	رقم الآية
٢٩٨	إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون سورة الأنعام	٩٠
٢٥٣	لكل نبي مستقر وسوف تعلمون	٦٧
٣٤٤	ولا تزر وازرة وزر أخرى سورة الأعراف	١٦٤
٣١	والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون	٥٨
٩١	خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین سورة الأنفال	١٩٩
٩٥	واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه ولارسلولذي القربى والیتامى والمساکین وابن السبیل وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخیل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرین من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم سورة التوبة	٤١
٢٩٨، ١١٨، ٣٥		٦٠
١٨٩	إن الله يحب المتقين	٧ : ٤
٤٨ ، ٤٧	قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنین إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين	١٤
١٦٨ ، ٩٠ ، ٢٠		١٨
٢٣٠	قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون	٢٩

رقم الآية	الآية	الصفحة
٤١	انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون	٩٤ ، ٧٤
٤٨	لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون	٤٠
٦٠	إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم	٣٣
١١١	إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم	٢٩٧
١١٩	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين	١٦٠
١٢٠	ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يظنون موطننا يغيب الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين* ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن مما كانوا يعملون	١١٣
١٢٣	قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين	٣١١ ، ٢٩٨
	سورة هود	
١٨	ألا لعنة الله على الظالمين	٣
	سورة يوسف	
٢١	والله غالب على أمره	٥٢

الصفحة	الآية	رقم الآية
١٩٠	إن النفس لأماراة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم سورة الرعد	٥٣
٢٣٨	إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال	١١
٤٧	والله يحكم لا معقب لحكمه سورة إبراهيم	٤١
١٤٢	وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد سرايبهم من قطران وتغشى وجوههم النار سورة النحل	٥٠، ٤٩
١٠١	يتفياً ظلاله عن اليمين والشمائل	٤٨
١٤٣	ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين	٨٩
١١٤، ٩٣	إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون	٩٠
٩٥	وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون	٩١
٣	إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون سورة الإسراء	١٢٨
٦٤	سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى	١
٣٤٤	ولا تزرر وازرة وزر أخرى	١٥
٢٩٥	وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يلبغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما	٢٤، ٢٣

رقم الآية	الآية	الصفحة
	أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً	
٣٣	فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً	٥٢
٣٤	وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً	٣٤
	سورة الكهف	
١٧	من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً	٢٥٠
٢٥	ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا	٢٢٢
٥٠	وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً	٢٥١-٢٥٠
	سورة مريم	
٥٩	فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً	٢٥
	سورة طه	
٣٧	ولقد مننا عليك مرة أخرى	٣٠٢
١١١	وقد خاب من حمل ظلماً	٣١٢، ١٢٧
	سورة الأنبياء	
٣٤	وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون	٢٤٩
١٠٥	ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون	٣٠١
	سورة الحج	
٣٠	ومن يعظم حرمات الله فهو حسبه له عذابه	٧٣

الصفحة	الآية	رقم الآية
	سورة المؤمنون	
١٠٨	قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون	٢٠١
٩٦	وأكثرهم للحق كارهون	٧٠
	سورة النور	
٤٦	أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال * رجال	٣٧ ، ٣٦
	سورة الشعراء	
	أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين * وزنوا	١٨١
	بالقسطاس المستقيم * ولا تبخسوا الناس أشياءهم	١٨٢
١١٩	ولا تعثوا في الأرض مفسدين	١٨٣
١٧٦ - ١٧٧	وأنذر عشيرتلك الأقربين	٢١٤
	سورة النمل	
٩٦	ومن شكر فإنما يشكر لنفسه	٤٠
	سورة العنكبوت	
١٠٨ ، ١٨ -	وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر	٤٥
١٧٣ ، ١٠٩		
١١٨	والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين	٦٩
	سورة لقمان	
٢٩٤	أن أشكر لي ولو الدبك إلى المصير	١٤
٩٤	وأمر بالمعروف وانه عن المنكر	١٧
	ألم تر أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض	٢٠
	وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من	
٢٦٦	يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير	
	سورة الاحزاب	
٤٥	وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصبيهم	٢٦

رقم الآية	الآية	الصفحة
٣٣	إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا	١٦٤ ، ١٥٣
٤٦	وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا	١٠١ - ١٠٠
٦	سورة فاطر إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير	٢٥١
١٨	ولا تزر وازرة وزر أخرى	٣٤٤
٧٠	سورة يس لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين	٢٤٩ ، ٢٣٠
٢٦	سورة ص يادادود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب	١٥٤ ، ٢٨
٢٩	كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب	١٠٨
٧	سورة الزمر ولا تزر وازرة وزر أخرى	٣٤٤
٣٠	إنك ميت وإنهم ميتون	٢٤٩
٧٤	وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض	٢٦٦
٦٥	سورة غافر لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين	٢٨٥
٤٢ ، ٤١	سورة فصلت وإنه لكتاب عزيز * لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد	٨٩ ، ٤٢ ، ١٧ ١٦٠ ، ١٥٣ ٢٣٠

الصفحة	الآية	رقم الآية
	سورة الشورى	
٢٠٢، ١٠٠	ليس كمثل شيء وهو السميع البصير	١١
	قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ومن	٢٣
١٦٣	يقترف حسنة نزد له فيها حسنا	
	سورة الزخرف	
٥٠	وجعلها كلمة باقية في عقبه	٢٨
	سورة الفتح	
	إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم	١٠
٤٣، ٤٢، ٢٢	فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد	
٦٣	عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما	
٦٧	وكانوا أحق بها وأهلها	٢٦
	سورة الحجرات	
	يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن	٦
١٥٥	تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين	
	سورة النجم	
	وأن ليس للإنسان إلا ما سعى * وأن سعيه سوف	٤٠، ٣٩
١٦٩، ٣٢	يرى * ثم يجزاه الجزاء الأوفى	٤١
	سورة الرحمن	
٧٤	هل جزاء الإحسان إلا الإحسان	٦٠
	سورة الحشر	
	وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا	٧
١٤٤، ١١٠	واتقوا الله إن الله شديد العقاب	
١٩٥	ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة	٩
٨٩	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد	١٨

رقم الآية	الآية	الصفحة
٩	سورة الجمعة يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن تعلمون	١٩-٢٠، ١٧٣
٤	سورة المنافقون كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم	٤٥
١	سورة الطلاق ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه	٧٦
٢	وأشهدوا ذوى عدل منكم	١٤٦
٣، ٢	ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب	١٦
٥	ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا	١٠٧
٧	سورة الحاقة فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية	٣٠٤
٦-١	سورة المطففين ويل للمطففين * الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون * وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون * ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون * ليوم عظيم * يوم يقوم الناس لرب العالمين	٣٧، ١١٩، ١٥٠
٢، ١	سورة الانخلاص قل هو الله أحد * الله الصمد	٣٤٥

٣ - فهرس الأحاديث

- ١ - « ألا أخبركم بخير الناس ؟ ممسك بعنان فرسه كلما سمع هيعة طار إليها » ١١٤
- ٢ - « بسم الله الرحمن الرحيم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب . أما بعد : فإنني أدعوكم إلى عبادة الله » ٢٣٧
- ٣ - « غدوة في سبيل الله أروحة خير مما طلعت عليه الشمس » ١٣
- ٤ - « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » ١١٧
- ٥ - « من نزل منزلاً يخيف فيه المشركين ويخيفونه كان له كأجر ساجد لا يرفع رأسه إلى يوم القيامة وأجر قائم » ١١٣
- ٦ - « من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ، أما بعد ، فإنني أدعوك بدعاية الإسلام » ٢٤٧
- ٧ - « هذا ذكر ما وهب محمد رسول الله للداريين إذا أعطاه الله الأرض وهب لهم بيت عينون » ٢١١
- ٨ - « هذا كتاب من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لتميم الدارى » ٢١٢
- ٩ - « هذا ما أنطى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم تميم الدارى وأصحابه » ٢١١
- ١٠ - « يا عبد الرحمن بن سمرة ، لاتسأل الإمارة ، فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها » ٧٢

٤ - فهرس القوافي ومثل

الصفحة	بحره	قافيته	أول البيت
٣٦٦	البيسط	من الذَّهَبِ	كأن صغرى
٣٤٤	الكامل	مباركُ الحُرْبِ	جانيك
١١	الطويل	هو أسعدُ	ولأنك لا
٦٨	الكامل	إليك المنبرُ	ولو أنّ
٣٨٠	البيسط	وأوقافنا	فصيّر الشطر
٣٧١	الطويل	ثياب صديق	إذا اختر
٢٣٨	الطويل	ولمّا أمزقِ	فإن كنت
٣٨١	البيسط	قائلاً فقلّ	وقد وجدت
٣٨٠	الطويل	له شأنُ	للمتمس الحاجات

شطر بيت

٣٧٨ لكانت لوجه الدهر عيناً وحاجبا

مثل

٣٤٦ أجمع كلبك يتبعك

٥ - الكتب التي ذكرها المؤلف

- الأوائل ٣٦٨
تاريخ البورى ١٠٠
تاريخ الشام ٢١٠
التثقيف ٣٣٢
التعريف بالمصطلح الشريف ٣٢٢ ، ٣٢٤ ، ٣٣٢
الخراج القدامة ٢٨٢
الدر الملتقط ٢٧٦
ذخيرة الكتاب ٢٧٥ ، ٣٣٦
رأس مال النديم ٣٥٣
السيرة لابن إسحاق ٣٧٦
صبح الأعشى في كتابة الإنشا ٩٨ ، ١٨٣ ، ٢٧٩
صناعة الكتاب ٢٧٤ ، ٢٨٣ ، ٣٣١
العقد « الفريد » ١٨٠
لطائف المعارف ٣٤١
المثل السائر ٩٨
مسند البزار ١٨٢
معالم الكتابة ٣١٥
المنهاج في صناعة الخراج ٢٢٨
نقط العروس ٣٧٣

٦ - فهرس الأعلام

- آدم عليه السلام ٣٧٧
الأمير الفاطمي ٢٣٤
أبان بن الحكم ٣٥٥
إبراهيم عليه السلام ٣٧٧
إبراهيم بن سليمان = الواثق ٣٥٣ ، ٣٧٣
إبراهيم بن صالح بن علي ٣٤٧
إبراهيم بن العباس ٢٢٣
إبراهيم بن القيسري شمس الدين ٦٠
إبراهيم بن لقمان الصاحب فخر الدين ٩٩ ، ١٢١
إبراهيم بن المهدي ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩
إبراهيم بن نوح ٣٦٤
إبراهيم بن الوليد ٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤ ، ٣٦١ ، ٣٦٢
أترجة الهاشمي ٢٦٨ ، ٣٦٩
ابن الأثير ٩٨
أحمد بن الحسن = الحاكم بأمر الله ٣٩ ، ٥٠ ، ٦٠ ، ٦١ ، ١٢١
١٢٩ ، ٣٥٣ ، ٣٧٣ ، ٣٧٧
أحمد بن أبي الحسين = عز الدولة بن معز الدولة ١٧٤
أبو أحمد = الحسين بن موسى ١٥١ ، ١٥٨ ، ١٦٥ ، ١٧٥
أحمد بن حملون ٣٦٨
أحمد بن أبي دواد ٣٧٠

- أبو أحمد بن الرشيد ٣٥٧
أحمد بن سليمان = الحاكم بأمر الله ١٢٩ ، ٢٦٥ ، ٢٧٦ ، ٣٢٤ ،
٣٢٨ ، ٣٥٣ ، ٣٧٣
أحمد بن طولون ٣٤٦
أحمد بن الظاهر = المستنصر
أحمد أبو العباس = الناصر الدين الله ١٤٠
أحمد بن عبد ربه = صاحب العقد ١٨٠
أحمد بن محمد بن قلاوون = الملك الناصر ٢٦٥ ، ٢٧٦
أحمد بن المعتصم ٣٥٠ ، ٣٥٧
أحمد بن الناقد أبو الأزهر ٩٩
أحمد بن نصر العباسي ٨٢
إدريس عليه السلام ٣٧٧
أبو الأزهر أحمد بن الناقد ٩٩
ابن إسحاق صاحب السيرة ٣٧٦
أبو إسحاق الصابي ١٢ ، ١٥١ ، ١٥٨ ، ١٧٠ ، ١٧٥ ، ٢١٢ ،
٢٨٤ ، ٢٥٤
إسماعيل عليه السلام ٣٧٧
الأشتر النخعي مالك بن الحارث ٦ ، ٧ ، ٣٤١
الأشرف شيرز بن عضد الدولة ٧٧
الأشرف كجك بن محمد بن قلاوون ٢٦٥

الأصفهاني العمار ٣٠١

الأفشين ٢٣٩

ألب غازي بك = محمد بن أبي بكر ١٠٦

ألب غازي = صلاح الدين يوسف

أمين الدولتين ابن موصلايا ٢٠١

الأمين محمد الخليفة ٣٤٨ ، ٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٣٦٢ ، ٣٧٠

أنس بن مالك ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٨٠ ، ٢٨١

أيتاخ ٣٧٢

أيوب بن سليمان بن عبد الملك ٣٥٩

أيوب بن مروان ٣٥٥

بابرنس ٣٠٦

بابك ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٣٦٥

أبو البركات أخو أبي تغلب بن حمدان ٢٩٤ ، ٢٩٦

البيزار ١٨٢

بشر بن مروان ٣٥٥

أبو بكر الصديق ١٣٨ ، ١٣٩ ، ٢١١ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٣٣٤

٣٣٨ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٨ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤ ، ٣٧٨

أبو بكر بن سليمان = المعتضد ٣٥٣

بهاء الدولة بن عضد الدولة ١٥٨

بهاء الدين البندقدار ٣٢٧

بوران بنت الحسن بن سهل ٣٦٥ ، ٣٦٦

البوري صاحب التاريخ ١٠٠

بيرس الظاهر ٥٩ ، ١٢١ ، ٣٥٣

أبو تغلب بن حمدان ٢٨٤

تقى الدين بن حجة ١٩٤

تقى الدين بن صلاح الدين ٣٠٨

تميم بن أوس الدارى ٢١١

تنكر سيف الدين ٣٢٩

الثعالبي ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٦٣ ، ٣٧٠

الجاثليق بن عبد يسوع ٢٠١

الجاحظ ٣٤٢

أم جعفر = زبيدة ٣٦٦

أبو جعفر عبد الله = القائم بأمر الله ٢٠١ ، ٣٥٣ ، ٣٧٧

جعفر بن المقتدر ٣٥١

أبو جعفر المنصور ٣٤٧ ، ٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤ ، ٣٥٧

٣٦٠ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٧٠ ، ٣٧٧

أبو جعفر النحاس ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٣٣١

أبو جعفر المنصور = المستنصر بالله

جلال الدين علاء الدين خوارزم شاه ٣٢٤

أم جلال الدين بن علاء الدين ٣٢٤

جهيم بن قيس ٢١١

ابن حاجب النعمان ٢٧٥

الحارث بن الحكم ٣٥٥ ، ٣٥٦

الحاكم بأمر الله = أحمد بن الحسين أبو العباس ٣٩ ، ٥٠ ، ٦٠ ، ٦١

١٢١ ، ١٢٩ ، ٣٥٣ ، ٣٧٣ ، ٣٧٧

الحاكم بأمر الله = أحمد بن سليمان ١٢٩ ، ٢٦٥ ، ٢٧٦ ، ٣٢٤ ،

٣٢٨ ، ٣٥٣ ، ٣٧٣

حبيب بن الحكم ٣٥٥

حبيب بن ذويب ٣٤١

الحجاج بن يوسف ٢٥٢ ، ٢٨٠ ، ٣٣٩ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥

ابن حجة تقي الدين ١٩٤

حرب بن الحارث ٣٥٥

حسام الدين لاجين الملك المنصور ٥٠ ، ٥١ ، ٥٥ ، ٦٠

الحسن بن يغا ٣٦٦

الحسن بن سهل ٣٦٥ ، ٣٦٦

الحسن بن علي بن أبي طالب ٣٥٢ ، ٣٥٤ ، ٣٦١

أبو الحسن فخر الدولة بن ركن الدولة ١٢

أبو الحسن محمد بن الحسين ١٥٨

الحسن بن هانيء = أبو نواس ٣٦٦ ، ٣٧١

أبو الحسين معز الدولة ٨١

الحسين بن موسى العلوي ١٥١ ، ١٥٨ ، ١٦٥ ، ١٧٥

الحسين بن يحيى الكاتب ٣٧١

الخطيئة ٣٣٧

حفص بن المغيرة ٣٤٣

حماد التركي ٣٤٧

حمدان بن ناصر الدولة ٢٩٥

حمدونة بنت الرشيد ٣٦٦

ابن الحمصي = ناصر الدين محمد بن الحمصي ٣٢٤ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ ،
٣٣٠

خالد بن يرمك ٣٤٧

أم خالد بنت أبي هشام ٣٦٢

خالد بن الوليد ٧٥ ، ٢٧٨ ، ٣٣٦

خوارزم شاه علاء الدين ٣٢٤

الخيزران ٣٦١

داود بن محمد = المعتضد بالله أبو الفتح ١٩٤ ، ٣٥٤ ، ٣٧٥

داود بن مروان ٣٥٥

داود بن يوسف = هزبر الدين الملك المؤيد ٢٥٦

دجى الخادم ٨٢

الراشد ٣٥٣ ، ٣٧٧

الراضى بن المقتدر ٣٥٣ ، ٣٥١

رسول الله صلى الله عليه وسلم النبي محمد ٢ ، ٥٤ ، ٢١٠ ، ٢١١ ،

٢١٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٧٧ ،

٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤ ،

٣٧٧ وانظر نسخ العهود وما كتب منها ففيها ذكره صلى الله عليه وسلم

رشح الحجر = عبد الملك بن مروان

رشيد الدين ٣٠٧

الرشيد = هارون الرشيد ٣٣٩ ، ٣٤٧ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ،

٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٥ ، ٣٧٧

- رقية بنت عبد الله بن عمرو ٣٥٦
ركن الدولة أبو علي ٨١
زياد بن أبيه = زياد بن أبي سفيان ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤
الزبرقان بن بدر ٣٣٧
زبيدة بنت جعفر ٣٦٢
زين الملة = شيرز
أم سعيد بنت عبد الله بن عمرو ٣٥٦
سعيد بن أخى مروان ٣٥٥
السفاح أبو العباس ٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤ ، ٣٦٠ ، ٣٦٢ ،
٣٧٠
أبو سفيان ٣٤٣
السلطان الشهيد الملك الناصر ١٩٦
سلمان الفارسي ٣٤٠
سليمان بن أحمد = المستكفي ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٣٥٣ ، ٣٧٣ ،
٣٧٧
سليمان بن عبد الرحمن ٣٥٦
سليمان بن عبد الملك ٣٥٠ ، ٣٥٤ ، ٣٥٦ ، ٣٥٩ ، ٣٦١ ، ٣٦٢
سليمان بن المنصور أبي جمعة ٢٥٧
سهل والد الحسن بن سهل ٣٦٧
سهير اليهودي ٣٤٥
سيف الدين تنكر ٣٢٩
شاهريد بنت فيروز ٣٦١

أبو شجاع عضد الدولة ٨٠ ، ٨١

شرحبيل بن حسنة ٢١١

شرف الدولة = شيرز

الشعبي ٣٣٩

شمس الدين إبراهيم بن القيسري ٦٠

شمس الملة = صمصام الدولة

الشهابي بن فضل الله المقر الشهابي ٩٩ ، ٢٦٥ ، ٢٧٦ ، ٣٢٢ ،

٣٢٤ ، ٣٣١ ، ٣٣٢

شهاب الدين محمود الحلبي ٣٩ ، ٥٠

شيث عليه السلام ٣٧٧

ابن شيث ٣١٥

شيخ الملك المؤيد ١٣٧

شيرز بن عضد الدولة ٧٧

الصابي أبو إسحاق ١٢ ، ١٥١ ، ١٥٨ ، ١٧٠ ، ١٧٥ ، ٢١٢ ،

٢٨٤ ، ٢٥٤

الصاحب فخر الدين بن لقمان = إبراهيم بن لقمان ٩٩ ، ١٢١

صارم الدين صاروجا ٣٢٨

صاروجا = صارم الدين

صالح بن الحكم ٣٥٥

الصلاح الصفدي ٣٥٣

صلاح الدين يوسف بن أيوب ٨٦ ، ٨٧ ، ٣٠١ ، ٣٠٩ ، ٣١٥ ،

٣٤٦

٤٠٨

صمصام الدولة أبو كالجار ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٢٥٤

الصولي ٣٥٢ ، ٣٥٨ ، ٣٧١

ضياء الدين = ابن الأثير

ضياء الملة = بهاء الدولة بن عضد الدولة

أبو طاهر ١٥٧ ، ٢٩٠

الطائع عبد الكريم ١٢ ، ٧٧ ، ١٥٨ ، ١٧٠ ، ١٧٥ ، ٢٥٤ ،

٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥٣

طلحة بن عبيد الله ٣٤١

الطنبغا ٢٦٩

الظاهر بيبرس ٩٩ ، ١٢١ ، ٣٥٣

الظاهر بالله الخليفة ٣٥٠ ، ٣٥٣

عاتكة بنت يزيد بن معاوية ٣٦١

العادل سيف الدين أخو صلاح الدين ٣٠٨

العادل كتبغا المنصوري ٣٩

عاصم بن أبي محكن ٣٦٠

عائشة بنت عبد الله بن عمرو ٣٥٦

ابن عباس = عبدالله بن عباس ٣٣٩ ، ٣٧٧

أبو العباس أحمد = الحاكم بأمر الله ٣٩ ، ٥٠ ، ٦٠ ، ٦١ ،

١٢١ ، ١٢٩ ، ٣٥٣ ، ٣٧٣ ، ٣٧٧

أبو العباس أحمد = الناصر لدين الله ١٤٠

أبو العباس السفاح ٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤ ، ٣٦٠ ، ٣٦٢ ،

٣٧٠

العباس بن عبد المطلب ٥٤ ، ٢١١ ، ٣٥٨ ، ٣٧٧
العباس بن المأمون ٣٦٠ ، ٣٦٥
العباس أبو الفضل = المستعين بالله ١٩٣ ، ٢٦٤ ، ٢٧٤ ، ٣٥٣
٣٦٨ ، ٣٧١
العباس بن محمد عم المهدي ٣٥٧
العباس أخو المطيع ٣٥٠
العباس بن الهادي ٣٥٧
العباس بن الوليد ٣٤٩
عبدة بنت عبد الله بن عمرو ٣٥٦ وانظر ما بعدها
عبدة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية ٣٦٣ وانظر السابقة
ابن عبد الحكم ٢٧٩
عبد الحميد بن يحيى ١٨٢
عبد الرحمن بن الحكم ٣٥٥ ، ٣٥٦
عبد الرحيم البيساني = القاضي الفاضل
عبد الصمد بن علي ٣٥٧
عبد العزيز أخو الطائع ٣٥٠
عبد العزيز بن مروان ٣٥٥
عبد العزيز بن أخي مروان ٣٥٥
عبد الكريم = الطائع ١٢ ، ٧٧ ، ١٥٨ ، ١٧٠ ، ١٧٥ ، ٢٥٤ ،
٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥٣
عبد الله بن الأمين ٣٥٧
عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ٣٤٢

- عبد الله أبو جعفر = القائم بأمر الله ٢٠١ ، ٣٥٣ ، ٣٧٧ ،
عبد الله بن الزبير ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤ ، ٣٧٨ ،
عبد الله بن طاهر ٣٦٥ ،
عبد الله بن عباس ٣٣٩ ، ٣٧٧ ،
عبد الله بن علي ٣٦٠ ، ٣٧٢ ،
عبد الله بن عمرو بن عثمان ٣٥٦ ،
عبد الله بن قيس = أبو موسى الأشعري ١٨٠ ، ١٨٢ ،
أبو عبد الله محمد بن فضالان = محيي الدين ١٤٠ ،
عبد الله بن مروان ٣٥٥ ،
عبد الله بن المعتز = ابن المعتز ٣٥٢ ، ٣٥٩ ،
عبد الله بن معاوية ٣٤٩ ،
عبد الملك بن مروان ٢٥٢ ، ٢٨٠ ، ٣٤٢ ، ٣٤٤ ، ٣٥٠ ، ٣٥٢ ،
٣٥٥ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ،
عبد الملك بن أخي مروان ٣٥٥ ،
عبد مناف بن قصي ٣٧٨ ،
عبد الواحد بن الفضل ١٧٠ ،
عبد الواحد بن أخي مروان ٣٥٥ ،
عبد يسوع الجاثليق ٢٠١ ،
عبيد الله بن مروان ٣٥٥ ،
عثمان الأصغر بن الحكم ٣٥٥ ،
عثمان الأكبر بن الحكم ٣٥٥ ،
عثمان بن الحارث ٣٥٥ ،

- عثمان بن حنيف ٣٣٨
عثمان بن عفان ٢١١ ، ٢٣٧ ، ٣٣٦ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤٣ ،
٣٤٤ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤ ، ٣٧٨
عز الدولة بن معز الدولة ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٧٤ ، ٢٨٤
ابن عساكر ٢١٠
العسكري أبو هلال ٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤٤ ، ٣٦٨
عضد الدولة أبو شجاع ٨٠ ، ٨١
عضد الدولة بن بويه ٢٥٤
عقيل بن أبي طالب ٣٤٩
علاء الدين بن الأبو بكرى ٣٢٩
علاء الدين خوارزم شاه ٣٥٤
على بن أحمد بن الفضل الهاشمى ١٧٠
على بن الجنيد ٣٥٨
على بن الحسين الهاشمى الزينبي ٨٢
على بن خلف ١٩٣
أبو على ركن الدولة ٨١
على بن أبي طالب ٦ ، ٢١٢ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٤١ ، ٣٤٩ ،
٣٥٢ ، ٣٥٤ ، ٣٦١ ، ٣٧٧
العماد الأصفهاني ٣٠١
عمر بن الحارث ٣٥٥
عمر بن الخطاب ١٨٠ ، ١٨٢ ، ٢١١ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٥٢ ،
٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ،
٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤ ، ٣٦١ ، ٣٧٨

- عمر بن عبد العزيز ٣٤٣ ، ٣٥٤ ، ٣٦٢
- عمر بن مروان ٣٥٥
- عمرو بن حزم ٢
- عمرو بن الحكم ٣٥٥
- عمرو بن الزبير ٣٤٢ ، ٣٤٣
- عمرو بن العاص ٢٥٢ ، ٢٧٩ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩
- عمرو بن الفرغ الرنجي ٣٦٥
- فاطمة بنت رسول الله ٣٦٠
- فاطمة بنت عبد الملك ٣٦٢
- أبو الفتح داود بن محمد = المعتضد ١٩٤ ، ٣٥٤ ، ٣٧٥
- أبو الفتح = لاجين حسام الدين
- أبو الفتح = محمد بن قلاوون
- فخر الدولة بن ركن الدولة ١٢
- فخر الدين بن لقمان = إبراهيم بن لقمان ٩٩ ، ١٢١
- فرج = السلطان الناصر فرج ١٩٣
- أبو الفضل العباس = المستعين بالله ١٩٣ ، ٢٦٤ ، ٢٧٤ ، ٣٥٣
- ٣٦٨ ، ٣٧١
- الفضل = المطيع لله ٢٨٤
- فضل الله بن ناصر الدولة ٢٨٩
- ابن فضل الله = المقر الشهابي
- ابن فضلان محي الدين ١٤٠ ، ١٩٨ ، ١٩٩
- القادر بالله ٣٥٣ ، ٣٦٠ ، ٣٧٧

- القاضي الفاضل ٢٢٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٥
القاهر بن المعتضد ٣٥١
القائم بأمر الله = عبد الله أبو جعفر ٢٠١ ، ٣٥٣ ، ٣٧٧
أبو قائد الداري ٢١٠
قتادة ٣٣٧
أبو قحافة ٣٣٤
قدامة ٢٨٢
قصي بن كلاب ٣٧٨
القضاعي ٣٣٥ ، ٣٣٩
قطلوبغا ٢٧٠
قلاوون = المنصور قلاوون ٩٩ ، ١٢٩ ، ٣٤٦
قوصون ٢٦٥
أبو كالجار صمصام الدولة ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٢٥٤
الكامل بن العادل = محمد بن أبي بكر ٩٩ ، ١٠٣ ، ١٠٦ ،
١٩٢
كتبغا المنصوري ٣٩
كجك بن محمد بن قلاوون = الأشرف كجك ٢٦٥
كردويه الكردي ٢٥٤ ، ٢٥٥
كعب بن مرة ٣٧٨
أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب ٣٦١
لاجين حسام الدين الملك المنصور ٥٠ ، ٥١ ، ٥٥ ، ٦٠
ابن لقمان = الصاحب فخر الدين بن لقمان = إبراهيم بن لقمان ٩٩ ، ١٢١

مالك بن أسماء بن خارجة ٣٤٢

مالك بن الحارث = الأشتر النخعي ٦ ، ٧ ، ٣٤١

المأمون بن الرشيد ٢٢٣ ، ٢٤٨ ، ٢٨٢ ، ٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٣٦٢ ،

٣٦٣ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٧٠

المالوري ٣٥٥

مبارك التركي ٣٤٧

المبرد ٣٦٦

المتوكل بن المعتصم ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ٢٣٣ ، ٣٤٨ ، ٣٥٠ ،

٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٧ ، ٣٥٩ ، ٣٦٢ ، ٣٦٧ ، ٣٧٧

المتوكل = محمد بن المعتضد ٢٧٤ ، ٣٥٣ ، ٣٧٧

محمد الأمين ٣٤٨ ، ٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٣٦٢ ، ٣٧٠

محمد بن البارزي المقر الناصري ١٩٤ ، ١٩٦

محمد بن أبي بكر = الكامل بن العادل ٩٩ ، ١٠٣ ، ١٠٦ ،

١٩٢

محمد بن أبي بكر = المتوكل بن المعتضد ٢٧٤ ، ٣٥٣ ، ٣٧٧

محمد بن الحسين العلوي أبو الحسن ١٥٨

محمد بن الحمصي = ابن الحمصي ٣٢٤ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ٣٣٠

محمد بن عمر المدائني ١٣٧ ، ٢٠٨ ، ٢٢١ ، ٢٧٥ ، ٣٣٣

محمد بن فضلان القاضي = محيي الدين أبو عبد الله = محمد بن يحيى

محمد بن قلاوون الملك الناصر ٦٠ ، ٦١ ، ٢٥٦ ، ٢٦٠

محمد بن مروان ٣٥٥

محمد بن المعتصم ٣٥٠

- محمد بن المعتضد = المتوكل على الله ٢٧٤ ، ٣٥٣ ، ٣٧٧
- محمد بن المهدي ٣٥٠
- محمد بن الواثق ٣٥٧
- محمد بن ناصر الدولة ٢٩٥
- محمد بن يحيى بن فضلان = محبي الدين بن فضلان ١٤٠ ، ١٩٨ ، ١٩٩
- عمود الجلي شهاب الدين ٣٩ ، ٥٠
- محبي الدين بن عبد الظاهر ٩٩ ، ١٢٩
- محبي الدين بن فضلان ١٤٠ ، ١٩٨ ، ١٩٩
- مرة بن كعب ٣٧٨
- مروان بن الحكم ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥
- ٣٦١ ، ٣٦٢
- مروان بن محمد ١٨٣ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤ ، ٣٦٣ ، ٣٧٢
- المسترشد بالله ١٨٣ ، ٣٥٣ ، ٣٧٧
- المستضيء ٣٥٣
- المستظهر ٣٥٣ ، ٣٧٧
- المستعصم ٣٥٣
- المستعين بالله ١٩٣ ، ٢٦٤ ، ٢٧٤ ، ٣٥٣ ، ٣٦٨ ، ٣٧١
- أم المستعين ٣٦٨
- المستكفي بن الحاكم = سليمان بن أحمد ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٣٥٣
- ٣٧٣ ، ٣٧٧
- المستنجد ٣٥٣
- المستنصر بالله ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٢٠ ، ٣٥٣ ، ٣٧٣

مسلمة بن عبد الملك ٣٤٦

مسيلمة الكذاب ٣٣٥

المطيع لله = الفضل ١٥١ ، ٢١٢ ، ٢٨٤ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ،
٣٥٣ ، ٣٥١

المظفر يوسف بن عمر ٢٦٠

معاوية بن أبي سفيان ٢١١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٧ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤ ،
٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٧٨

معاوية بن مروان ٣٥٥

معاوية بن يزيد بن معاوية ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢

ابن المعتز = عبد الله بن المعتز ٣٥٢ ، ٣٥٩

المعتز بالله ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٦٠ ، ٣٦٧ ، ٣٧١

المعتصم ٢٣٨ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٦٠

٣٦٢ ، ٣٦٥ ، ٣٧٠ ، ٣٧٧

المعتضد بالله داود ١٩٤ ، ٣٥٤ ، ٣٧٥

المعتضد بالله أبو العباس أحمد ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٣٥٢ ،

٣٦٤ ، ٣٧٠ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧

المعتضد بالله بن المستكفي = أبو بكر بن سليمان ٣٥٣ ، ٣٧٣ ، ٣٧٧

المعتمد على الله ٢٢٦ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٧١

معز الدولة أبو الحسين ٨١

المقتدر بالله ٢٣٣ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٦٥ ، ٣٧٠ ، ٣٧٧

المقتدى ٣٥٣ ، ٣٧٧

المقتضى ٣٥١ ، ٣٥٣

المقر الشهابي بن فضل الله ٩٩ ، ٢٦٥ ، ٢٧٦ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤ ،
٣٣١ ، ٣٣٢

المقر الناصري محمد بن البارزي ١٩٤ ، ١٩٦

المقوقس ٢٧٩

المكثفي ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٦٤ ، ٣٧٠

المنتصر ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٩

ابن منده ٢١٢

المنصور أبو جعفر ٣٤٧ ، ٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤ ، ٣٥٧ ،

٣٦٠ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٧٠ ، ٣٧٧

المنصور حسام الدين لاجين ٥٠ ، ٥١ ، ٥٥ ، ٦٠

المنصور قلاوون ٩٩ ، ١٢٩ ، ٣٤٦

أبو منصور بن معز الدولة = عز الدولة ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٧٤ ،

٢٨٤

منصور بن المهدي ٣٥٧

أبو منصور مؤيد الدولة ٨١

المهتدي ٣٥٢ ، ٣٧١

المهتدي ٣٤١ ، ٣٤٧ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٧ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ،

٣٧٧

أبو موسى الأشعري = عبد الله بن قيس ١٨٠ ، ١٨٢

موسى بن المأمون ٣٥٧

موسى = الهادي ٣٣٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٦١ ،

٣٦٣

٤١٨

ابى موصلايا = أمين الدولتين ٢٠١
 المؤيد بن المتوكل ٣٦٠ ، ٣٧١
 المؤيد شيخ ١٣٧
 مؤيد الدولة أبو منصور ٨١
 المؤيد = هزبر الدين داود ٢٥٦
 الناصح أبو الطاهر ١٥٧
 الناصر أحمد بن محمد بن قلاوون ٢٦٥ ، ٢٧٦
 الناصر لدين الله الخليفة ٨٦ ، ١٤٠ ، ١٩٨ ، ٣٠١ ، ٣٥٣
 ناصر الدين بن الحمصي = محمد بن الحمصي ٣٢٤،٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ٣٣٠
 ناصر بن رشيد الحرنومي ٩٩
 الناصر = صلاح الدين يوسف
 الناصر فرج ١٩٣
 الناصر محمد بن قلاوون ٦٠ ، ٦١ ، ٢٥٦ ، ٢٦٠
 النجاشي ملك الحبشة ٢٧٩
 النحاس أبو جعفر ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٣٣١
 نصير الدين = الملك الكامل بن العادل
 أبو نواس = الحسن بن هانيء ٣٦٦ ، ٣٧١
 نوح عليه السلام ٣٧٧
 الهادي الخليفة = موسى الهادي ٣٣٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٦ ،
 ٣٦٣ ، ٣٦١ ، ٣٥٧
 هارون الرشيد ٣٣٩ ، ٣٤٧ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٧ ،
 ٣٥٨ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٥ ، ٣٧٧
 هارون أخو القاهر بالله ٣٥٠
 هارون بن المعتصم = الواثق
 هاشم بن عبد مناف ٣٧٧
 هبة الدين بن إبراهيم بن المهدي ٣٥٨
 هرقل ٢٤٧

الهرمزان ٣٣٦

أبو هريرة ٣٣٥

هزبر الدين داود = الملك المؤيد ٢٥٦

ابن هشام صاحب السيرة ٢

هشام بن عبد الملك ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥٤ ، ٣٥٦ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣

أبو هلال العسكري ٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤٤ ، ٣٦٨

هند بنت أسماء ٣٤٢

هولاكو ٣٥٣

الواثق = إبراهيم بن سليمان ٣٧٣ ، ٣٥٣

الواثق بن المعتصم = هارون ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ،

٣٦٢ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢

ولادة بنت العباس العباسية ٣٦١

الوليد بن عبد الملك ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٥٠ ، ٣٥٤ ، ٣٥٦ ، ٣٦١

٣٦٣ ، ٣٦٢

الوليد بن يزيد ٣٥٤ ، ٣٦٢

يحيى بن الحكم ٣٥٥

يحيى بن عبد الرحمن ٣٥٦

يزيد بن عبد الملك ٣٥٠ ، ٣٥٤ ، ٣٥٦ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣

يزيد بن معاوية ٢٣٨ ، ٣٤٢ ، ٣٤٧ ، ٣٤٩ ، ٣٥٢ ، ٣٦١ ، ٣٦٢

يزيد المهلبى ٣٦٩

نزيد بن الوليد ٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤ ، ٣٦١ ، ٣٦٢

يوسف بن أيوب = صلاح الدين ٨٦ ، ٨٧ ، ٣٠١ ، ٣٠٩ ،

٣١٥ ، ٣٤٦

يوسف بن عبد الرحمن ٣٥٦

يوسف بن عمر = الملك المظفر ٢٦٠

٧ - فهرس الأماكن والطوائف

الأتراك ٣٤٧ وانظر الترك

أذربيجان ١٣

أران ١٣

إرم ذات العماد ٣٠٥

أرمن ١٣٦

الإستبارية ٣٠٦

استراباذ ١٣

الإسكندرية ٨٨

الأعاجم ٣٣٥

الإيغاران ١٣

أيلة « بحرأيلة » ٣٣٩

بحر القلزم ٣٣٩

البحرين ٣٣٥

بغداد = مدينة السلام ٨٦ ، ٩٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٥١ ، ١٥٧ ،

١٥٩ ، ١٧٠ ، ١٧٥ ، ١٩٨ ، ٢٠١ ، ٣١٥ ، ٣١٨ ،

٣٢٦ ، ٣٥٣ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨

البلاد الشامية = الشام

بلاد النوبة ٣٠٩

البلاد اليمنية = اليمن

بلد الخليل ٢١٢

بيت إبراهيم ٢١١
البيت الحرام ٢٦١
البيت المقدس ٣٠٧ وانظر القدس ٣٠٨
بيت عينون ٢١١ ، ٢١٢
بين القصرين ٣٤٦
تبنين ٣٠٨
تتار = تتر ١٣٦ ، ٢٥٧ ، ٣٥٣
الترك ٣٥٩ وانظر الأتراك
الغفور ٣٦٥
ثمود ٢٣٨
الجامع الحديد بمصر ١٩٦
الجبيل ٣٦٥
جرجان ٣٥٦ ، ٣٥٧
بنو الحارث بن كعب ٢٧٨
جرا = جرون ٢١١ ، ٢١٢
الحبشة ٢٧٩ ، ٣٤٢
الحجازية « الحجاز » ١٢٤
الحديثة ٢٩١
حصن تبنين ٣٠٨
حلب ٢٧١
حلوان بفارس ٣٣٨
الحيرة ٣٧٢
٤٢٢

- حيفا ٣٠٨
خليج القاهرة ٣٣٩
خوارزم ٣٢٤
الداوية ٣٠٦
دمشق ٢٧٠ ، ٣٤٦
الديار البكرية ١٢٤
الديار الشامية = الشام
الديار المصرية = مصر
الديار اليمنية = اليمن
الدينور ١٣
بنو رسول ٢٥٦
الرطوم ٢١١
الرمادة ٣٣٩
الروم ١٤٧ ، ٢٠٦ ، ٢٣٩ ، ٢٩٧ ، ٣١٥
السحانين ١٣
سقى الفرات ١٧٠
سنجار ٢٩٢
السويس ٣٣٩
الشام ، ٨٦ ، ١٢٤ ، ٣٠١ ، ٣٠٨ ، ٣٢٤ ، ٣٢٩ ، ٣٣٦ ،
٣٤٥
شيبان ٢٩١
الصعيد الأعلى ٨٨

صفورية ٣٠٨
صقلية ٣١٥ ، ٣١٧ ، ٣١٨
الصلح ٣٦٧
صور ٣٠٨
الطالبيون ١٥٧ ، ١٥٩
طبرية ٣٠١ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨
الطور ٣٠٨
عاد ٢٣٨
عام الرمادة ٣٣٩
عبادان ٣٣٨
العراق ٢ ، ١٣٨ ، ١٨٣ ، ٢٢٨ ، ٢٨٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٨
٣٤٢ ، ٣٤٥ ، ٣٥٣
العرب ٣٤٢
عسقلان ٣٠٨
عقبة حلوان ٣٣٨
عقيل ٢٩١
عكا ٣٠١ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨
العواصم ٣٦٥
عينون = بيت عينون
الغرب ٨٨ وانظر المغرب ٣٦٥
غزة ٣٠٨
فارس ٣٠٦ ، ٣٤٧

- الفرات والفراتية ١٢٤ ، ١٧٠
الفرس ٣٤٢
الفرنج ١٠٥ ، ١٣٦ ، ٢٠٥ ، ٣١٥ ، ٣١٧
القساط ٣٣٩ ، ٣٤٦
فلسطين ٢١٠
فم الصلح ٣٦٥
القادسية ٣٣٨
القاهرة ٣٣٩ ، ٣٤٦
القدس ٣٠٨ وانظر البيت المقدس
قرمبسين ١٣
القرلة ٣٠٨
قسطنطينية ٣١٥ ، ٣١٧ ، ٣١٨
بنوقصى ٣٣٤
القلزم ٣٣٩
قيسارية ٣٠٨
الكرك ٢٦٥ ، ٢٧٦
المدرسة النظامية ببغداد ١٩٨ ، ١٩٩
المدينة ٢٣٨ ، ٣٣٦ ، ٣٣٩
مدينة السلام = بغداد
مصر = الديار المصرية ٢ ، ٦ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٩ ، ١٢١ ، ١٢٤ ،
١٢٨ ، ١٣٧ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٤ ،
٢٣٥ ، ٢٥٢ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٦٥ ، ٢٧١ ، ٢٧٦ ،

٢٧٩ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٦ ، ٣٥٣ ،

٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٧

معليا ٣٠٨

المغرب انظر الغرب

مكة ٣٣٦

الموصل ٢٩٢ ، ٣٣٨

موقان ١٣

نابلس ٣٠٨

الناصره ٣٠٨

نجران ٢٣٧

النهروانات ١٧٠

النوبة ٣٠٩

بنو هاشم ٣٥٩

همدان ١٣

اليعاقبة ٣٠٦

اليمامة ٣٣٤

اليمن = البلاد اليمنية ٢ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ١٢٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ،

٢٦١

٨ - نوادر وطرائف وكتب بعهود وغيرها

أول « انظر في فهرس الموضوعات ما عنوانه أوائل ففيه كثير »

أول ما كتب في إلزام أهل الذمة ما يلزمهم ٢٢٨

أول من كتب عنه كتاب في نقل السنة الحراجية ٢٢٣

تركات خلفاء من الملابس ٣٦٣ ، ٣٦٤

تعقيب للمؤلف ٣٧٢

حساب السنة والفرق بين الشمسية والهلالية ٢٢١ - ٢٢٢

حفلة إعدار ٣٦٧ - ٣٦٨

حفلة عرس المأمون وبوران ٣٦٥ - ٣٦٦

خطبة قصيرة لعثمان بن عفان بعد أن أرتج عليه ٣٤٠

زى غير المسلمين ٢٢٩

الغالية من الطيب والقول فيمن سماها ومن صنعها ٣٤٢

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم للداريين ٢١٠

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم لتميم الداري ٢١١ ، ٢١٢

كتاب النبي إلى نصارى نجران ٢٣٧

كتاب النبي إلى هرقل ٢٤٧

كتاب عن الأمر الفاطمي بإلباس أهل الذمة الغيار ٢٣٤

كتاب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان ٢٨٠

كتاب عثمان إلى علي ٢٣٧

كتاب يزيد بن معاوية إلى أهل المدينة ٢٣٨

- كتاب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب ٢٨٠
ما كان يكتب عن المستعين ٢٦٤
ما كان يكتب فيه من القرايطيس ١٣٧ ، ٢٠٩ ، ٢٢١ ، ٢٧٥ ، ٣٣٣
ما كتب عن الحاكم بأمر الله إلى الناصر أحمد بن محمد بن قلاوون ٢٦٦
نسخة كتاب عهد من رسول الله ٢
نسخة عهد من علي بن أبي طالب للأشتر النخعي ٦
نسخة ما كتب الصابي عن الطائع ١٢
نسخة ما كتبه شهاب الدين محمود عن الحاكم بأمر الله ٣٩
نسخة ما كتبه شهاب الدين محمود عن الحاكم بأمر الله الثاني ٥١
نسخة ما كتب عن الطائع للأشرف شيرز ٧٧
نسخة العهد المكتوب عن الناصر لدين الله إلى صلاح الدين ٨٧
نسخة ما كتب عن المستنصر بالله إلى الكامل بن العادل ١٠٠
نسخة العهد الذي كتبت به للملك الظاهر بيبرس ١٢١
نسخة العهد للمنصور قلاوون من الحاكم بأمر الله ١٣٠
نسخة ما كتبت به عن أبي بكر الصديق لأمرائه الذين وجههم لقتال أهل الردة

١٣٨ - ١٣٩

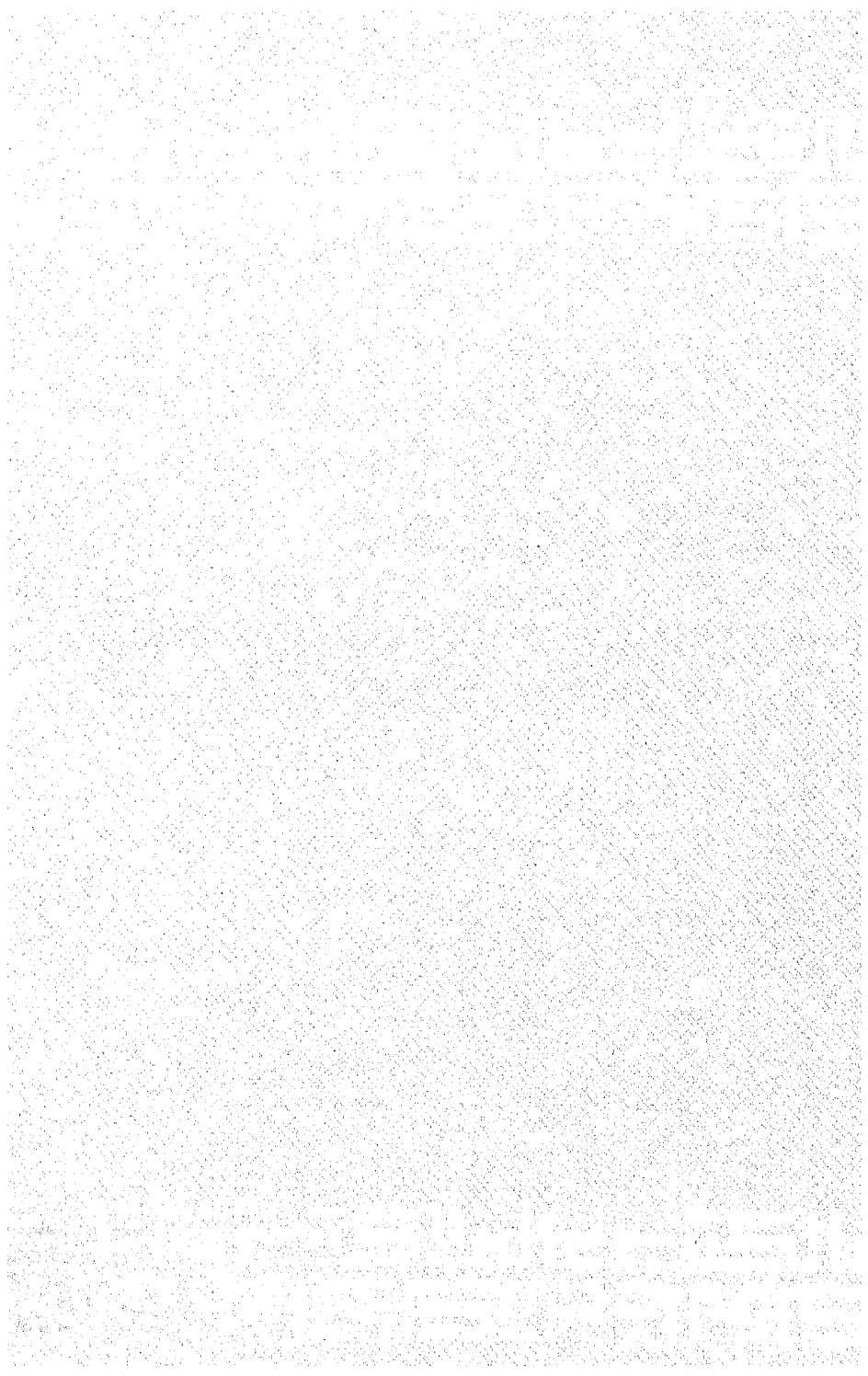
- نسخة عهد بقضاء القضاة ١٤٠
نسخة عهد بتقليد المظالم ١٥١
نسخة عهد بتقابة الطالبين ١٥٧
نسخة عهد بتقليد الصلاة ١٧٠
نسخة عهد بنظر الأوقاف ١٧٥
نسخة كتاب عمر لأبي موسى الأشعري ١٨٠ ، ١٨٢

- نسخة عهد بالوزارة ١٨٣
- نسخة تفويض كُتِبَ به عن المعتضد داود ١٩٤
- نسخة توقيع ١٩٨
- نسخة توقيع لزعماء أهل الذمة ٢٠١
- نسخة مقاطعة بإقطاع أرض ٢١٣
- نسخة كتاب بنقل سنة خراجية ٢٢٤
- نسخة ما كتب بالزام أهل الذمة ما يلزمهم ٢٢٩
- نسخة كتاب بعزل كتاب غير مسلمين ٢٣٣
- نسخة ما كُتِبَ عن المعتصم عند القبض على بابك ٢٣٩
- نسخة كتاب كُتِبَ عن أبي بكر إلى أهل الردة ٢٤٨
- نسخة كتاب كتب عن عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص ٢٥٢
- نسخة كتاب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج ٢٥٢
- نسخة كتاب عن الطائع إلى صمصام الدولة ٢٥٤
- نسخة ما كُتِبَ عن المستكفي إلى المؤيد هزبر الدين ٢٥٦
- نسخة ما كتب عن عز الدولة إلى المطيع لله ٢٨٤
- نسخة ما كتبه الصابي عن عز الدولة بن معز الدولة ٢٨٤
- نسخة ما كتبه العماد الأصفهاني عن صلاح الدين بفتح طبرية وعكا ٣٠١
- نسخة ما كتب به القاضي الفاضل عن صلاح الدين في بشرى بفتح بلد من بلاد النوبة ٣٠٩
- نسخة ما كتب به القاضي الفاضل عن صلاح الدين إلى المقتدر عن تأخير الكتب ٣١٥
- نسخة ما كتب إلى ديوان الخلافة ببغداد عن بعض بني أيوب ٣١٨
- نسخة ما كتب به المقر الشهابي إلى الحاكم بأمر الله عن رماة البندق بالشام ٣٢٤
- نقابة الطالبين ١٥٧ ، ١٥٩
- نوعان من الإقطاع ٢١٠
- وقعة الجمل ٣٤١

٩ - فهرس المراجع

- إتحاف فضلاء البشر : المطبعة الميمنية ١٣١٧
الأحكام السلطانية : مطبعة السعادة ١٣٢٧
الاستيعاب بهامش الإصابة ١٣٢٨
الإصابة : مطبعة السعادة ١٣٢٨
الأغاني : طبع دار الكتب ودار الثقافة ببيروت
إنباه الرواة : طبع دار الكتب
تاريخ الخلفاء : المطبعة الميمنية ١٣٠٥
تاريخ الطبري : طبع أوربا بريل ١٨٩٣
تاريخ أبي الفداء : طبع الآستانة ١٢٨٦ واسطنبول ١٢٨٠
جمهرة أنساب العرب : دار المعارف
حياة الحيوان : مطبعة المعاهد ١٣٥٣
ابن خلكان وفيات الأعيان : المطبعة الميمنية
ديوان الأفوه الأودي (الطرائف الأدبية) : مطبعة التأليف ١٩٣٧
ديوان الشريف الرضي : مطبعة نخبة الأخبار ١٣٠٦
ديوان كثير : طبع الجزائر ١٩٢٨
ديوان المتنبي : مطبعة التأليف والترجمة والنشر
سنن الترمذي : مطبعة الصاوي ١٣٥٣
سنن أبي داود : المطبعة الكستلية ١٢٨٠
سنن النسائي : المطبعة المصرية
السيرة لابن هاشم : مطبعة بولاق ١٢٩٥
شذرات الذهب : القدسى ١٣٥١
شرح أشعار الهدليين : نشر دار العروبة ١٩٦٣
صبح الأعشى : مطبعة دار الكتب
صبح البخارى : مطبعة بولاق ١٣١٥

- صحيح مسلم : المطبعة المصرية ١٣٤٩
العقد الفريد : مطبعة بولاق ١٢٩٣
عيون الأخبار : مطبعة دار الكتب
فتوح البلدان : مطبعة بريل ١٨٦٦
فوات الوفيات : مطبعة السعادة ١٩٥١
الكامل لابن الأثير : المطبعة الأميرية ببولاق ١٢٩٠
الكشاف للزمخشري : المطبعة الأميرية ١٣١٨
المثل السائر : مطبعة حجازى ١٣٥٤
مجمع الأمثال : المطبعة العامرة الخيرية ١٣١٠
محاضرة الأوائل : المطبعة العامرة الشرفية ١٣٢٥
مروج الذهب : مطبعة بولاق ١٢٨٣
مسند الإمام أحمد : المطبعة الميمنية ١٣١٣
معجم الأنساب والأسرات الحاكمة : مطبعة الجامعة ١٩٥١
معجم البلدان : مطبعة ليبرج ١٨٦٦
مفاتيح العلوم : مطبعة بريل ١٨٩٥
المنتظم : طبع حيدرآباد ١٣٥٧
المنتقى : طبع ليبرج ١٨٥٩
النجوم الزاهرة : مطبعة دار الكتب
نسب قريش : دار المعارف
النهاية لابن الأثير : المطبعة العثمانية ١٣١١
الوزراء للصباي : مطبعة عيسى الحلبي ١٩٥٨
الولاية والقضاة : طبع بيروت ١٩٠٨





مآثر الأئمة

في
معالم الخلاف

للعلامة
سيد

٧٥٦ - ١٢٠ هـ

تصنيف
عبد السلام أحمد فرج

دار الكتب

مآثر الأتقاة

في
معالم الخلفاء

للقلشندي

٧٥٦ - ١٢٠ هـ

الجزء الثالث

تحقيق

عبدالله بن عبد العزيز

عالم الكتب



بيروت - المزرعة بنياية الايمان - الطابق الأول - ص . ب . ٨٧٢٣
تلفون : ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - برقياً : نابعلبيكي - تلکس : ٢٣٣٩٠

